٥٠٧
دار م. النحاس

قلوب عبير

507
HARLEQUIN

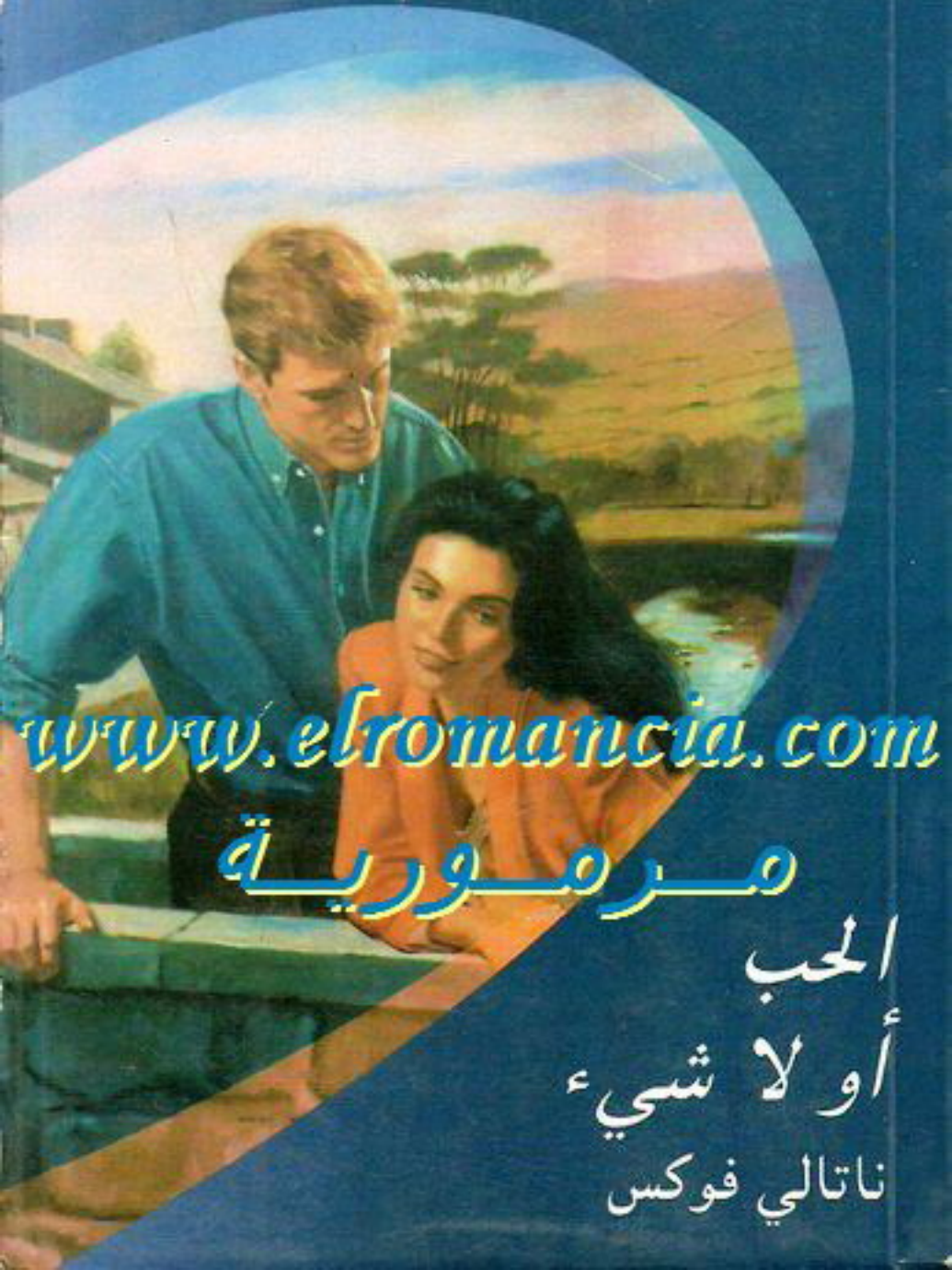

www.elromancia.com

مرمورية

# الحب أو لا شيء

ناتالي فوكس

# الحب أو لا شيء

## ناتالي فوكس

«إلى أين؟» سألها. «إلى ماناكور من أجل شراء عقد من اللؤلؤ، ثم إلى انكا لشراء زوج من الأحذية، أو نقوم بنزهة عاطفية في شبه جزيرة فورمنتور؟»

تنتمي ماجوركا إلى فرناندو ـ أو هكذا بدا لروث. لقد التقيا منذ سنة مضت، ووقعا في حب وغرام عاصفين، لكن ذلك كله لم يأت بأي نتيجة. وها هي الآن مرة اخرى، ورغبتها هي أمر يطيعها فيه، أو كما وعد بذلك، لكن الشيء الوحيد الذي ارادته وتمنته ـ قلبه ـ لكنها لم تستطع الفوز به.

## هتفت روث «إنها فعلاً أجمل بقاع الأرض»

ضحك فرناندو: «لكنك صرحت مرات عديدة كم هي رائعة جزيرتي.»

«أجل، لكنك تسلم جدلاً وتوافق، لأنك تعيش هنا فيها. إنك لم تسجل على اسطوانة فونوغرافية انغاماً من قيثارة تعبر عن سحر الجزيرة اللامعقول والغني عن الوصف بحيث استطعنا رؤيته من على قمة الهضبة الصخرية فوق الرأس الداخل في البحر. والكهوف، كانت مدهشة، رائعة، يسرح بها الخيال بعيداً إلى درجة لا توصف.

«لا، كانت عيناي تنظران في مكان آخر.»

# ناتالي فوكس

«لقد عشت في الأندلس لمدة خمس سنوات وكان للشعب الأسباني ونمط حياته تقدير كبير في قلبي. شدني الجمال الطبيعي والمناظر الخلابة لماجوركا كما وأنني تعلقت بالمناظر الريفية الوعرة، وبالجبال، وبالبحر الازرق وبغروب الشمس الرائع، وبتفتح أزهار اللوز في فصل الربيع وببساتين الزيتون الظليلة.

رغبت أيضاً في طعامها الشهي اللذيذ في مطاعمها الكبيرة النظيفة حيث يمكنك أن ترقص حتى الفجر، يمكنك أيضاً التسوق بحرية وانشراح في اسواقها إلى أن تنتهي في بالما، ومع ذلك تجد مكاناً للراحة والهدوء بحيث تقرأ كتاباً أو إذا اردت التحدث مع احد ما أو ترافق حبيباً لك في نزهة.

اشعر فعلاً بأن ماجوركا اخذت بمجامع قلبي وروحي.

www.elromancia.com

٥٠٧

khouloub Abir 507

# الحب أو لاشيء

ناتالي فوكس

دار
مؤسسة النحاس
للطبع و النشر و التوزيع
بيروت - لبنان

# الفصل الأول

كان مديد القامة فارغ الطول، هذا هو الشيء الوحيد الذي لاحظته روث أول مرة وقعت عيناها عليه. رأس شامخ وكتفان تعلوان فوق أي شخص آخر في جناح غوادالكويفير في فندق «سفيل» حيث كانت الخطوط الجوية الايبارية تقيم حفلة راقية.

كانت روث تقف قرب النافذة تتعمد الانفراد، وكانت تحدق إلى الخارج ونظرها على أحد الجسور السبعة الذي يصل إلى مكان معرض سفيل. وإذا بقوة خارجة عن إرادتها دعتها إلى الالتفات لحظة دخوله. التقت عيونهما فاشتدت اصابعها حول عنق كأسها - شعوراً لردة فعل طبيعية وكعادتها عندما تلمح رجلاً جميل الملامح بهي الطلعة.

كان العمل عندها أهم من التمتع في حياتها، لذلك انتقلت عيناها من الغريب إلى شريكها في العمل ستيف كانوك عبر الغرفة المحتشدة. كما روث كذلك ستيف، يأتي العمل قبل وأهم من المتعة، لكن هذه الليلة كانت استثنائية. لقد كان ستيف مندهشاً وماخوذاً بالجمال المتألق لمضيفة الطيران. حقاً، انه معرض يلهب المشاعر، هذا ما تأكدت منه روث، حتى أن ستيف نسي أن سبب وجودهما هنا من أجل القيام باتصالات أوروبية لوكالتهما.

عادت روث بأفكارها وهي ما زالت في وقفتها بمحاذاة النافذة في الطابق الخامس. وبدا لها أن الغريب قادم

نحوها. قد يكون شخصاً مهماً بالنسبة إلى عملها، لكن لا شعورياً أحست أيضاً بأنه قد يكون أتى لاقلاق راحتها أكثر من أن يحميها أو يفيدها.

«سيدة جميلة ذات شعر أسود لامع أسرتني بقوامها، تقف منفردة لا تتحرك لا يميناً ولا شمالاً.» جاء صوته الناعم من ورائها. ثم تابع: «لا يبدو عليك الملل وبالتأكيد لا مجال للخجل في ثوب كهذا...» تحولت نحوه في الوقت المناسب لترى عينيه الداكنتين الدافئتين تنحدران على ثوبها الحريري الأسود الملتف حول جسدها الغض. ابتسم لها مخففاً عنها الاجابة عن كلامه الذي قاله لها والذي أشعرها بأن عاصفة ما قد تهب. «لكن ربما لست كحقيقة عارية مثل كل شيء آخر في سفيل في هذا الوقت، وكأنك حلم رائع وجد ليطيح بعقول الرجال.»

ضحكت روث وعيناها تلمعان بمرح. «في وصف كهذا اتساءل أنا ايضاً فيما لو كنت أيضاً حقيقة عارية؟» تشابكت نظراتهما مرة أخرى ولم تستطع روث تجنب ذلك لقربها منه. عجباً، فهي لم ترد ذلك لكنه مختلف.

سألت بلطف: «كيف عرفت أنني بريطانية؟» تعمقت نظراته فيها وثغره المنسق أطلق ابتسامة غامضة. وقال بنعومة: «إنك تتمتعين بروح يتعذر تفسيرها، أنت أروع ما تغنى به شعراؤنا الإسبان، راقصو الفلامنغو، وأشهر الفنانين.»

اتسعت عينا روث ولم تستطع المقاومة فابتسمت له: «آه، لكنك لا تعلم، فأنا لست شاعرة إسبانية ولا راقصة فلامنغو ولا إحدى الفنانات.»



ابتسم ابتسامة محيرة وقال: «لكني أعرف. وهذا سبب وجودك هنا.» اتجهت عيناه الداكنتان إلى ما أبعد من النافذة إلى حيث اضواء المعرض تتلألأ بألوان زاهية في البعيد. وتابع: «جمال العالم الغريب هناك يتواكب والأرض كل الأرض، بهجة للناظر، وأنت عليها.» قالت مداعبة: «إذاً، أنت ترى أنني بريطانية؟»

أحنى رأسه ليهمس في أذنها بعذوبة: «هكذا أنت.» جاء صوته ليؤكد أنها فعلاً هبة من عالم آخر.

«وهكذا أنت، يا سيدي، من شعوب حوض البحر الأبيض المتوسط ذو عاطفة جياشة...» توقفت وعيناها ترقصان بعذوبة... «أنت...» ودعت عينيها تجولان على طول قامته المديدة. «... إنني على يقين... من أنك أطول قامة من معظم انسبائك.»

ضحك وهو يتناول يدها ليقبلها بلطف ويقول: «إنه لواقع غريب، فمنذ مجيء السياح إلى إسبانيا تزايد معدل طول قامتنا بشكل مفاجيء. في وقت من الأوقات كنا فلاحين نتناول وجبة واحدة في الأسبوع، اما الآن، فنحن سعداء، لأننا نتناول وجبة كل يوم.» قالها مداعباً بخفة لم تستطع روث مقاومة الاسترسال في الضحك.

ابتسمت وأجابت: «لكن هذا لا يفسر سبب قامتك المديدة، يا سيدي. أرى أنك لم تكن يوماً ما فلاحاً، إنني أؤكد ذلك.»

ضحك بهدوء وقال: «حسناً قد ادين لقامتي المديدة في الوصول إلى النجوم.» كان لا يزال ممسكاً يدها، ومرة أخرى رفعها إلى شفتيه ليقبلها. وقال بلطف: «على ما اعتقد انني بلغت نجمة واحدة هذه الليلة.»

www.elromancia.com

سحبت روث بنعومة يدها من يده. كانت لمسته دافئة وناعمة، كما كانت عيناه المثيرتان، تجذبانها بشيء لاحظته ولم تستطع انكاره. أحست بشيء ملحوظ نحوه ولم تبد أية مقاومة أو اعتراض لصده. لكنها ضمناً، تعتبر نفسها محصنة الآن تجاه مداعبات خاصة بعد فسخ خطوبتها السابقة، لكن هذا الرجل يبدو وكأنه يخطط لشيء ما في نفسه ومن الصعب عليها مقاومته. إذاً يجب عليها المقاومة، لأنها سفيل، وسفيل جديدة تتحدى أية مصداقية.

تحولت عنه بابتسامة مترددة، وشربت ما تبقى في كاسها وهي تحدق إلى ما أبعد من النافذة. بدا لها شيء مضيء من جانب البحيرة قرب المعرض اضاء السواد المخملي لسماء الأندلس. خفايا الحياة والعالم كانت في الخارج هناك. تجمع ماضي ومستقبل العالم في جزيرة ليرى ويتأمل كل إنسان بورع وخشوع. كانت هناك إنشاءات تتحدى الجاذبية، ينابيع وشلالات من المياه الباردة تصبح مع حلول الظلام مشاهد مضيئة تفتن العقول وتبهج القلوب.

كانت كل هذه المناظر، تفرح القلب، لكن كل ما استطاعت التفكير به في هذه اللحظة هو اختفاء ذلك الغريب من جانبها. تعجبت لذلك وهي تشعر بأنها خسرت شيئاً ثميناً.

فجأة، استبدل الكأس الفارغة التي كانت في يدها، لتحل محلها كأس جديدة فشعرت ببرودة الكأس الجديدة وهي تنظر إلى الغريب الذي رجع ووقف إلى جانبها مرة أخرى.

همس قائلاً: «هل نبدأ من جديد؟ أدعى فرناندو سيرا.»

ابتسمت روث وقالت له: «وأنا روث ابلتون.»



كانت أصواتهما هي الوحيدة التي علت في الغرفة. كانا بمفردهما في الغرفة. رطبت روث شفتيها الجافتين وهي تشعر بفرناندو يقتحم عالمها الخاص ولا تمتلك الشجاعة الكافية لتصده عنها. ارادت أن تغير موضوع الحديث إلى العمل كما قد تفعل مع أي شخص تصادفه في حفلات كهذه، وتسأله عن سبب وجوده هنا. عليها المحاولة... عليها ذلك.

سألته: «هل أنت... هل تعمل في الخطوط الجوية؟»

ابتسم وكأنه ادرك أنها كانت تعاني الارتباك لتنطق بهذه الكلمات فخفف الأمر عليها وأجاب:

«كلا. انا أملك سلسة فنادق «سيرا» في «ماجوركا.»

«إذاً... إذاً أنت من ماجوركا؟»

هز رأسه موافقاً: «أنا هنا من أجل المعرض ولأعزز فنادقي، وأنت؟»

«انني هنا من أجل العمل ومن أجل المتعة معاً. شريكي في العمل وأنا...» ومالت برأسها في اتجاه ستيف وحول فرناندو بنظره حيث أشارت، لكنه سرعان ما عاد ليحول عينيه اللتين اشتدتا سواداً وخفت حرارتهما، نحوها، حين تابعت: «لدينا شركة تسويق سياحية.» وتعجبت للتغيير المفاجيء في عينيه. بدا الرجل عاطفياً ورأى أن ستيف عقبة عليه تجاوزها. فابتسمت لذلك في داخلها. لم يكن هناك أي شعور بالعاطفة في علاقتهما. كانا شريكين في العمل وصديقين مخلصين، هذا كل ما في الأمر.

«انشأنا، ستيف وأنا، فريق عمل. كنا نعمل سوياً في حقل السفريات، ومع مرور الوقت، لم نرغب في العمل لدى

www.elromancia.com

شركات أخرى. لذلك، قررنا أن نستفيد من معرفتنا ومراجعنا لنؤسس شركة خاصة بنا. إننا ننظم رحلات جماعية لشركات تود مكافأة موظفيها لهمتهم في زيادة المبيع. إنه فعلاً عمل مشوق ولذيذ.»

قال فرناندو لها: «هذ مؤثر فعلاً، إذ انك في سفيل، تارة للعمل وطوراً للمتعة. ها قد عرفت العمل لكنني لم اعرف شيئاً عن المتعة.»

«المعرض.»

سأل بإشارة مبطنة منه: «هل هذه هي المتعة الوحيدة؟»

قالت بلطف لكن بعزم: «أجل، إنها المتعة الوحيدة.»

ابتسم ورفع كأسه إلى شفتيه وتوقعت روث بعض التحدي ولكن أي شيء من هذا لم يظهر ونشط شعور غريب في داخلها، مخيب بعض الشيء، لكنها سرعان ما طردت هذه الفكرة. إنها لا تود أن ترتبط بعلاقة مع الرجال. العمل اكثر أهمية من هذه العلاقات. لقد كان العمل علاجاً لارتباط غير ناجح وسرعان ما أصبحت تحب عملها بشغف.

«ما رأيك به؟»

تطرفت بعينيها بارباك وسألت: «رأيي بماذا؟» قال وهو يرفع حاجبه مستغرباً: «المعرض.»

ضحكت روث، وقالت له متنهدة وهي تهز كتفيها ببطء: «لا استطيع استيعابه كله. إنه يغمرني كلياً. ذهبت البارحة إلى المعرض لأول مرة. كان ستيف هناك يقابل أحدهم في سفيل وتابعت انا طريقي بمفردي. كان هناك الكثير.» ضحكت لسخافتها وتابعت: «الكثير. انتهى بي المطاف وأنا جالسة قرب البحيرة تاركة هذا الكثير يجرفني إلى اقصى حد.»



أخذ يراقبها وهي ترشف من كأسها ثم مد يده ليلامس ذقنها. كانت لمسته دافئة رائعة فاختلجت احاسيسها. قال لها بهدوء: «عليك عدم الانفعال، مثل كل الأشياء الطيبة في هذه الحياة يجب ألا نستعجلها.»

أحست روث بالجفاف في حلقها للحظات واستسلمت لشيء كانت تفضل أن لا تتعرف عليه، وهو الحاجة إلى عاطفة من نوع آخر في حياتها.

اقترح: «أنت في حاجة إلى مرشد هل تسمحين لي بمساعدتك؟»

كان الاقتراح بالنسبة إليها جميلاً من دون الاشارة إلى نواح اخرى. لكنها لا تعرف هذا الرجل. قد يكون صادقاً في ما عرضه عليها ومساعدته في التجوال في المعرض أو قد يكون في عرضه شيء من نوع آخر.

بحثت عينا روث عن مكان ستيف، وكان لديه الاجوبة التي تريدها. نظر في اتجاهها وتبادلا الابتسام وشعرت روث انه لو شعر ستيف بانها تعاني من مشكلة ما وبحاجة لإخراجها منها فسوف يسرع في الحال. لكنه لم يفعل، رمق فرناندو بإيجاز واقتنع بأنها في ايد امينة، وعاد يصب اهتمامه بالمضيفة الحسناء.

قال فرناندو بنعومة: «لا يستطيع مساعدتك. القرار يجب أن يأتي من قلبك، إنه ليس بالقرار الصعب لاتخاذه، أليس كذلك؟»

عادت تنظر في عينيه متفحصة قبل أن تتحرك شفتاها في الاجابة. تأملت قسمات وجهه الجميل، قصة ونوعية شعره الداكن، جسده الرياضي الأسمر. قوامه المديد كان

www.elromancia.com

بهجة للنفس والعين. لقد تعارفا لدقائق خلت ومع ذلك سوف تشعر بخسارة مؤسفة يصعب شرحها فيما لو خرج من حياتها.

قالت له بلطف: «لا، ليس من الصعب.» ولم يكن. بل إنه امر سهل للغاية لأنها لم تكن من ذلك النوع من النساء اللواتي يؤخذن بهذه السهولة وهذه السرعة. هل هي فعلاً كذلك؟ أضافت: «أود ذلك كثيراً.» ابتسم ولم يكن هناك أي انتصار من كلا الطرفين، فقط سعادة صادقة بموافقتها على عرضه، وانباها قلبها بأن لا مبرر لخوفها من هذا الرجل.

لم يسمع لهما صوت لفترة طويلة. كانا يراقبان عرضاً للألعاب النارية عند الجسر القريب من المعرض. في مرحلة ما كان عطره يملأ رئتيها. في مرحلة ما كانت مدركة أن شيئاً قد حدث لكنها غير متأكدة ما هو. وأيضاً في مرحلة ما ادركت أن الغرفة قد خلت من الموجودين.

قال فرناندو بهدوء وهو يقربها: «يجب أن لا نبقى هنا، يجب أن نكون هناك، لنبدأ حياتنا معاً.»

أمسك بيدها لكنه لم يرفعها هذه المرة إلى شفتيه، بل ضغط عليها. هذه الحركة الوجيزة كانت كافية لتذيب قلب روث. لم تبتعد لكنها سمحت لنفسها أن تستكين معه براحة. شيء ما كان يحدث لكنه مبهج ولم ترد له التلاشي. شعرت بغشاء خفيف يغشي عينيها عندما احكمت قبضة يده على يدها وهو يخرج برفقتها من جناح غواد الكويفير.

قالت روث: «لا اصدق كل هذا.» ورافقت فرناندو إلى طاولة قرب البحيرة. جلست باسترخاء وكانها تعاني من تعب ما، وهي تلامس شعرها الأسود. كان فرناندو قد طلب



كأسي مرطبات من الخادم بينما مالت نحو الطاولة المظللة بالياسمين الفواح وازهار اخرى. جلس فرناندو وهو يميل نحوها، ممسكاً بيدها الصغيرة الدافئة. وشعرا بانجذاب لبعضهما لم يستطيعا مقاومته. وانعزلا في مكانهما، روث متوردة الخدين، فرناندو مغلق العينين بشقاء.

«ما الذي لا تصدقينه، يا آنستي»؟

لوحت بيدها في كل الاتجاهات وقالت: «كل هذا. المعرض. يصعب التعبير عنه بكلمات. اتفاقات، مهرجانات، تصورات موضوعية، كل يوم، وطوال الليل دون توقف.»

ضحك فرناندو وأجاب: «ونحن ما زلنا في يومنا الثاني.»

قالت روث فجاة بجدية: «يجب أن أكون في عملي.»

«وأنا كذلك.»

ضحكا سوياً من دون أن يعيرا للأمر أية أهمية.

كانت الليلة الأولى بعد الحفلة بداية الأمر كله. لقد اخذها فرناندو إلى «زارزويلا» حيث الأوبريت الاسبانية حبست انفاسها. وبقيت هكذا منذ تلك اللحظة. وعندما اصطحبها إلى الفندق حيث تقيم في الساعة الخامسة صباحاً، اخذها بين ذراعيه في الردهة، غير مهتم فيما لو شهد العالم عناقه لها.

كان اليوم الفائت رائعاً. لقد زارا معرض القرن الخامس عشر، والذي انتقل بهما إلى سنة ١٤٩٢ واغرقهما في تلك الحقبة التاريخية حيث تم اكتشاف اميركا. ومن هناك إلى المعرض البريطاني ذي الواجهة الزجاجية التي كانت تنساب فوقها شلالات المياه من

ارتفاع ثمانية عشر متراً. جالا في الممرات المبردة بفعل الشلالات والتي كانت بين الفينة والأخرى تتفجر في البرك. فيتريث الناس أمامها للمحادثة والاستراحة. جلسا إلى جانب البحيرة وراقبا مراكب الفايكينغ الطويلة تتسابق على طول المياه الراكدة من البحيرة الاصطناعية. ومع هبوط الظلام عادا إلى ازدحام وحركة المعرض ومن ثم إلى «سفيل» القديمة حيث تناولا العشاء على ضوء الشموع في مطعم صغير وهما يراقبان الناس من حولهما.

مرة أخرى عاد فرناندو بها في ساعات الصباح الأولى إلى الفندق، وأخذها بين ذراعيه وعانقها برقة. وتجاوبت مع عناقه وهي تلف ذراعيها باحكام حول عنقه.

همس في اذنها «عزيزتي.» وانتظرت روث بتلهف الكلمات التي تمنت أن تسمعها، التي كانت تعني شيئاً لها، بانه بحاجة إليها، وأضاف: «هل أنت سعيدة، يا عزيزتي؟»

اومأت روث برأسها وهي تبتسم فقبل فرناندو رأس أنفها. همس: «غداً سيكون اسعد.»

كان اليوم التالي مختلفاً، شعرت روث بذلك منذ اللحظة التي جاء فيها لاصطحابها من الفندق. ومرة اخرى توجها إلى جناح كارتوجا في المعرض. تأكدت روث الآن وبينما كانا جالسين مواجهين بعضهما البعض عند الطاولة المظللة مع رائحة الياسمين الفواحة، بأنه من المستحيل الاستمرار أكثر من ذلك.

أحضر الخادم لهما شراباً بارداً وقبل أن يتناول فرناندو شيئاً منه، أخذ يشبك يده بيدها.



قال بهدوء: «احبك.» اشتعلت عيناه بما قاله، وتسارعت ضربات قلبها إلى أن ملأت هذه الضربات اذنيها.

شبكت يده مبتسمة في وجهه وقالت بهمس: «أعرف.»

قال مبتسماً: «تعرفين؟ وكيف تعرفين؟»

شعت عيناها بالسعادة حين قالت: «يجب أن يكون هذا.»

ردد الكلام بنعومة: «نعم، يجب أن يكون هذا.»

شكلت روث الكلام ببطء في قلبها. كلمات اعتقدت بأنها لن تنطق بها لرجل آخر. الغريب أن الأمر كان سهلاً لأنه كان باكمله صادقاً. لم تفكر بما قد يحمل المستقبل القريب، لأن الحاضر كان عالماً مختلفاً قالت بدفء: «أنا احبك أيضاً.»

تناولا شرابهما مبتسمان فرحان فتناهى إلى سمعهما من البعيد أصوات حركة المرور في اتجاههما. لم تعد لديهما أية رغبة الآن في ما قد يقدمه المعرض لهما. إنهما لبعضهما البعض وهذا الشعور ملأ قلبيهما بهجة.

ما من حاجة لشيء يقال، ولا خطط للشروع بها. انتهيا من شرابهما ونهضا. فاسرع فرناندو ليقطف زهرتين من الياسمين الفواح وداعب بهما نقنها ثم انحنى ليقبلها على وجنتها.

كانت روث لا تزال تمسك بيدها وبإحكام على زهرتي الياسمين، عندما أعادها فرناندو إلى الفندق وودعها على أمل لقائهما مجدداً في اليوم التالي.

كانت الأيام القليلة تمر بعاصفة من الحب الكبير. تمنت روث ألا تنتهي هذه الأيام لكن كان شيئاً في داخلها كان يقول لها أن عليها أن تضع حداً لهذا كله.

علاقتها مع فرناندو غيرت كل شيء. لحسن الحظ أن

ستيف كان مهتماً بماريا لويزا، الحسناء، كي لا يؤنبها ضميرها، لأنها أهملت عملها. في بعض الأوقات كان لفرناندو بعض الضغوطات العملية لمزاولتها، عندها تجمع فكرها للعمل والقيام ببعض الاتصالات المهمة للوكالة، لكن اسعد اوقاتها، هو الوقت الذي تقضيه مع من تحب.

زيارتهما إلى المعرض أصبحت أقل ترددا، أصبح اهتمام فرناندو الآن، أن يعرفها إلى الأماكن الهادئة في سفيل نفسها. زارا المعبد القديم وتأملاه بخشوع. جالا في الحدائق والجنائن واطعما الحمام الأبيض في ساحة اميركا. كانت السعادة تغمرهما وهما يتجاذبان الأحاديث حول طاولة في مطعم يتناولان اجود انواع الطعام.

في بعض الأيام وعندما يكون جو المدينة مزعجاً وخانقاً، كانا يذهبان إلى الريف الاندلسي، إلى أعلى التلال حيث الهواء المنعش والنقي. كان سكان القرى يرحبون بهما اجمل ترحيب وكانا يتوقفان احياناً ليرويا عطشهما بالمرطبات أو بالمياه المعدنية.

سألت روث: «هل ماجوركا تشبه هذه الأرياف؟» وكانا جالسين تحت شجرة مظللة، وهي تشعر بالحرارة والتعب بعد أن قطعا صعوداً الشوارع الضيقة من القرية، للعثور على مسلك قطيع الماعز الذي قد يرشدهما إلى منحدر التل وبالتالي إلى بستان زيتون منعزل.

قال وهو يضمها بذراعيه: «إنها اكثر اخضراراً وبرودة كما انها اجمل الف مرة وسوف ترينها بنفسك في يوم من الأيام.»

هل توافقه؟ تساءلت وهو ينقلها إلى عالمه المميز. وكان



ضميرها انذرها بأنها سوف تمر: قريباً إلى عالمها الحقيقي. ولكن، وككل مرة كان حب فرناندو يتغلب عليها وعلى كل شيء مجهول يتراءى لها. لقد كان عالمها الحقيقي.

هتفت روث: «آه، يا فرناندو، هذا بديع!»

«هل تمانعين؟»

حدقت روث بالجناح في فندقه بدهشة. كانت الغرفة ممتلئة بورود القرنفل باللونين الأبيض والزهري، وملأت الغرفة بالأريج الطيب. وكان على الطاولة في الشرفة شمعدان من الفضة والبلور والشموع تحترق بوهن مع دفء المساء.

كانت ليلتهما الأخيرة. ونظرت روث إلى فرناندو وهمست: «هذا ممتاز.» لكم كانت كرهت الأمر فيما لو امضيا ساعاتهما الأخيرة في مطعم يعج بالناس. لكن لا، من المستحيل أن تكون النهاية. لم يتكلما قط عن المستقبل وما قد يؤول إليه امرهما وما قد يحدث بعد أن تنتهي اعمالهما. ولكن عليهما ذلك، لأن حباً من هذا النوع يجب ألا ينتهي بهذا الشكل.

تناولا اطيب ما قدمه البحر من ثمار، والدجاج بصلصة اللوز، وفي حماية ضوء القمر حيث كانت حياة الليل في سفيل تعج بالحركة. وكانت ليلة كانشودة مخملية.

أحست روث بارتعاش في صدرها بينما كان فرناندو يمسك بيدها، وتسارعت الخفقات في قلب روث. انهما متحابان ومن المستحيل أن تكون النهاية...

«ابقي معي، ولا تعودي إلى بريطانيا.» همس فرناندو

بذلك، وهو يعقص خصلة من الشعر الأسود اللامع حول اصابعه وأردف: «أريد أن آخذك إلى مسقط رأسي، إلى ماجوركا، لتكوني في حياتي إلى الأبد.»

عضت روث شفتها وهي تحيط عنقه بذراعيها ثم دفنت رأسها على كتفه. وحاربت روث بيأس استرسال دموعها، إنه يريدها وهي تريده. لكن... لم تستطع التركيز بأفكارها... إنها حائرة... لقد حدث هذا كله بسرعة، في منتهى السرعة.

قالت له بهمس: «أحبك يا فرناندو. عليك أن تصدق ذلك...»

احست به متوتراً إلى جانبها، لكن كان هذا كاف لتعرف ما يجول في رأسه من افكار. ارادت أن تشرح له بأنهما في حاجة إلى مزيد من الوقت، ولكن بالطبع لم يكن هناك من وقت، ولا حتى قريب.

«إنني ملتزمة بمهام مع شريكي.» قالتها بهدوء وهي تناضل في داخلها من أجل كل كلمة تريد شرحها أو توضيحها. إنها لا تستطيع ترك ستيف في هذا الوقت الحرج بعد كل الذي قاما به سوياً لاتمام هذا العمل.

قال بانزعاج: «هل هذا فعلاً عائد لشريكك، أم أنك خائفة من الأخفاق مجدداً؟»

لم تستطع النظر إليه. لقد اطلعته على كل ما كان، من فسخ خطوبتها، وكم جرحت في اعماقها من جراء ذلك وكم هي تشعر بالحذر بعد تلك العلاقة. لكنها منحت نفسها بعض التفكير خلال الوقت الذي امضته مع فرناندو. لقد ملأ قلبها بأمل وحب جديد وبعد... إنها تحترق بالشكوك الآن.



إن فرناندو يحبها وسوف يرشدها إلى الطريق الصحيح، وسيقوم بالقرارات عنها. لم تكن تعلم كيف سيقوم بهذا، لكنها كانت متأكدة من ذلك.

www.elromancia.com

# الفصل الثاني

جلست روث قرب ستيف شاحبة الوجه كالشمع في انتظار اقلاع الطائرة. جلس ستيف صامتاً مثلها تماماً لكن صمتها كان يلفه الشقاء والألم فلم تسأله عمّا به أو لماذا هو صامت أيضاً.

كانت تتوقع قدوم فرناندو إلى المطار يحمل الورود الحمراء ويمطرها بأعذب الوعود. ولكن، هل فقدت عقلها؟ لقد كانت علاقة عابرة، وانتهت لا أكثر ولا أقل.

أغمضت روث عينيها بضغط شديد عليهما، وهي تجرض بريقها بمرارة بينما كانت الطائرة ترتفع في الأجواء. لكن الأمر لم ينتهِ عند هذا الحد، لأن فرناندو سيرا يحبها وسيلحق بها، ولن يجعلها تخرج من حياته إلى الأبد وبهذه السهولة. لقد ترددت معه كثيراً ولكن من غير الممكن أن يأخذ ترددها بمثابة رفض. سوف يفكر بهذا الأمر ملياً ويفهم مرادها وعندها سيلحق بها.

تحركت روث بملل وهي ممددة على أريكة في شرفة شقة بالما. وتأكدت الآن، وبعد مضي عام كامل، من أن ترددها كان أفدح خطأ ارتكبته في حياتها. كان عليها البقاء مع فرناندو، وكان عليها أن تكون شديدة الثقة بنفسها... وبه. عذرها الوحيد ان ذاك الأمر حدث بسرعة... بسرعة فائقة. إنها عاصفة هوجاء أطاحت بذلك الحب الرائع منذ ولادته في معرض سفيل في جنوب اسبانيا.



كانت تتساءل أحياناً، خلال السنة التي ولت، فيما إذا كان الأمر مختلفاً، إذا ذكر فرناندو فكرة الزواج منها. لكنه، لم يوضح بشيء وقتها، لقد طلب منها فقط البقاء معه، وهذا بعيد كل البعد عن أي وعد ملموس وقاطع. وتساءلت فيما لو كانت هي السبب الذي أبعده عنها بقولها له كل شيء عن خطوبتها السابقة وعن حذرها الشديد ازاء حب جديد قد يطرأ. وهكذا كان، لقد اخترق عالمها محدثاً تغييراً ملحوظاً بكل ما كانت تعتقد وتؤمن به. كانت حذرة قبلاً، أما الآن فهي شديدة الشك والارتياب من مفهوم العلاقات العاطفية برمتها. لم يكن هناك أي رجل يشغل أفكارها وأحاسيسها من تعرفها إلى فرناندو، وحتماً لن يكون الأخير. والآن أصبح عملها أكثر أهمية لها من أي وقت آخر.

ارتعشت روث وهي ما زالت في جلستها على الشرفة من قطرات ماء صغيرة تقع على ذراعها. للحظات أنعشها هذا الواقع وأخذها إلى دنيا الأحلام، وتراءى لها وهي تفتح عينيها ان فرناندو مقبل اليها بقامته المديدة، وهما في جزيرة ماجوركا، مسقط رأس فرناندو... وليس ستيف. مع ذلك، تأوهت وهي تطرف بعينيها الزرقاوين بتكاسل نحو شريكها... هذا ما بقي لها من دنيا الأحلام.

تفوهت بتهكم: «أليس لدي حق بأن امتع نفسي؟»

«حق.» قالها بانزعاج، وهو يضع قطعة من الثلج في كأس شراب بارد ثم يقدمه لها.

استوت روث في أريكتها بعد مرور نحو ساعة، تعرض نفسها لأشعة الشمس وهي تفكر من دون وعي لو كان فرناندو سيرا حقيقة متيم بها لما كان تركها بهذه السهولة.

أفكارها الآن مع ستيف. يا للحب المسكين، انه أشقر البشرة وليس في استطاعته احتمال أشعة الشمس كثيراً وماجوركا هذه المرة أكثر حرارة من أي فصل مضى، هذا بالنسبة اليه. لقد زار ماجوركا قبلاً أما روث فكانت تزورها للمرة الأولى. ابتسمت لستيف بينما كان يجلس إلى طاولة من الخيزران، متأكداً من انه تحت الخيمة الشديدة الاخضرار التي تتوج الشرفة، دون أن يتعرض لأشعة الشمس المتوهجة.

نظر إليها وهو يقرّب رزمة من الأوراق نحوها وتمتم: «لا أعلم لماذا تريدين كل اللهو والمتعة في هذه الرحلات. تعرضين نفسك إلى أشعة الشمس من أجل الحصول على اللون النحاسي بينما سبق وحصلت على بعض منه في العام الفائت. ألم يحذرك أحد من مخاطر التعرض الزائد لأشعة الشمس؟»

ابتسمت روث في داخلها. لأن التطرق إلى سفيل كان كفيلاً في ايقاظ همسة صغيرة في قلبها، وهذا تقدم عظيم. فمنذ أشهر أحست ان عملية القلب المفتوح ستكون العلاج الوحيد لمعاناتها.

قالت روث ممازحة: «نعم، أنت، غالباً كاذب وغيور. من المؤكد انك تعيش جحيماً مع كائن بشري لا يُعرف له حال واستقرار.»

قال ستيف بحرقة: «حسن، حسن، أنت تحبين تعذيب نفسك لكن لا تقولي اني لم أحذرك. فمع بلوغك سن الثلاثين سيصبح جلد بشرتك مثل حقيبة مدرستي القديمة.»

أجابته: «إذاً، سأقلق بشأن هذا عند بلوغي سن الثلاثين.»



قالتها روث وهي تصلح من شانها ثم أفلتت شعرها الأسود اللامع من عقدة حريرية وأخذت توزعه بحرية حول كتفيها. ثم تقدمت من ستيف مع كأسها. قبلت قمة رأسه قبل أن تجلس إلى جانبه. لو كان الرجال كلهم مثل ستيف ـ لطفاء وغير معقدين ـ لكانت الحياة ممتعة عندها.

رشفت روث قليلاً من كأسها وحدقت بستيف الذي كان منهمكاً بالمشروع الأخير، انه هدية من أكبر شركات الكومبيوتر في بريطانيا، وهو ينص على منح بائعيهم رحلات سخية إلى ماجوركا، وذلك لارتفاع نسبة المبيعات لديهم بشكل هائل.

انهما معاً في هذه الجزيرة البديعة من أجل وضع المخططات اللازمة لتلك المجموعة، الاتفاق مع مركز خدمات السياح، شركات الطيران، الفنادق الفخمة، يبذلان قصارى جهدهما لتقديم الأفضل للزبائن وبأفضل الأسعار، وبالطبع مع تمضية وقت جيد وممتع. لقد كانا متفقين في الرأي على انه ان لم تستطع اسعاد نفسك في الوقت الذي تدير فيه عملك، فما الهدف من تسيير عمل منحهما القدر الكبير من الحرية في السفر؟ بطريقة ما هذه الحكمة تلاشت منذ عودتهما من سفيل، لكن أياً منهما لم يأت على ذكرها.

اقترحت روث بتكاسل: «أظن انه من الواجب علينا القيام بعمل جدي أكثر.» ومدّت بساقيها من تحت الطاولة محدقة إلى البعيد نحو الخليج الأزرق من بالما بمراكبه ويخوته المنتشرة على جوانبه، وإلى كثرة المنازل والفنادق الفخمة. ذلك السهل الواسع الذي امتدت على جانبيه أشجار النخيل وقلعة بلفير المميزة وكأنها شرفة لذلك

www.elromancia.com

الخليج. فاختلج جسم روث بتأثر لهذا المنظر البديع. كانت عاصمة لجزيرة باليريك الشعبية من ماجوركا، طقسها حار ورطب، وتضج بالحياة. قضت أيامها السابقة مع فرناندو هناك على مسافة اثني عشر طابقاً، انها هناك بعقلها وروحها وقلبها مندفعة بقوة تتنسم الأجواء الملطفة بمن تحب وتهوى.

رشفت ببطء ما في كأسها وللحظات بقيت ممسكة به وهي تمسح بابهامها بلطف ما تكاثف حوله من ماء رطب، وهي تفكر بفرناندو وبالأيام السعيدة التي قضتها معه. وكانت تحاول جاهدة التغلب على هذه الذكرى. ارتعشت الكأس الفارغة في يدها وهي تضعها على الطاولة.

لقد وصلا إلى مطار بالما منذ يومين، وكان ستيف مبتهجاً لأن ذلك يمكّنه من تمضية أسبوعين رائعين من العمل والتسلية في آن واحد. وامتلأت نفس روث بتوقعات رهيبة قد تساعدها في الاسراع مجدداً نحو فرناندو. فهل سيكون في مقدورها التغلب على مشاعرها، خصوصاً بعد الذي جرى في سفيل؟

تمتمت روث: «نعم. لقد كانا يومين كافيين للتأقلم. سأرحل في اليوم التالي.»

«ترحلين إلى أين؟» سألها ستيف وهو لا يزال مهتماً بالأوراق التي بين يديه.

تمنت روث لو انها أخبرت ستيف عما حدث في العام الماضي، العلاقة التي سمحت بها لنفسها في تألق وحركة معرض سفيل، الماجوركي الرائع الذي التقت به وأحبته من أول نظرة. لو أخبرته لكان قد واجهها بالحقيقة الناصعة ـ



ليس عن قصد، لم يكن قاسياً بل واقعياً، وذلك لتواضع تقربه من كل شيء وكل شخص. الابحار ليلاً، عطلة رومانسية أو ما شابه، هذا ما كان يقترحه بعقلانية، وقد كان على حق بالطبع. كانت روث تعلم ذلك جيداً ولكن وجدت انه من الصعب تقبله في ذلك الوقت. وطأة ذلك الحب الذي سبب لها ألماً موجعاً من كان سيشاركها في تخفيف آلامها منه، ومن يكون أفضل من ستيف؟

قالت له: «سأذهب إلى بولنسا، وسألقي نظرة على الكوديا وأنا هناك.»

«على ما أذكر انه سبق واتفقنا بأني أنا من سيغطي تلك المنطقة.» وأضاف معيراً اياها الآن كل انتباهه، وعيناه تضيقان بتفحص: «لقد قلت انك ستتولين أمر الخدمات السياحية والخطوط الجوية هنا في بالما.»

قالت له روث بحزم: «لا، أنت الذي قلت اني سأتولى هذه الأمور، ووافقت في ذلك الوقت. أما الآن فلقد غيرت رأيي.»

لقد فكرت في ذلك الأمر كثيراً منذ اللحظة التي خططا لهذه الرحلة. الخروج من بالما سوف يقلل من فرصة العودة إلى فرناندو. فهو يملك هنا في العاصمة عدة فنادق وحتى أبعد من ذلك حول شاطىء بالما نوفا ومغالوف. بولنسا والكوديا تقعان في شمال الجزيرة ولا يملك فرناندو شيئاً في تلك المنطقة.

«بالاضافة إلى ذلك، أنا أهوى التغيير.» أضافتها مبعدة شعرها عن جبينها وهي تحدق إلى المدى البعيد من شرفة الشقة. تنهدت وعادت تقول: «انني بحاجة إلى الهواء النقي، العواصم تخنقني.»

سألها: «منذ متى هذا الكلام؟» ضحك ستيف معيداً نظره نحو الأوراق التي فوق الطاولة. في الحقيقة لم يرد معرفة ذلك وكانت روث ممتنة لعدم اهتمامه. كان هذا أحد الاسباب التي قربتهما من بعض. لقد كانا يفسحان المجال دائماً لبعضهما البعض.

قالت له روث: «أنا ذاهبة للاستحمام.» ونهضت من مكانها وتناولت الكأسين الفارغتين من فوق الطاولة وتابعت: «وبعدها سأقوم ببعض الاتصالات الهاتفية. أريد أن أتأكد من كل أسباب الراحة في بولنسا.»

استوى ستيف في مكانه بتكاسل وقال: «وأنا بحاجة إلى بعض المنبهات، سأعد لنفسي بعضاً منها.»

قاطعته روث بسخرية: «واشربها وحدك.» تنهدت وهي تخطو فوق البلاط الرخامي في الردهة الرحبة من الشقة التي تؤدي إلى المطبخ من أجل غسل الكأسين قبل أن تستحم ـ ستيف لن يغسلهما ان لم تفعل هي ذلك. وبدأت تفكر في الاستعراض الذي سيقام عند جانب البحيرة الرائعة مع هبوط الظلام والذي سيبقيها منهكة حتى مطلع الفجر.

«قلت لك ان التعرض كثيراً لأشعة الشمس تؤذيك. انها تؤثر على العقل أيضاً.»

رفعت روث رأسها قليلاً وهي تشعر بالدوران، كان ستيف واقفاً إلى جانبها في المطبخ، منحنياً ليقفل الحنفية. لقد وصل الماء إلى حافة المغسلة ثم سال فوق قدميها العاريتين.

سأل ستيف بهدوء: «إلى أين شردت بأفكارك؟»

ضحكت روث بعصبية، هذا ما تقوم به دائماً، تفكر في



فرناندو دائماً وتنسى المفاتيح والحنفيات والمقالي فوق الموقد... «كنت... كنت أخطط لكيفية الوصول... في رأسي... كيف سأقود السيارة إلى بولنسا.» قالتها بسرعة لتغطي ما بدا عليها من احراج.

«لا، القيادة إلى سفيل؟» اقترح ستيف ذلك بجفاء وهو ينحني ليمسح الماء عن قدميها.

ابتعدت روث عن طريقه، وهي تحس بالاختناق. انها المرة الثانية بعد ظهر هذا اليوم التي يذكر فيها سفيل وفيها نوع من المصادفة. لكن لا، انه توارد أفكار. فماجوركا هي اسبانيا.

«هل سنتناول طعامنا هذه الليلة هنا أم خارجاً؟» سألته ذلك وهي تأخذ من يده الاسفنجة المبللة بالماء وتعصرها بقوة في المغسلة.

اقترح ستيف بسخرية: «في هذه الظروف أظن انه أكثر أماناً لو خرجنا. المرأة تخيفني في أوقات معينة من الشهر.»

شدت روث على أسنانها وقالت: «وبملاحظة كهذه، أليس من العجب انك ما زلت تحوم كالدجاج من أجل العثور على امرأة تشاركك حياتك التعيسة؟»

ضحك ستيف ضحكة غير طبيعية، مما دفع روث إلى التحديق به بعينين متسعتين ملؤهما الدهشة. ومع انه كان مستغرقاً في الضحك لم يبدُ ذلك في عينيه. هل بهذه الملاحظة أقلقت أحاسيسه وطعنته في الصميم؟ لكنها لم تتخيل قط ان ستيف من النوع الذي يحبذ الزواج...

قالت: «أنا آسفة، لقد كانت ملاحظة خالية من الاحساس

واعتذر عن قولها.» متذكرة ان لستيف حتماً قائمة بالعلاقات الفاشلة. هذا خياره، وهذا ما افترضته دائماً، لكن ربما هذه ليست القصة كلها. ربما كانت تعني له ماريا لويز في سفيل بقدر ما كان يعني لها فرناندو.

تنهد ستيف: «لا. على الأرجح انك على حق. أنا أستحق كل هذا. والآن، ماذا تودين أن نتناول من طعام هذه الليلة؟ طعاماً صينياً أم يابانياً؟»

ابتسمت روث: «ما رأيك في ثمار البحر، على طريقة ماجوركا؟ في مكان ما على شاطىء البحر.»

«ما رأيك عند الميناء، حيث تتلاقى الطبقة الراقية لترويج هذا المشروع؟» واضاف بتودد: «رفقة مبهجة.»

ضمته روث إلى صدرها وطبعت قبلة على خده. «متكلم رقيق. امهلني ثماني ساعات للاستعداد وأكون بعد ذلك جاهزة.»

«حسناً، أيتها الصغيرة الحسناء، خذي الوقت الذي تحتاجينه، لكن أصر وبقوة على تناولك الشراب المنبّه قبل مغادرتنا، تبدين وكأنك مقيدة بسلاسل حديدية.»

واصلت روث ضحكها وهي تقفل باب الحمام من ورائها. لم تكن بالوصف الذي وصفها به ستيف، فقط منفعلة قليلاً من فكرة الرجوع إلى فرناندو. لكن مساحة الجزيرة تبلغ ثلاثة آلاف وستمائة وأربعين كيلومتراً، هذا ما قرأته في كتاب الدليل السياحي، وفرص هذا الرجوع ضئيلة بالنسبة إلى مساحة الجزيرة. فلا داعي للخوف إذاً.

«هذا المكان رائع!» قالت روث ذلك بحماس بينما كان الساقي يرافقهما إلى طاولة قرب النافذة.



أردف ستيف بثقة وهما يجلسان: «أنا أعرف المطاعم الجيدة.»

كان المطعم المكيف يضم أثاثاً جميلاً بقماش مخملي من اللون الرمادي الفاتح. كانت الأضواء تشع من الميناء حيث ترسو المراكب واليخوت وعلى مقربة من الخليج، وتتلألأ أضواء «بالما» لتنير أشجار النخيل وكانت الرؤية مذهلة وسحرها في الليل فاق سحرها في النهار.

هذا المشهد ذكر روث بالذي كانت عليه في مطاعم سفيل عند جانب البحيرة خلال فترة عملها في المعرض... كلا، من غير الممكن الاستمرار على هذا النمط من العيش في أحلام الماضي. قطعت الأفكار التي تملأ رأسها وحصرت اهتمامها في ما كان يقوله ستيف وهي تراقب يختاً كبيراً مشعاً بلونه الأبيض يتقدم ليرسو عند الميناء لا تفصله سوى خمسين متراً من نافذة المطعم.

«أعرف ان الكركند باهظ الثمن في هذا المكان. لكن وكما تعرفين، فأنا أعقد آمالاً كبيرة على الاتفاقية الأخيرة...»

حدقت روث إلى الخارج وهي لا تصدق ما تراه عيناها، وفغرت فاها بذهول. لا يمكن أن يكون هذا! لا يمكن حدوث هذا! لا، انها على خطأ، هذا لا يمكن حدوثه أبداً!

تحركت روث بانزعاج وأحست بعدم ارتياح في ثوبها الأزرق السماوي المصنوع من الحرير الصيني الفاخر. هذا جنون، ففي هذه اللحظة المكدرة، قسم منها جلب الشوق والحماس إلى قلبها وقسم آخر أدخل الرعب اليه، والشيء الوحيد الذي استطاعت التفكير فيه، هو اختيارها الحكيم للثوب الذي ارتدته لهذه الليلة. لم يبدُ على أحد

التأنق في هذه الأيام، لكن الليلة بدت وكأنها... كأنها...

انه فرناندو سيرا بجاذبيته المعهودة، واقفاً على متن اليخت بقامته المديدة بينما أفراد طاقمه يحكمون ربط الحبال عند حاجز الماء. كان يبدو دائماً لطيفاً ومتأنقاً من دون أن يكلف نفسه عناء ذلك وهذه الليلة بدا مختلفاً. كان مرتدياً وعلى غير عادته سروالاً أبيض ضيقاً وقميصاً من اللون نفسه ذا أكمام قصيرة وكان شيئاً ما أكد لروث أنها من النوع الحريري. استطاعت أن تحس جودتها تقريباً، قماش ناعم اكتسب دفئاً من ملامسة جسده الرياضي. كان في استطاعتها تنسم رائحة عطره أيضاً، وكأنه بين ذراعيها في هذه اللحظات.

«ستيف.» تمتمت روث بعد أن طلب ما يريدانه من عصير. أحست بعدم انتظام دقات قلبها وحرارة تسري في جسدها وبحاجة ماسة إلى التكلم ـ الآن. الهروب خيار سهل لكنه حل ملؤه الجبن. فهي امرأة عملية، ناضجة وناجحة، وليست مراهقة غبية محرجة عليها أن تكافح، وتواجه هذا الأمر بشجاعة وتضع حداً له.

رفع ستيف نظره عن لائحة الطعام التي كان يتفحصها بتلذذ ليرى ما وراء روث. لم يكن في استطاعته رؤية اليخت من مكانه وهذا ما طمأن روث. لم يكن في استطاعته أيضاً رؤية فرناندو سيرا ومرافقيه واختفى طاقمه في ظلام الليل. راقبت روث بفضول ساقياً من المطعم يخطو بكبرياء نحو اليخت رافعاً صينية من الفضة على رؤوس أصابعه تتوازى باتقان فوق رأسه. وقد حوت الصينية زجاجة شراب بارد وكأسين بعنق طويل. وبدت لائحة الطعام بين زجاجة



الشراب والكأسين. قد يتناولان العشاء فوق اليخت أو يغادرانه لاحقاً لتناوله في هذا المطعم. أرادت روث الرحيل لكنها بدت وكأن صاعقة صعقتها وأقعدتها في مكانها من احتمالها الأخير، وهذا يعني ان قرار رحيلها أو بقائها أصبح خارجاً عن إرادتها.

«نعم.» قالها ستيف وكأنه يحثها على الكلام، فمالت روث بعينيها نحوه مبتسمة. لم تعرف لمن تتأسف أكثر لنفسها أم لستيف.

قالت بهدوء: «كلمني عن ماريا لويزا.»

بدا ستيف وكأنه تلقى صفعة قوية على وجهه. وفهمت في هذه اللحظة ان المضيفة الحسناء كانت شيئاً مميزاً في حياته. انها في حياته تؤلمه وتقض عليه مضجعه. وتساءلت كيف انها لم تلاحظ أية دلائل لذاك الحب قبل هذه اللحظة. لكن من المؤكد انها كانت وقتها تلتف ببؤسها وعذابها وكان من المتعذر عليها ملاحظة أي شخص آخر. وشعرت بالذنب الفظيع لذلك.

سأل ستيف بعد أن تلاشت الصدمة من الذي تطرقت اليه روث: «كيف تطرقت لهذا الموضوع؟»

هزت روث كتفيها من دون مبالاة وقالت: «وجودنا في ماجوركا جعلني أتذكر سفيل. لم نأت قبلاً على ذكر ذاك الجانب الخاص من الرحلة، هذا ما أقصده. ويبدو لي ان الوقت الآن أكثر ملاءمة للتطرق إلى هكذا مواضيع.»

سأل ستيف وهو يشعر بعدم الارتياح: «لماذا تريدين معرفة ذلك؟»

أخفضت روث حاجبيها الداكنتين وأخذت تعبث بالسكين

الذي فوق المائدة. «فقط أريد معرفة ذلك.» بدأت كلامها ثم توقفت لتتنفس بعمق. «أظن انك لا تذكر ذلك الرجل الذي كنت برفقته في الحفلة التي أقامتها الخطوط الايبارية...»

«الرجل الذي أقمت علاقة معه؟»

اتسعت عينا روث بشك. «كيف؟...»

«اسمعي يا روث، هل تظنيني أحمق لهذه الدرجة أو ما شابه؟ لم اشاهدك لأيام بعد تلك الحفلة.»

قالت رداً على ذلك: «وأنا لم أشاهدك أيضاً.» قال وهو يهز كتفيه: «إذاً لقد كنا كلانا مرتبطين. لكن ما الذي جعلك تنكرين هذا الآن؟»

«أردت فقط الحديث عنها. كانت... كانت العلاقة عاطفية. لقد أمضينا كل دقيقة متاحة مع بعضنا البعض. تحدثنا ولهونا كلما سنحت لنا الفرصة.» تأوهت ببؤس للذكريات التي ضاعت منها. «وفجأة انتهى كل شيء. مع انتهاء رحلتنا انتهى كل شيء.»

هزّ ستيف كتفيه من دون مبالاة وكأنه لا يريد أن يفسد هذه الأمسية عليه. «اسمعي، لا أرى أية علاقة لماريا لويزا بالذي تتحدثين عنه. أعني، انني على استعداد للاصغاء فيما لو أردت أن تروحي عن نفسك...»

قاطعته روث بالحاح: «أردت أن أعرف فقط ان كنت أحببتها يوماً.» كانت تعلم ان ذلك في غاية الأهمية من أجلها ومن أجل ستيف. أرادت أن تتعرف إلى الحب، وذلك من جانب الرجل.

«نعم، لقد أحببتها.» اعترف ستيف على مضض وتراجع قليلاً ليفسح المجال أمام الساقي ليسكب العصير في كأسيهما.



توقفت روث عن الكلام لحين الانتهاء من طلب الطعام.

«أحببتها، تعني في ظرف الماضي، هل هذا يعني انك لا تحبها الآن؟» قالت روث ذلك وهي تحدق إلى ما أبعد منه، خلف كتفه اليمنى إلى اليخت الذي يحوي على متنه شخصين جميلين تعانق ضحكاتهما هواء البحر العليل وهما يرشفان الشراب البارد. وهبت نسمة دافئة داعبت خصلات شعرها الأسود ثم رفعت رأسها تحدق بهيام برفيقها. اغرورقت الدموع في عيني روث لقساوة ومرارة الحياة وحاولت جاهدة كي لا تنهمر على وجنتيها.

مدّ ستيف يده عبر الطاولة وأمسك بيدها. «لا تبدين على ما يرام، أراك منقبضة وكأنك تودين البكاء. ما الأمر؟»

اجابته: «لا، ليس كما تظن.» ابتسمت روث، وهي تضغط على يده. «انها... انها فقط الحياة المثقلة بالهموم وقد حملت عبء تلك العاطفة منذ كنت في سفيل وانشد الحرية والخلاص منها.» واتسعت عيناها الزرقاوان من تحت أهدابها الداكنة من شدة الانفعال. «ستيف، أعتبرك أفضل شريك عمل لي وبالتالي أفضل صديق.»

قال لها ستيف بلطف: «كما أنت بالنسبة لي.»

«وأريد معرفة أشياء، إذا ما أحببت ماريا لويزا أو إذا ما زلت على حبها... ما زلت، أليس كذلك؟» سألته بجدية. «لماذا تركت ذاك الحب يفلت من يديك؟»

رفع ستيف كأس العصير ورشف بعضاً منه وأخذ يحركه قبل ابتلاعه وكأنه يغسل فمه. كانت اشارة مؤكدة لروث أن ستيف لم يقم بأي ارتباط عاطفي. ربما مع فرناندو... لكنه لم يفعل... وهذا ما كان المحزن في

الأمر كله. لقد كان فرناندو سيرا رائعاً إلى درجة مذهلة.

قال لها ستيف بعد ما أعاد كأسه إلى الطاولة: «ألا تظنين انه من الأفضل أن تسألي حبيبك هذا السؤال وليس أنا؟ ذلك انك لا تريدين جوابي بل جوابه.»

هزت روث رأسها وقالت: «انك على حق. لكن هذا غير مستطاع وأنت الرجل الذي يجاورني وفي امكانه مساعدتي. أريد معرفة وجهة نظر رجل لهكذا نوع من الحب فجميعنا نقع في شباكه في بعض فترات حياتنا.» وجاء صوتها يحمل بعض السخرية.

«إلى أي حد؟ هذا لن يساعد، أنت تعلمين ذلك. سوف تظلين حاملة عبء تلك العاطفة أينما حللت، متسائلة ما الذي تفوهت به أو لم تتفوهي به مما أبعده عنك. انني أؤمن بالمكتوب، هل فهمت. أؤمن بأن المقدر سيكون، ولا أستطيع تغيير مجرى الأحداث، بهذا الأسلوب أعيش حياتي. لقد أحببت ماريا لويزا العام الفائت، وظننت انها أحبتني بدورها. وبعد سفيل لم يحدث أي جديد. هذه هي الحياة!»

انتفضت روث بجزع. «هل أعتبر كلامك مفهوم فلسفة عامة للرجل، محو كل ما كان وكأنه لم يكن؟»

«أستطيع التكلم فقط عن نفسي.» قال ستيف ذلك وكأنه يحاول صرف نظرها عن الموضوع.

«لكن، ألم تتصل بها هاتفياً بعد سفيل، أو تكاتبها أو ترسل إليها باقة من الزهر؟ قل الحقيقة يا ستيف، لقد أحببت الفتاة. كيف تركتها تفلت من يدك؟»

دنا ستيف منها، وبدا في عينيه تصميم ممزوج بحزن، بجرح عميق. «روث، يا عزيزتي، السبب في انه لم يكن هناك



أي شيء جدي أو ظاهر في الأفق. لقد اتصلت بها هاتفياً بالطبع، وتركت رسائل، التصرفات الغبية المعتادة التي يقوم بها الرجال في أوقات جنونهم.»

«أزهار؟»

«لا أزهار.»

«رسائل حب.»

«لا رسائل حب.»

«أعتقد انك لم تتعب نفسك كفاية.» أردفت روث، بصوت خافت وقد تزايد رواد المطعم.

«ما الذي يحوجني إلى ذلك يا روث. هذا كل ما في الأمر. لو كان شعورها صادقاً مثل شعوري لما كنت في حاجة لكل هذه الأمور. اتصلت بها هاتفياً، عدة مرات، لم تكن موجودة مرة وتركت لها رسائل. لم تعاود الاتصال. لم تهتم بما فيه الكفاية ـ انه الواقع، الواقع الأليم، انها لم تهتم كفاية.»

استوت روث في مقعدها وهي تضغط على كلتا يديها باحكام لدرجة ان ذلك آلمها. هذا ما أرادت معرفته، الحقيقة لو أحبها فرناندو فعلاً لحاول المستحيل لاستردادها. كانت في الليلة الأخيرة التي جمعتهما غير واضحة معه، تختلق الأعذار التي تجبرها على العودة إلى بريطانيا، وكانت تتوقع من فرناندو أن يتخطى كل أعذارها ويجري وراءها تماماً مثل تقرب رجل الكهف نحو المرأة. وعلى الرغم من أن التحرر سائد العالم اليوم، فإن أكثر نساء العالم يرغبن بشدة في هذه الطريقة، والمثير للدهشة، ان روث واحدة منهن.

قال وهو لا يزال يشعر بخسارته: «إذاً تابعي.»

«ما الذي تريد سماعه، إعادة ما سبق وقلته لي؟»

«ان كنت تعتقدين ان ذلك يفيدك، كرري ما شئت.»

تنهدت روث. «أردت فعلاً التكلم عن ذلك، ولكني أصبحت الآن حائرة وغير متأكدة. يبدو انك جعلت الأمر أكثر غموضاً.»

«انك تشعرينني الآن بعدم الارتياح. وأظن انك حذفت شيئاً من قصتك، ولا لوم علي بذلك. تكلمي عنه يا روث. ومن حيث لا تعلمين قد أكتشف أخطاء أكون قد اقترفتها.»

قالت روث بهدوء: «لا أظن انك اقترفت خطأ واحداً. أعتقد انك قمت بكل ما تستطيع القيام به، والظاهر انه لم يكن كاف، ليس عن قصد. مثل فرناندو وأنا، على ما أعتقد.»

حولت روث نظرها إلى ما فوق كتفي ستيف. فرناندو ورفيقته الحسناء لا يزالان على متن اليخت، يضحكان، ويمضيان وقتاً ممتعاً وهما يرشفان الشراب تحت ضوء القمر. انه مشهد من مسرحية عاطفية، مشهد يقهر النفس تشهده روث مكرهة. ما كانت ابتعدت لو كانت حياتها متوقفة عليه.

قالت روث بعياء ظاهر: «لقد أحببته.» فمدّ ستيف يده عبر الطاولة محتضناً يدها براحة بالغة. تابعت قولها بهمس: «أحبه كثيراً يا ستيف. كان الأفضل، بالنسبة إلي من أي شخص آخر. لقد أعلن عن حبه لي وطلب مني البقاء...» وهزت رأسها بيأس. «لم أرد... ظننت... آه، كنت حائرة، لم أصدق ان من الممكن الوقوع في الحب بهذه السهولة. وأظن ان الذي أردته في الحقيقة هو السيطرة على الأمور.»



ضحك ستيف. «هذا لا يبدو عليك قطعياً.»

كان على روث الابتسام لأنها بالتأكيد ليست هكذا. «أعرف أن في امكاني أن أكون حازمة في ما يخص العمل، لكن ما كان يعني فرناندو جعلني أكثر أنوثة. أعلم انه طلب مني البقاء لكنني أردت بعض الوقت لاستجلاء بعض المواقف.» واتسعت ابتسامتها. «أردت أن يركض ورائي، وددت لو انه اقتحم شارع البيكادللي على صهوة فرس بيضاء، لكنني أردت تأكيدات حازمة بأنه فعلاً أحبني. ربما... ربما كنت وثقت به لو انه عرض علي الزواج، لكنه لم يأت على ذكر ذلك. لم يتصل بي، أو يرسل لي باقات الزهر، أو يراسلني...» ضغطت روث على عنق كأسها وأخذت تشرب بانفعال.

ابتسم ستيف. «يا لفتاتي، تصبح عرضة للانقلاب لتصبح جشعة، أتعلمين انني أتحول مثلك؟»

خفّ التوتر وضحكا معاً لأنهما كانا يعلمان جيداً أن ذلك مستحيل، أن تصبح عرضة للانقلاب لتصبح جشعة وهو يتحول مثلها.

«نظرية جديدة.» اقترح ستيف ببهجة، وهو يبذل قصارى جهده ليبهجها. «لم نكن متحابين بتاتاً. لقد كنا منهمكين فقط بمعرض أفوريا. لو ان فرناندو سيرا وماريا لويزا يدخلان هذا المطعم الآن.»

بللت روث محرمة من الورق وأخذت تمسح بها وجهها. هذا حتماً سيشكل مشهداً بغيضاً.

«هل أصبحت أفضل الآن؟» سألها ستيف وهو يبتسم ابتسامة واسعة، بعد أن انتهت أخيراً من [illegible]

هزت رأسها، وكأنها تراهن من جديد على مشاعرها بينما كانت تتناول المزيد من العصير. «أظن انك على حق. ظاهرياً قد يبدو التشابه مثيراً، عشاء في الريتز على ضوء الشموع، ربما.» وأخذت تقهقه. «ربما لا، ولكنني فهمت قصدك. لقد كانت الإقامة في سفيل ساحرة وممتعة وأظن ان الحب في تلك الظروف متعذر تجنبه، ولكن لي نظريتي أيضاً. لقد وقعنا في حب اثنين من الاسبان مع ان فرناندو... ماجوركي. لقد قال ان هناك اختلاف... أعني بين الاسباني والماجوركي...»

كانت ترتعش وفهمت سبب ارتعاشها، لكنها لم تستطع ايقاف ذلك. لم تكن عرضة للانقلاب، شيء أقوى من ذلك، شعورها بالمرارة. اختفت الحسناء من جانب فرناندو، وانحنى فوق الدرابزين ينتظرها وهو يحدق بأبنية الميناء. بدا جذاباً، وتساءلت فيما لو تذكرها مرة منذ سفيل، أو لم يخرجها من أفكاره ولو لمرة واحدة.

تابعت: «كان فرناندو مغروراً، مثيراً، وفي غاية السحر و...»

أكمل ستيف كلامها: «كم هو حقير.»

عبست روث. «لم أكن في حاجة لتقول لي هذا، ولكن شكراً على ملاحظاتك. وان كان هو كذلك، كذلك أنت.»

«لماذا؟ أبسبب عدم اهتمامي بماريا لويزا؟ فارق بسيط. لقد أحببت ماريا لويزا وحاولت معها. هل حاول فرناندو معك؟ لا، أبداً.» توقف فجأة، ملاحظاً أنه جرح مشاعرها: قال متمتماً: «آسف. لم يكن ذلك لبقاً مني، أليس كذلك؟ إذاً ما هي نظريتك؟»



«لقد احببنا غريبين. انهما اسبانية، وماجوركي على أي حال انهما مختلفان، مغايران عنا.»

استرسل ستيف في الضحك بصوت عالٍ، وبما أنه في اسبانيا لم ينظر اليه أحد من رواد المطعم باستهجان، فهي أحد أكثر بلدان العالم صخباً. واستغلت روث هذا الأمر لتثبت نظريتها.

«أرأيت، هذا ما عنيته. لم تهتز شعرة من رؤوس الرواد بسبب ضحكتك الخشنة. لو حدث هذا في نايتس بريدج، لاستهجنوا جميعاً فعلتك هذه. انهم غير متشابهين. قد تكون هذه أوروبا وجميعنا أوروبيون الآن لكن ما زلنا نختلف.»

صاح ستيف باستهزاء: «فليحيا الاختلاف!»

ردد أحدهم من الطاولة المقابلة لهما ما قاله ستيف ولكن بلهجة مختلفة، والتفتت روث لتبتسم له وهي ترفع كأسها لتشرب منه.

«أرأيت.» همست روث وهي تعاود النظر إلى ستيف مانحة اياه كل اهتمامها: «أرأيت. لا يمكن حدوث هذا في بريطانيا. نحن قوم محافظون إلى ابعد الحدود. فرناندو وماريا لويزا مختلفان.»

«وما علاقة هذا بالحب؟»

تأوهت بارهاق وعادت تلهو مجدداً بالسكين التي أمامها. «لست متأكدة. افكر دائماً بأنه لا بد وان يكون هناك سبب منطقي دفع فرناندو إلى تركي بهذه السهولة...»

«كم أنت حمقاء. ما الذي اوقفك عن ملاحقته. أهو كبرياء المرأة، غير المنطقية؟»

وافقت روث: «من المحتمل، لكن هذا لا يبدل الواقع الذي

www.elromancia.com

حمل فرناندو وماريا لويزا على هجرنا، وقد يكون لهذا صلة بطريقة عيشهم وثقافتهم، شيء لم نفهمه منذ البداية، شيء اخطأنا فيه.»

قال ستيف بسخرية: «لقد اخذنا الأمر بجدية مطلقة، هذا ما اخطأ به، يا عزيزتي. لقد تكلمنا عن الحب بأعذب الألفاظ لكنهما كانا أكثر نكاءاً مما ظننا. لقد اتخذوا سفيل بما كانت عليه ولم يكن يوما الحب الذي عنوه. كانت فقط احدى تلك العلاقات العابرة!»

اغرورقت عينا روث بالدموع من التصريح الذي اعلنه ستيف. الحب. تكلم عنه فرناندو كما تكلمت هي عنه. لكنه تلاشى وتبخر لسوء استعمال اغلى كلمة على الاطلاق في العالم ـ احبك!

مال ستيف نحو الطاولة وامسك يدها الصغيرة بكلتا يديه. «تعلمين أن هناك خيطاً رفيعاً ما بين الحب والافتتان. وهناك هوة كبيرة بين الاثنين. لقد افتتنت قبلاً باحداهن، ولكن لا شيء يذكر بالنسبة لما اعانيه الآن من الم. لقد أحببت ماريا لويزا...»

الحت روث: «كما احببت فرناندو.» ولاعبت خصلة من شعرها الحريري. وما زالت تحبه. عرفت ذلك من تلاحق الوقائع. إنه هناك في الخارج إلى ما ابعد من النافذة، يعتني بامرأة جميلة في يخته الفخم، وهي هنا تشعر بالألم واليأس والعذاب والحسد التي لا تتمناها لأحد اعدائها إذا كان لها اعداء. الحب أو لا شيء. لقد احمكت اختيارها. واللاشيء كان معناه الوحدة الدائمة.

تابع ستيف بجدية: «لكني ما زلت متشبثاً بالفكرة



وإنني مخطيء في تقديري. ربما لم اكن مغرماً وكان ذلك مجرد افتتان بالفعل.» توقف وبدا كأنه مهجور كما شعرت روث. «لكني اشك في معرفة ذلك بالتأكيد وذلك لأني لن اراها مرة اخرى وسأعرف الحقيقة إذا التقيت بها يوماً وجهاً لوجه.»

شحب وجه روث واحست بقلبها يهوي بينما عادت تنظر إلى ما وراء ستيف مرة اخرى. كان فرناندو ورفيقته يستعدان للمجيء إلى الشاطيء، وكان يساعدها في النزول، سيدلبق كعادته. قريباً جداً سوف ينقشع سر الحياة، أما روث فتفضل معرفة سر الموت.

«إنك تؤمن بالقدر، الست كذلك؟» تنفست روث بحرارة ونظر إليها ستيف بفضول. حين تابعت:

«ستيف، بعد هذه الليلة ستأخذ على نفسك عهداً بالامتناع...»

ضحك ستيف بتردد وقال: «ما الذي دهاك؟»

«روث، إنك ترتجفين...»

قالت بحزن: «سوف اموت يا ستيف! اريد الموت!» أغمضت عينيها وهي تعض على شفتها ورددت في نفسها دعاء ارادت به خلاصها من هذا الجحيم.

«لا تكوني سخيفة، لقد اكثرت من الشراب، هذا كل شيء.»

اهتزت روث وهي تفتح عينيها بذهول والواقعة قد وقعت. انهما هنا، في هذا المطعم، كان فرناندو يثرثر مع الساقي. سيرشدهما إلى طاولتهما وكانت هناك واحدة غير شاغرة ـ محجوزة، بالطبع ـ وتقع خلف ستيف.

همست روث مرتجفة: «ستيف، اردت أن اخبرك عن

فرناندو هذه الليلة لأنه... عند وصولنا إلى هذا المكان، وصل هو.»

رفع ستيف حاجبيه مستغرباً وتنهد وهو غير مصدق. «أهو هنا؟»

هزت روث رأسها ايجاباً. «وكما أرى انه سيجلس إلى الطاولة خلفك.»

«اتريدين مغادرة المكان؟» قال لها ذلك وهو يعود إلى مسك يدها وكأنه يحميها من شيء ما.

همست بتعب: «لقد فات الأوان!» كانا قادمين نحوهما الآن ولم يلاحظ فرناندو وجودها بعد، لقد كان هذا مريعاً.

قال ستيف ملاطفاً: «مسكينة يا عزيزتي.» ثم ابتسم بطريقته الصبيانية كعادته ليبهجها لكنها تتأثر هذه المرة لأنها ليست في المكان المناسب.

«لكن عليك مواجهة الأمر، يا عزيزتي، وقد لا يكون الأمر صعباً كما تظنين. اصمدي، كوني شجاعة الوقت كفيل بمعالجة الأمور...»

همست روث: «خفف من سماجتك أرجوك!»

ابتسم ستيف وسأل: «أين روحك المرحة؟»

«ارجو أن تتمتع بها أنت عندما ترى من ترافقه. هل أنت على استعداد لذلك يا ستيف؟»

لقد حان الوقت. ونهضت روث من مكانها بتوتر وانفعال شديدين وكانت على وشك أن تسحب معها غطاء الطاولة. تجمد فرناندو في مكانه ورفيقته الحسناء ذات الشعر الأسود الداكن توارت تقريباً خلفه.

فكرت روث وهي في انفعالها هذا لو صور هذا المشهد



على شريط سينمائي، لأنه من المتعذر النظر إلى ثلاثة اشخاص في الوقت نفسه من دون أن يخطىء المرء شيئاً.

هتفت روث: «فرناندو! من المبهج أن اراك ثانية...» قريباً سيقام مهرجان عند خليج بالما يتخلله اطلاق من الأسهم النارية التي تصم الآذان.

«ماريا لويزا ايضاً هنا. حسناً، أليس هذا رائعاً؟ سفيل باكملها هنا مرة أخرى.»

همس ستيف لاهثا بغضب: «يا إلهي!»

www.elromancia.com

# الفصل الثالث

كأن المطعم خلا من زبائنه ومن ضجيجهم. فقط شخصان تضج بهما الحياة فرحاً ومرحاً. فكرة واحدة قيدت روث بقوة وهي حلقة مفرغة ملؤها اليأس، لكن ماذا عن الرجل الذي أحبته ووهبته كيانها، بماذا يفكر يا ترى؟ والحل الذي استطاعت الوصول إليه في هذه اللحظات الحرجة، هو السيطرة على اعصابها لتتفادى وقع صدمة اللقاء بالحبيب السابق وجهاً لوجه بينما يقف الحالي إلى جانبها صامتاً.

اطلت برودة غير مبالية من عيني فرناندو بعد أن تلاشت صدمة اللقاء ببعضهما حين كانت روث تتفوه بملاحظات لا معنى لها وكأن اصداء ذكريات الماضي القريب ما زالت تكمن في اعماقها ثم بصوت لم يعط ادنى دليل على أنه صوتها ورأته يرمق مرافقته بنظرة قلقة حذرة، وملأت عينيها غشاوة وهي تطيل التحديق بوجه ستيف. خيم في تلك الأثناء صمت مريك إلى أن استطاعت روث أن تبدأ بثرثرة لا معنى لها مما شجع فرناندو إلى التمسك بزمام الأمور.

قال بهدوء: «سنتشارك العشاء، بالطبع.» والتفت نحو الساقي، لكن قبل السؤال عن طاولة أكثر ملاءمة، اعترضت ماريا لويزا واسرعت بالخروج من المطعم.

تصرف ستيف بسرعة، وأخذ يسرع خلفها. تجهم وجه



فرناندو وكان على وشك اللحاق بها عندما اسرعت روث لتمسك بذراعه وتمنعه.

نظرا إلى بعضهما البعض. لم تكن هناك أي حاجة للكلام. وفهم كل منهما أن هذا ليس اللقاء الأول بين ستيف وماريا لويزا.

سقطت روث فوق مقعدها. ضائعة بكل ما قد حدث وما جرى. لم تعرف ما هو الأفضل للقيام أو التفوه به، حتى لو كانت تعرف، فعقلها وقلبها كانا عاجزين عن أية مبادرة. جلس فرناندو في المقعد الذي خلاه ستيف، موجها الكلام إلى الساقي بلهجة سريعة قبل أن يعيرها اهتمامه.

قال بايجاز: «إذاً انت في ماجوركا. من أجل ماذا؟» وكأنه غير مهتم سلفاً بالجواب الذي ستدلي به. وهذا ما اثلج قلب روث ببرودة شديدة.

قالت له متمالكة اعصابها: «من أجل العمل.» وكأنها تفتش في أعماق نفسه عن شيء يشير إلى الذي كان يربطهما في سفيل. لكنها لم تهتد إلى شيء وآلمها هذا بشدة. لقد اوضحت كلامها وبينت بإيجاز اسباب وجودها في هذه الجزيرة وكان فرناندو مصغياً، وهو يهز رأسه من وقت إلى آخر.

«ربما في استطاعتي مساعدتك. لي معارف كثر في هذه الجزيرة. و...»

قاطعته بسرعة: «لدينا ما فيه الكفاية لأنفسنا.» لا تستطيع قبول أية مساعدة منه. لأن ذلك سيتطلب لقاءات متكررة وهذا غير قابل للإحتمال. وتابعت:

«لكن... لكن اشكر عرضك هذا.»

«هل انتما متحابان؟»

طرح سؤاله هذا بهدوء، سؤال لم تتوقعه روث. فهزها ذلك بعنف وايقظ منها حواسها الملتهبة. وارادت الرد بتهكم.

«تعني مع هذا الساقي الذي يحوم حولي؟» وانتقلت عيناها الزرقاوان نحو الساقي وكأنها تعنيه فعلاً بكلامها.

ضاقت عينا فرناندو السوداوان بغضب ظاهر لتستقرا بعدها على الساقي. وطلب شراباً وبعض انواع المقبلات الملائمة. وحالما انتهى من طلبه اعارها كل اهتمامه مرة اخرى.

«اظن أن من المفروض أن اتوقع ملاحظة كهذه منك، لكن وعلى اية حال...»

قاطعته روث بانكسار: «لكن على أية حال.» شعرت نفسك مناسباً تماماً لطرح ذاك السؤال. لم افقد يوماً روحي المرحة منذ آخر مرة التقينا فيها، يا فرناندو، ولكن أنت من فقدها.» لقد اضاع اكثر من هذا بكثير، هذا ما لاحظته روث. مازال ذاك الاسمر الجذاب كما كان من قبل. لكنه بات يفتقد بعض الحيوية. وتساءلت فيما لو كان هذا سببه ضغوطات في العمل.

«لا أرى أية فرصة في تجاهل سؤالي فيما يتعلق بالساقي، وما من شيء مضحك في نظرتك له بهذا الأسلوب وكأن التورط يلزمه نظرة. لا، ما من شيء مضحك في هذا يا روث، إنه ببساطة أمر محرج للغاية.»

وافقت بسخرية: «نعم إنه محرج، أليس هو كذلك؟ إنك تخرج مع سيدتك الأخيرة، تلاحقها ومع ذلك لا اظن أني كنت يوماً تلك الأخيرة. بكيانك الطبيعي وبسرعة اصطيادك، لا بد انك، ومن دون أدنى شك، شبكت عدداً وافراً منهن منذ سفيل.»



كرهت نفسها لادعائها هذا، لقد جرت نفسها إلى روح منتقمة وحاقدة، إلى مستوى «امرأة مزدرية». لم تعتذر، مع انه ما من سبب يدعوها إلى ذلك الا إذا كانت نادمة على الشخص الذي سببت له جرحاً ووجهت إليه سمومها. كل اسفها كان على نفسها، وليس عليه. لم يعان ما عانته السنة الفائتة بالتاكيد.

«حسناً، لكني متأكد من أنك منذ ذلك الوقت تعديت حدود السرعة مع نفسك. وعلى ما انكر كنت على عجلة بالانفصال من البداية وعند الضوء الأخضر لحكايتنا.»

تقبلت روث هذا لأنها الحقيقة بعينها. وبطريقة ما كان هذا مساعداً للحضور المتعذر اجتنابه عندما يلتقي متيمان بعد علاقة تركت جرحاً اليما من الذكريات بدأ يندمل.

الح بعدما وضع الساقي المقبلات على الطاولة: «إذاً، اجيبي عن سؤالي. ولأثبت لك بأنني ما زلت محافظاً على روحي المرحة، هل هو شريكك في كل شيء؟» قالها من دون أن يكلف نفسه بالابتسام ليدفىء تلك المداعبة الصغيرة.

بذلت روث قصارى جهدها للمحافظة على رباطة جاشها. إنها في حاجة لتجاوز هذا الألم.

«لا يمت بأية صلة إلى الروح المرحة يا فرناندو، ولا إلى الظرافة. وبالمناسبة، هل هذا من خصائصك أو من مدى اهتمامك لتعلم فيما اذا كنت اتقاسم كل شيء مع شريكي؟» قالت ذلك وهي تستوي جالسة في مقعدها.

«لا ابداً ولا بأي شكل.» رد عليها ببرودة ثم أضاف بقساوة. «اعني هذا ليس من مصلحتي.»

«من أجل مصلحة من إذاً؟»

www.elromancia.com

«من أجل ماريا لويزا.»

ابتسمت روث بمرارة وهي تأخذ حبة زيتون من أحد الصحون الصغيرة. «ولماذا تظهر هذا الاهتمام بالعلاقة السابقة لصديقتك الحالية؟ أو بالأحرى شكوى من امرأة مجربة.» لم تستطع التوقف عن الاستمرار في توبيخه. وكان لذلك سبب واضح... غيرة واضحة للقاء به في حضور ماريا لويزا الحسناء.

«لا احصي مغامراتي مع المرأة المجربة.» قال لها ذلك بهدوء. ثم مد يده لتناول قطعة سمك منقوع بزيت الزيتون، والثوم والخل. ثم نظر إليها بعينين باردتين فيهما العداء. «قمت بشيء استثنائي مرة، وكان درساً جيداً للاستفادة منه.» والتهم قطعة صغيرة من السمك وكأنه يقضي عليها قضاءً تاماً.

قالت باستسلام مؤلم: «لقد استفدنا كلانا من التجربة في سفيل يا فرناندو، واقترفنا الاخطاء. اقترفت خطأً عندما وثقت بك إلى درجة انني قلت لك كل ما في قلبي واخبرتك عن خطيبي السابق. لم اظن لحظة واحدة بأنك ستصفعني بها بمرارة فيما لو كتب لنا اللقاء مجدداً من دون أي مراعاة لشعوري.» واخذتها الرجفة وهي تدلي بكلامها هذا، واعصابها ترتعش بعنف. لماذا يعاملان بعضهما البعض بهذه القسوة؟ لقد احبا بعضهما مرة، والآن هذا ما يحدث.

أحس بغصة في حلقه فتمتم: «إنني آسف.» وكان هذا مقنعاً على سمع روث ولكن ليس مقنعاً كفاية لتتمالك اعصابها وتريحها. فهي ما زالت على حالها من الحذر، وربما أكثر بكثير.



«إذاً، ما الذي يدفعك إلى الاهتمام بماضي ماريا لويزا؟ أنت تعلم حق العلم أنها وستيف كانا على علاقة، ولكن قل لي ماذا في تناولي العشاء مع شريكي، فانا لا أرى أي خطأ في ذلك؟»

لم اسألك ان كنت تتناولين معه العشاء. سألتك ان كنتما متحابين، وبما أنك فعلت كل شيء للتهرب من جواب صريح فمن حقي افتراض الاسوأ أو الأفضل، وذلك يتوقف مع أي جانب أنت.»

«مع أي جانب! الأمر واضح بالتأكيد.»

«واضح بالتأكيد. فانا لا اشعر بشيء تجاه ستيف كانوك، ولكن اشعر كثيراً تجاه ماريا لويزا. فانا لا اريد أن تتأذى. لا أريد لها التورط بشيء.» وقست تعابير وجهه وهو يتكلم.

احست روث بالوهن. إنه لم يبد أية اشارة تدل على انه احبها. فرناندو سيرا لم يهتم بها مطلقاً وهذا ما كانت تعرفه. قالت باندفاع من فداحة المها: «إذاً تميل إلى الاعتقاد بأن ستيف متيم بي؟»

«سيبهجني هذا فيما لو كان صحيحاً، عندئذ نستطيع أنا وماريا لويزا الاستمرار في حياتنا معاً.»

رفعت كأسها بارتعاش إلى فمها، كان قلبها يئن باكتئاب. كان لهما حياة معاً، إنه حب فرناندو وستيف السابق. من كان ليصدق هذا؟ إنها سخرية القدر عندما تهب من دون شفقة.

قالت له بهدوء: «حسن، لديكما الحرية للانطلاق بحياتكما معاً، لا خوف على ماريا لويزا من ستيف.» وكان هذا القول بمثابة اعتراف رفع عنه الستار وكأنها فعلاً متورطة

عاطفياً مع شريكها، وليكن هذا. في استطاعة فرناندو تصديق ما يريد تصديقه لأن ما من شيء يعيد بغمضة عين ما تقاسماه في سفيل.

قال بصوت خافت: «وماذا عنك؟ هل من خوف عليّ منك؟» وتكدرت روث من مدى قساوته. كان هذا فرناندو آخر غير فرناندو الذي احبته قبلاً من كل قلبها. لقد تغير، وهذا ليس في مصلحة ماريا لويزا. لربما كان لستيف منفذاً ضيقاً للهرب.

قالت له بلطف: «لم يكن ابداً أي داع للخوف مني يا فرناندو.» واخفضت نظرها في محاولة لاخفاء الألم الذي بدا في عينيها. وحدقت باكتئاب إلى القماش الدمشقي على الطاولة وهي تمر باصابعها من فوقه وكأنه يحمل جواباً عن المصير الذي ينتظرها بعد هذه الليلة.

كانت تحاول منذ ساعات خلت جمع اشلاء نفسها ظناً منها بأنها ستجتاز هذه المرحلة وتفوز، لكن الآن يبدو لها المستقبل خاوياً وموجعاً.

رفعت نظرها، ليستقر مباشرة في عينيه، وعيناها تجيشان بالدموع المختنقة.

«انت كثير الاهتمام بماريا لويزا، هل يعني أنها شيء مهم في حياتك؟»

رد عليها بثقل: «نعم، إنها في غاية الأهمية بالنسبة لي.»

ألم ذاتي، عقاب ذاتي، ولم تستطع منع نفسها من الكلام. «و... وهل تنوي الزواج منها؟» وخطر على بالها فجأة، ربما انهما يتحضران للزواج الآن وحبست انفاسها.



لم يدل بشيء، لكنه تناول قطعة اخرى من السمك، ثم ابتلعها بنفس الاختلاف الذي قد يكون تصنعه في معالجة اموره.

قال اخيراً: «أنا لست من النوع المزواج.»

استعادت انفاسها، مرتاحة بلطف نوعاً ما لأنه لم يقم بأي تعهد مع ماريا لويزا، ومن جهة اخرى حزينة من الذي عرفته لغاية الآن. لا، أنه ليس من النوع المزواج. «ولا أنا» قالت بمحاولة ساذجة لتتساوى معه: «ولا أنا.» كان سخيفاً لدرجة أنه تجاهلها.

قال متابعاً: «لكن ماريا لويزا وأنا نعيش معاً.» وتساءلت روث ما الذي دعاه ليعترف بهذا. من الأفضل الظن بأن علاقتهما كانت تعني شيئاً له، وبعد سفيل كان يفتش عن الأجمل لحياته وعثر على السعادة مع امرأة أخرى. أغلب الظن أنه كان يحاول دفعها نحو الغيرة لأنه ما زال يهمه امرها. إنه لا يضمر لها الضغينة، وقد يكون من الأفضل لها تمالك اعصابها ومواجهة وقائع الحياة القاسية! لم ولن يهتم فرناندو سيرا بها على الاطلاق.

قالت بصلابة: «يسعدني سماع ذلك. والآن حان الوقت كي اعود إلى شقتي.»

«لم تتناولي شيئاً من الطعام بعد.»

«لا شهية لدي أكثر من ذلك.» وتشجعت للنظر في عينيه، متسائلة فيما لو هو الآخر فقد شهيته ولنفس السبب مثلها. كان هذا اللقاء مؤلماً للغاية.

«إلى الشقة، وهل تشاركين فيها شريك؟»

كم يكون الأمر مهماً إن كان يحاول استبقاءها بأسئلته،

لكنها شكت في ذلك. هناك متسع من الوقت لانتظار ماريا لويزا ولماذا لا يملؤه بمضايقة روث.

سألت بثبات: «ما حجم البرهان الذي تريده يا فرناندو؟ اظن انه سبق واوضحنا أن ستيف وأنا أكثر من شركاء في العمل.»

«آه، لكن يجب أن أعرف ذلك بالتأكيد، فهمت، ولأن لدي بعض الظنون، وقبل أن تسالييني لماذا أنا على هذا القدر من الاهتمام، أؤكد لك أنه نوع من الاحترام لذاتي بالذي اود معرفته.»

رفعت روث حاجبها بتساؤل وتمتمت ببساطة: «تابع.»

«لا يعجبني ستيف كثيراً...»

اردفت روث معترضة: «إنك لا تعرفه!»

«صحيح، لا اعرفه ولا نية لي في أن اتعرف إليه، لكنه يثير فضولي. أراه رجلاً ليس بالطويل، يسر النفس بمجرد النظر إليه، لكنه بادر، غير مثير، ولا يتمتع بالجاذبية...»

قاطعته بنفاد صبر: «ما الذي ترمي إليه يا فرناندو؟»

تشابكت نظراتهما، نظرات روث باردة وعدائية، ونظرات فرناندو حالكة وغير نافذة. «ما الذي يملكه هو وأنا لم استطع تأمينه لك؟» سألها بنبرة قاسية هزت روث هزاً أكثر مما لو صرخ في وجهها.

اقشعر بدن روث. لو يعرف فقط أنه ما من رجل يستطيع أن يقدم لها ما قدمه هو، ثلاثة عشر يوماً من الأيام المثيرة الحالمة التي ستلازمها حتى آخر أيام حياتها. ازدردت ريقها ورفضت الاستسلام لاغراء كاس جديد، لأنها كانت في حاجة إلى صفاء ذهنها.



«لا تريد حتى سماع ذلك، أليس كذلك؟ الذي تريده مني هو أن اضربك على الوتر الحساس واغذي غرورك كأن اقول لك إنه من الصعب مقارنته بك.»

ابتسم اخيراً. «بالطبع فلدي كرامتي.»

«نعم اعرف ذلك، ولدي ايضاً كرامتي بألا أشير في هذا السؤال إلى مدى المقارنة بين ماريا لويزا وبيني. اعتبر هذا شيئاً مبتذلاً.» قالت ذلك بامتعاض، ثم وقفت بارتعاش وتناولت حقيبة يدها المسائية من على الكرسي القريب منها.

«والآن، لو تعذرني...»

«سأوصلك إلى شقتك...»

اصرت روث: «لا داعي أبداً لذلك، اعرف الطريق وهي ليست بعيدة.» إنها لا تريد مرافقته لها إلى شقتها. ارادت أن تكون بمفردها، لمواجهة صدمة هذا اللقاء الذي قلب كيانها.

«لقد بدأ المهرجان. والشوارع ستكون مزدحمة... بالمشاهدين.»

قالت روث بحدة، وعيناها تضيقان بانذار: «سأكون على أحسن حال! ألا تظن أن من الواجب عليك أن تنتظر ماريا لويزا...؟» عاد الساقي إلى الطاولة ووقف فرناندو للتكلم معه. لقد كانت فرصة لروث للانسحاب لكن كان عليها دفع فاتورة الحساب. التقطت حقيبتها بارتباك لتتناول محفظتها، لكن فجأة كانت يد فرناندو تمسك رسغها واجبرت على الخروج من المطعم.

«لم ادفع...»

«لا تهينيني.»

«لا اتوقع منك أن تدفع...»

«لا تتوقعي شيئاً من الحياة عندئذ لن تشعري بأية خيبة أمل.» تمتم بذلك وهو يجرها باحكام من مرفقها حتى بدأت تشعر بالألم.

«فكر عميق، أهو فلسفتك الشخصية؟»

«نعم، منذ سفيل.»

كادت روث أن تقع وهي تهبط درجات سلم المطعم نحو الشارع المرصف بالحصى. كانت كسيرة القلب فلم تستطع أن تحلل ما الذي قاله الآن. كان أول ما لمح به هو أن سفيل عنت له شيئاً. كان مريراً ويجب أن يعني هذا... لكن لا، ما من سبب واضح ليجعله مريراً. لو كان فعلاً مهتماً بها لما جعلها تبعد عنه بهذه الطريقة.

«من هنا،» صاح بها فرناندو، وهو ينقل قبضته من مرفقها نزولاً إلى يدها. «الا إذا اردت أن تنتهي في البحر المتوسط.»

لم تعد روث تميز أي اتجاه يسلكان منذ أن سحبها من يدها بوحشية، وكانت تتارجح من خلفه بكعب حذائها العالي، كان الناس في كل مكان، يحتشدون عند جانب الميناء لمراقبة الأنوار المنبعثة من المراكب المزينة والاسهم النارية التي تحلق في هواء الليل الساخن. فتيات صغيرات يرتدين فساتين الفلامنغو الطويلة الفضفاضة يذهبن ويجئن بابتهاج، ويرقصن رقصات الفلامنغو الملتهبة فهن صغيرات جداً لادراك ما كن يفعلن.

«أين تلك الشقة التي تشاركين فيها حبيبك؟»



سحبت روث يدها بقوة منه. «كال دل باريسو» غنتها له بسخرية. آه لقد كانت في غاية الشجاعة المؤلمة.

قاطعها ليتعادل معها في السخرية: «العيش معه يعني السعادة، أليس كذلك؟»

«لقد كنت ساخرة، كما تعلم وقد حان الوقت لتعلم أن ستيف وأنا...»

انفجر سهم ناري فوق رأسيهما وصرخت من هول الدوي. احتضنها فرناندو بين ذراعيه ودفنت رأسها في قميصه عندما انفجر وابل من تلك الأسهم فوق رأسيهما. كان قميصه ناعماً من النوع الحريري فشعرت بدفئه. كان عبيره يثير الذكريات المؤلمة. أحست بدوامة عاصفة من الرغبة نقلتها إلى سفيل فعضت شفتها السفلى بأسنانها وكان هذا كافياً بـ... انسحبت عنه بارتجاف، اتسعت عيناها بفشاء، وافترقت شفتاها باضطراب. لقد افلتها وكأنه هو ايضاً جرفته ذكريات سابقة.

«انت... من الأفضل أن تعود إلى المطعم... ماريا لويزا...»

قال بخشونة: «يختي هناك. إنني مهتم أكثر بك أنت في هذه اللحظة. أنت غريبة عن هذا البلد واريد الاطمئنان إلى انك وصلت إلى شقتك سالمة.»

ذكرت اسم مبنى الشقة من دون مجادلة، ممتنة جداً لاهتمامه. وكانت هناك ضجة كبيرة من حولهما، اطفال يصرخون بحماس بينما عرض للأسهم النارية ظهر عند الخليج. وفتيان يرتدون ثياباً مخيفة تفرقوا عبر الطريق وهم يصرخون بأعلى اصواتهم. نبض قلبها بشدة لكن

سرعان ما هدأ عندما ارشدها فرناندو إلى شوارع جانبية اقل ضجة وبعيدة عن الميناء.

سألها بينما كانا يسيران: «إلى متى ستبقين هنا؟»

بقيت روث على مسافة منه، لكنها لم تستطع فعل شيء إزاء العبير الفواح الذي احاط به. بدا مميزاً وهو يمشي عبر الشوارع، رأس وكتفان تعلو عن الجميع. نساء يتمايلن فوق الشرفات وهن ينثرن الزهور، ونساء اخريات اصغر سناً واكثر انفتاحاً اظهرن ابتهاجهن بصوت عال غريب وتخطى فرناندو هذا كله، بالتأكيد كله.

أجابت: «إلى أن نصل بعملنا إلى مرحلة الانجاز.»

«لقد عنيت ما قلته لك بشأن الاتصالات. إن كنت في حاجة إلى أية خدمة وفي استطاعتي القيام بها، ما عليك سوى السؤال.»

زال التوتر عن روث واحست براحة عميقة. هذا ما يجب أن يكون بين صديقين سابقين عندما يلتقيان، تصرف طبيعي، لا عداء فيه. لكن مع الماجوركي كان الحب أو لا شيء، لذا اللا شيء يجب أن يكون.

«شكراً لك، سأحفظ هذا جيداً.» مع انها لن تفعل ابداً.

«اتريدين بعض القهوة قبل الدخول؟» سألها بعدما وصلا إلى المبنى الذي تسكن احدى شققه وكان هناك مقهى بمقاعد وطاولات بيضاء من المعدن في الشارع. كان مزدحماً ويضج بالضحكات العالية بينما تعالت أصوات الموسيقى من اوتار القيثارة ونقر الرق. ارادت كثيراً القهوة لتنسي بها مآسي تلك الليلة المزعجة، لكنها فضلت أن تقول وداعاً. وبطريقة ما كان مرح الناس في المقهى يقلقها ويضغط على اعصابها.



«لا، اشكرك، لقد تأخر الوقت...»

«هذا بالنسبة إلى البريطانيين، أما نحن الماجوركيون فقد بدأت السهرة عندنا الآن.»

كان هذا التصريح يظهر حجم الاختلاف بينهما، فكرت روث بأسى. إنهما يعيشان في عالمين مختلفين.

مد فرناندو يده فحدقت روث بها.

استحثها وهو يلوي بأصبعه: «مفتاح شقتك لو سمحت.»

هزت روث رأسها. «استطيع رؤية طريقي...»

«المفتاح ياروث.»

ناولته المفتاح من دون أن تجادله أكثر. كان دائماً سيداً محترماً. لحقت به نحو المصعد. في ما كان قلبها يخفق بشدة!

لقد كان المصعد خاوياً، تماماً مثل عقلها عندما اسلمت نفسها ببساطة للحب في سفيل.

«أين ستقيمين في بولنسا؟»

«بولنسا؟» شعرت بالانهيار وهي تضغط على زر الطابق الذي تقيم فيه رافعة رأسها نحو الأرقام التي تتوالى كما يفعل الجميع عندما يقفل باب المصعد. «كيف عرفت أنني ذاهبة إلى بولنسا؟»

«أنت من اخبرني، في وقت سابق. قلت إن شريكك سيهتم بمركز خدمات السياح والخطوط الجوية هنا في بالما...»

«نعم، نعم، تذكرت الآن.» كان رأسها مشوشاً، غير قادر على التركيز من وقع الصدمة من دون ادنى شك. لقد استخدمت هذا المصعد سابقاً للنزول به مع ستيف، وها هي الآن تستعمله مع آخر شخص تصورته في هذا العالم للصعود به.

خرجا من المصعد والتفتت روث نحوه.

«لم يكن هناك أية حاجة لتجهد نفسك لهذه الدرجة.»

«لقد اجهدت نفسي أكثر مما تظنين.» تمتم بغموض وهو يتحول عنها. وفتح باب الشقة ثم تراجع ليفسح لها المجال في الدخول.

«قبل أن تقدمي لي شراباً، سأضي...»

قاطعته بسرعة: «لم يكن هذا مرادي.»

هز كتفيه بعدم مبالاة. «ما ظننت انك كنت كذلك. هذا بدافع من روحي المرحة. كم أنت سريعة النسيان.»

تورد وجهها وهي تعض على شفتها. «نعم، تتسارع عجلة الأيام بسرعة مذهلة هذه الأيام.»

«اوافق.» ارتفعت يده فجأة لتستند على حافة الباب. موضع رائع يهيىء نفسه به من اجل قبلة، فكرت روث بسرعة في هذه اللحظة الحرجة. لكنه لم يفعل وأحست بقلبها يبطىء بدقاته احياناً ويسرع احياناً من شدة خوفها فكادت أن تسقط.

«هل لك أن تخبريني؟» ثم توقف عن الكلام، في حين ارتفعت حرارتها كإنذار لواقعة قد تحدث. «هل تنامين جيداً في الليل؟» وجاء صوته فجأة مبحوحاً مخيفاً ومتوعداً.

«لا... لا مشكلة.» تفوهت بذلك وهي على اعتقاد بأنه قادر على تلمس خوفها. لم تعجبها نبرته على الاطلاق، لقد ادخلت الوجل إلى قلبها.

«إنك تدهشينني يا روث، أنت فعلاً تدهشينني.» كان صوته يتقطر سخرية. «لا بد وأن ستيف هذا يخفي مواهب كثيرة. ظننت انني الوحيد الذي ترتاحين معه، هذا ما قلته



لي في يوم من الأيام، لقد قلت انني كنت الوحيد الذي جعلك سعيدة...»

«اخرس!» قالتها من دون وعي، ودموعها تتجمع الآن، الدموع التي وعدت نفسها بها يوم افترقت عنه.

قال وهو يرفع حاجبه الداكن: «هل يحرجك هذا؟ تكلمنا مرة عن كل شيء...»

اعترضت روث بقوة: «مرة! هذه المرة التي تتكلم عنها قد ولت.»

صاح وهو يسبل يده إلى جانبه: «لا، الآن هناك ستيف كانوك... وربما كان هناك قبلا ستيف كانوك آخر.»

«ماذا... ماذا تعني؟»

«حسن، اظن انني بدأت ادرك كيف تتعاملان انتما الاثنان. انتما حبيبان الآن وهناك احتمال بأنكما كنتما كذلك قبل سفيل...»

«لا.»

«لا؟ اظن نعم، واظن أن هناك تدبيراً بينكما باختيار آخرين عندما تشعرون بالحاجة إلى ذلك، لكني احذرك، يا روث. لا احب هذا الصنف من الألاعيب، فإنها مؤذية وتجلب الألم للآخرين...»

لقد جرحته، لذلك لا بد وانه كان مهتماً... واختلجت انفاسها عندما جاء صوته متوعداً. «اخبري حبيبك وشريك عملك لدى عودته بأنني سأدمره ان وضع اصبعاً على ماريا لويزا مرة اخرى. هل تفهمين ذلك؟»

تمنت روث الموت. ارادت في لحظات ان تضربها صاعقة وتحولها إلى رماد. لا، لم يحب فرناندو هذا النوع من

الألاعيب التي يتصورها، لكن ليس من اجله... فعواطفه ممنوع مسها. كان هذا شعوره تجاه ماريا لويزا الغالية، كان يهتم بها بصدق، وكان هذا شيئاً لا تريد روث التفكير فيه.

«لن... لن أخبره بشيء من هذا القبيل يا فرناندو، لأن مشاكلك تعنيك أنت وحدك.» كان صوتها يعبر عن اشفاق كبير. «لكن تذكر امراً قبل ان تهدد ستيف كانوك. إنه لم يعد بعد ولا ماريا لويزا الغالية عليك، ونعلم كلانا أنه قد فات الآوان الآن!»

اختلجت مشاعر روث وهي تشاهد التعبير الذي بدا في عينيه الداكنتين. كانت قبضتا يديه تتكوران عند جانبيه. لم تره غاضباً قبل الآن. برقت عيناها بعصبية وكانها تتوقع انفجاراً لهذا الغضب.

قال بخشونة: «إذاً كلانا لديه مشكلة للتداول فيها.»

قاطعته روث بشجاعة: «لا! لا مشكلة...»

قاطعها فرناندو: «لكن لديك! لأنه إن لم تبعدي حبيبك عنها سأعمل على اخراجكما من هذه الجزيرة بسرعة أكبر من سرعة الأسهم النارية التي تنطلق هناك. هل كلامي واضح؟»

تمتمت ببرود: «تمام الوضوح.» عيناها مثلجتان كعينيه. واجهت تحديه بشجاعة، عزمت على أن لا تقوم بأية بادرة من هذا النوع. إنها حياة ستيف، فرهبة هذا الموقف جعلها عاجزة عن التدخل على أية حال. لكن فرناندو لم يدرك هذا، مع انها حاولت المستحيل لأن توضح له أنها وستيف لم يكونا حبيبين في يوم من الأيام. لكن هذا



لا يهم الآن. قال ستيف انه يؤمن بالقدر وإن كان فرناندو في استطاعته فعلاً اخراجهما من الجزيرة فهذا يعني حكم الأقدار وهي لن تتحدى هذا ابداً.

ابعدت نظرها عنه ودارت لتدخل الشقة. لم يعد هناك أي شيء لفعله أو قوله. وشعرت فجأة بارهاق شديد، احست بالألم يلف جسدها ورأسها يكاد ينفجر نتيجة حبس دموعها.

امسك فرناندو بيدها وادارها لتقف في مواجهته. كانت يده دافئة وقوية، وأمسك ذقنها بيده الأخرى واوقفها بحزم.

همس: «يا لبرودة اعصابك، ومع ذلك كنت ذات مرة دافئة ومليئة بالمشاعر. لا يهم إن تصرف ستيف معك كما تصرف مع ماريا لويزا، ذلك لأن لا قلب لديك. ستيف وأنت تستحقان بعضكما بجدارة. فلتذهبا إلى الجحيم أنت وهو.»

سمرت الصدمة روث في مكانها. كان يخالجها غضب والم شديدين في اعماقها ولفرط ذهولها من قساوته لم تستطع الدفاع عن نفسها.

احنى فرناندو رأسه وصوبت روث وجهها نحو الباب. آه، لا، اغمضت عينيها. وهي تحاول السيطرة على اعصابها. لن تستطيع كتم الحقيقة ان حبها لا زال على حاله على الرغم من حقده عليها.

فتحت روث عينيها بامتعاض بينما كان فرناندو يحدق بها، إنه فرناندو آخر، لم تعد تعرفه ابداً. لمعت عيناه الداكنتان باستهزاء والتوى فمه بقساوة وهو يقدم مفتاح الشقة إليها عوضاً عن القبلة المنتظرة.

قال بخشونة: «كنت اتمنى لو لدي الشجاعة الكافية

لاقبلك، لكنني أراعي عرف آداب السلوك وقاعدتها في هذه الحياة وهما مهمان ويضعان حداً بيني وبينك في لحظات الضعف هذه.»

رفع يدها الدافئة، ووضع مفتاح الشقة فيها وبما أنه لم يعد هناك اي شيء لقوله، استدار ومضى، تاركاً روث فاقدة الحس، فاقدة القوة لتصرخ في وجهه مدافعة عن نفسها.

انتهت روث من رشف قهوتها ثم غسلت الفنجان قبل أن تكتب رسالة إلى ستيف. وكانت قد اطمأنت عليه في غرفته وكان غارقاً في نوم عميق. حتى انها لم تشعر بالامتعاض من نومه بسلام واطمئنان بعد ان عانت من ليلة مؤرقة من الذعر. لقد عاد عند الفجر، متسللا إلى داخل الشقة كي لا يوقظها. من المؤكد انه لم يرد استيضاع الموضوع وهذا ما جعل روث تشعر بالارتياح. لم تكن جاهزة بعد، وكذلك ستيف. كان كل منهما في حاجة إلى الانفراد بنفسه لبعض الوقت.

قالت في رسالتها أنها في طريقها إلى بولنسا كما هو مخطط وسوف تتصل به هاتفياً بعد ذلك. لم تشر إلى الليلة الفائتة أو إلى ماريا لويزا. ستستمر الحياة كما خطط لها، قالت لنفسها بعزم وهي تجتاز الشارع نحو مكتب لتأجير السيارات وحقيبة السفر في يدها. في استطاعة فرناندو سيرا أن يهدد ما يشاء لكنه لا يستطيع توقيفها عن الاستمرار في عملها.

تركت روث بالما وتابعت طريقها نحو فالدموسا. كانت السيارة المكشوفة التي استأجرتها سهلة القيادة، مما جعل الهواء الذي أخذ يعبث بشعرها أن يمنحها ذهناً صافياً.



استغرقت في التأمل قائلة لنفسها، إنها جزيرته وهي تستمتع بالقيادة عبر بساتين اللوز والزيتون. كانت مميزة. كان الوقت متأخراً من السنة لتنضج ثمار اللوز لكن منظر الوادي كان رائعاً جداً. كانت ماجوركا شهيرة بفصلها الربيعي حيث يتفتح زهر اللوز، هذا ما قاله لها فرناندو يوماً. لقد تكلم ايضاً عن فالدموسا، من أجل ذلك سلكت هذه الطريق نحو شمال الجزيرة. لقد امضى «شوبان» شتاءً في هذه الجزيرة مع حبيبته جورج ساند. لقد رجمها سكان الجزيرة بالحجارة بسبب ارتدائها السروال في الشارع وأضاف فرناندو بكآبة: كم تبدلت الأمور منذ حينها، والآن قد تغير كل شيء في ماجوركا.

كانت روث مفتونة بمكان اقامة «شوبان»، حيث ألّف مقطوعته الموسيقية «مسيرة الجنازة». كانت ترتاح على لوح مفاتيح البيانو وردة حمراء كثيرة المشاعر. وشكت روث، لا بد وان حبيبته اشمأزت لهذا الضرب الخيالي، وكأنها ايضاً لم تستطع التأقلم مع السكان المحليين ولا هم معها. تعاطفت وشعرت روث معها. لقد مرت الحبيبة باوقات صعبة.

كانت محطة روث التالية بلدة ديا. هنا المكان الذي قصده كل المفكرين والفنانين. أنشأ روبرت غريف مكان اقامته هنا وفهمت روث ما الذي دعاه إلى ذلك. لقد كان مكاناً شاعرياً حالماً. القرية جميلة بمنازلها الملونة ونوافذها ذات المصراعين وبشوارعها الضيقة ضمن بساتين الزيتون المنتشرة فوق التلة. يبدو انه المكان الذي يقع فيه سحر ماجوركا، الدويند، كما كان فرناندو

يقول. وسكن بيكاسو ايضاً قرب مجموعة من اكواخ المزارعين. وتساءلت في أي مرحلة كان مبتهجاً خلال اقامته هنا.

تابعت روث القيادة إلى بوارتو سولر حيث توقفت من أجل استراحة قصيرة وشراب منعش قرب الشاطىء. كان المكان مزدحماً بالسياح يتمتعون باشعة الشمس وهم يمارسون رياضة البحر. احست بانعزال تام وبأنها ليست جزءاً منهم. ثم ابعدت عنها هذا الشعور بعزم وتصميم. سوف تقوم بأفضل ما لديها في الأيام التالية، العمل وهناك وقت كاف للراحة وجمع اشلاء نفسها، والأهم من كل ذلك نسيان فرناندو سيرا.

اعلنت روث: «اسمع، هذا في غاية السخافة، أعرف ان شريكي قام بالحجز الكامل، باسم شركتنا، وقد اتصلت البارحة لأؤكد حجز تلك الشقة، كما انني اميز صوتك...»

لكن الشاب الذي يقف وراء مكتب الاستعلامات في المدخل هز رأسه باصرار. «اظن انك على خطأ، يا سينيوريتا.»

اعلنت روث بضيق: «لا اقترف الأخطاء.» كانت تشعر فعلاً بالتعب الآن، متمنية عدم اطلاق العنان لنفسها على مرأى من الجميع. «اسمع، لدي فاكس...» وفتشت باضطراب في حقيبتها. اللعنة، من المستحيل أن تكون تركته في بالما. كان من الممكن حدوث هذا، وبسهولة، بعد الذي حصل الليلة الفائتة من اضطراب وفقدان للأعصاب! قالت باستسلام: «حسن، هذه الأمور تحدث. إذاً اريد استئجار غرفة أخرى...»



«لا يوجد أي مكان.»

حدقت روث في وجهه غير مصدقة. بدا محرجاً وغير آسف بالتأكيد.

صاحت روث بشك: «اكتمل معي؟ هذا غير معقول!» واشارت بيدها عبر الباب المفتوح نحو عدد هائل من المساكن البديعة المطلية بالكلس الأبيض وعلى الشقق الخاصة بالسياح التي تملأ قسماً كبيراً من الريف. «لديك الآلاف منها في الخارج هناك...»

«لا يوجد مكان شاغر، يا سينيوريتا. ربما نسيت انه الموسم السياحي.»

شحب وجه روث بارهاق. إنها في حاجة إلى ثلاثة أيام كاملة في هذا المكان وفكرة القيادة ذهاباً وإياباً من بالما كل يوم... لا. هذا غير ممكن... هذا مستحيل.

سألت بضعف وهي تدفع خصلة من شعرها المتشابك بفعل الهواء عن حاجبها: «هل... هل من مكان آخر تقترحه؟»

«آسف. ما من مكان شاغر في بولنسا، لدينا الآن المهرجان الموسيقي...» جاء صوته متقطعاً بينما كانت روث تنظر إليه بحدة، فاضطر إلى أن يخفض نظره نحو اوراق العمل التي أمامه. كانت ايماءة لها بالانصراف، وفهمت روث انه لا يستطيع المساعدة اكثر.

وتحرك شيء عميق في داخلها مشككا، لكن لا، لم يكن هذا معقولا. من المؤكد انها لم تقم بأي خطأ في الحجز وكانت قد اكدت عليه. كانت الشقة في الليلة الماضية في متناول اليد، اما اليوم فلا.

حاولت روث أن تفتح فمها للاعتراض لكنها سرعان ما عدلت عن ذلك. خرجت بيأس ووقفت تحت أشعة الشمس الساطعة محتارة في امرها، وادركت انه لا بأس في التفكير قليلا.

سي الكويلا ـ كان هناك العديد من اللافتات التي كتب عليها «للإيجار» عندما كانت تقود ببطء عبر المجمع، كلها تطلب من الزبائن الذهاب إلى مركز الاستعلامات من أجل التفاصيل. واحست روث بغضب شديد.

فرناندو سيرا، انك في ورطة كبيرة، واعتمل الغضب في داخلها ومرة اخرى سحبت نفسها إلى الخارج من مركز الاستعلامات. هذه المرة لن تنخدع ابداً. كان في استطاعتها أن ترشو عامل الاستعلامات الحقير. لكنها عقدت العزم على كشف الحقيقة وكشف ملابساتها.



# الفصل الرابع

كلفها هذا الأمر الكثير من المال، لقد كلف روث اعتدادها بنفسها بأنها دفعت للقيام بمثل هذا الشيء. حسناً، مع بعض الحظ استطاعت العودة على نفقتها، باقتناع تام.

قادت السيارة بشجاعة في الطريق المخصصة لسباق الدراجات وسط اريج شجر الصنوبر، كانت لا تشعر بالوجل بسبب ثورتها الجامحة على فرناندو الذي كان في مقدوره فعل شيء كهذا. كان عامل الاستعلامات فاغراً فاهه ومستعداً تماماً لأية رشوة عندما فتحت روث محفظتها. لقد أبلغه فرناندو بأن يقول لها عندما تصل بأن لا مكان شاغراً في النزل! كيف تجرأ على ذلك؟

كان من السهل العثور على كازابينار. دل الطريق الخاص بالدراجات مباشرة إليها. ترجلت روث من السيارة عند البوابة الحديدية الثقيلة. كان المكان يشبه حصناً بجدرانه الحجرية العالية والذي ينبسط فوقه نبات معترش اميركي، قريب الشبه من اللون الذي انعكس على وجه روث بسبب الثورة التي الهبت مشاعرها. كانت على وشك ان تهز البوابة الضخمة بعنف شديد عندما سمعت قرقعة وفتحت البوابة.

تأملت وهي تقفز نحو السيارة لتقودها صعوداً على طريق خاص مرصف بالحصى، وتابعت روث تأملها، في

www.elromancia.com

استطاعتي أن اكون كاللصة التي تتسلل ليلاً في سبيل ان تعرف كل شيء.

توقفت امام القصر الحجري الضخم الذي يشبه القصور المغربية، والذي كان منزل فرناندو سيرا، وماريا لويزا بالطبع. حثها غضبها الشديد لوصولها إلى هذا الحد، لقد وصلت وشعرت باضطراب داخلي. قد يكونا هنا، معاً، وحينها لن تستطيع أن تحتمل ذلك، ولكن عليها تخطي هذا الأمر، وقليل من الوقت كاف لاطلاق العنان لغضبها الكبير.

«كم كلفك هذا؟»

دارت روث حولها لتقف وجهاً لوجه امام فرناندو الذي ظهر من دون ان تشعر به، بينما كانت تنعم النظر بالمنزل. ولم تبدُ عليه الدهشة لرؤيتها.

«ماذا... ماذا تعني؟» واحست بجفاف مفاجيء في حلقها. كان يرتدي سروالاً قصيراً أبيض اللون وقميصاً من اللون نفسه، ويحمل مضرب التنس ـ والتنس لعبة رياضية تتطلب شخصين على الأقل. ندمت على مجيئها! التمعت عيناها بقلق وهي تفتش بنظرها عن ماريا لويزا.

«إنها ليست هنا.» تمتم بلهجة ساخرة اظهرت جلياً أنه يعرف تماماً ما الذي كانت تفكر فيه. «خرجت منذ بضعة أيام. إذاً كم كلفك؟»

«ماذا؟»

«الرشوة.»

«أية رشوة؟» شعرت بحرارتها ترتفع وهي غير قادرة على السيطرة عليها.

«تذكري أنه كان لنا مناقشة حول ذلك في يوم ما، آداب



الأخلاق تجاه الرشوة في الحصول على ما تبغين. كنت على يقين كبير بأنك قد تقومين بذلك.»

اردفت روث: «بكل ما يختص بما يحبط الحياة، وتحدثنا ايضاً عن الفدية وقلت سأدفع المطلوب من أجل انقاذ الحياة...»

نكرها: «قلت ستدفعين من أجل انقاذ حياتي.» وكانت عيناه تومضان بطريقة جعلت روث اشد غضباً عما مضى. «لأنك ظننت بأني كنت استحقها.»

«الأمور تتغير يا فرناندو. لن افرط بأي درهم من أجل حياتك الآن.»

ضحك عالياً. «لكنك افرطت ببعض منها للعثور على مكان اقامتي. هذا يسرني.»

كان عليها أن تعرف من دون شك أن عامل الاستعلامات الغبي سوف ينبيء فرناندو، من أجل سلامة رأسه. من المؤكد انه اتصل به حالما خرجت من المكان. فلا عجب الآن كيف فتحت البوابة من دون أي جهد يذكر، ولا عجب ايضاً في عدم دهشته لرؤيتها.

اعترفت بتحد: «نعم، فعلت. ولكن لا تشعر بالسرور. اما الذي يستحق قوله فهو كم أنت تافه. إذاً هذا انت. أنت التافه، المفتقر التافه. اشعر انني احسن حالاً الآن.» رفعت رأسها وابتسمت له بعذوبة. «سأعود لأقول الآن لعامل الاستعلامات كم هو أيضاً تافه ووضيع، وإن لم يسلمني مفتاح الشقة التي سبق وحجزتها ودفعت عربوناً عليها، سأصرخ عالياً على مدى المسافة التي تفصل بينه وبين المدير.» ورفعت اصبعها منذرة في وجه فرناندو. «ولا تقل إنك أنت مديره،

لأن ذلك التافه، الرخيص، ذكر اسم مالك المجمع السياحي، وهو انريك ارمنغيل، وهذا لا يعني فرناندو سيرا!»

ابتسم فرناندو ابتسامة واسعة ولوح بمضرب التنس وكأنه يزنه بيديه. قال لها: «لكنه يعني اسم ابن عمتي.»

احست روث بقلبها يعلو ويهبط من شدة الغضب. قالت بغضب مشتعل: «أيها... أيها اللعين.»

قال متحدياً وهو ما زال مبتسما تلك الابتسامة العريضة، «ما عدت تافهاً أليس كذلك؟»

هزت روث رأسها بيأس وصاحت بمرارة: «إلى أي مدى ستستمر في تدمير عملي، لن اسألك حتى عن عدد الاتصالات الهاتفية التي قمت بها من أجل العثور على المكان الذي سأقيم فيه...»

قال بلطف قاتل: «واحد فقط. إنها جزيرة صغيرة جداً حيث الاستعلامات فيها محصورة.»

«حسن، لن تنتصر علي لأنني سأعثر على مكان آخر اقيم فيه. أنت وابن عمتك لا تملكان هذه الجزيرة...»

«صحيح، اننا لا نملك اغلبيتها، لكن في امكاننا أن نقف حجر عثرة لصدك.»

انفجرت روث في وجهه بازدراء: «هذا ما ستقوم به. إنك تبعث القرف في نفسي يا فرناندو وسبب كل هذا ماريا لويزا. لقد ظننت أنك أكثر شهامة في ذلك.» دارت مسرعة وكانت على وشك القفز إلى سيارتها عندما خطى إلى الأمام واعترض طريقها بمضرب التنس عند باب المدخل المفتوح.

«نعم إنني اكثر شهامة مما تظنين، ولا نية لي في تدمير



عملك. لك الحرية المطلقة في القيام بما تشائين... فقط عندما اشعر بأنني مهيأ للافراج عنك.»

صاحت مرتابة: «الافراج عني؟ الافراج عني مِمَ؟ من لعنة ابدية تربطني بك في أول فرصة مناسبة؟»

«كانت لعنة فعلاً، ألم تكن؟» وفجأة اصبح جدياً للغاية. «بالنسبة لي ايضاً يا روث. كان اسوأ يوم في حياتي عندما استسلمت لسحرك، وسيكون من الممتع رؤيتك فاقدة ذلك السحر. لأنك ستحتاجينه خلال الأيام القليلة المقبلة، بكل معانيه.»

اعتلت الدهشة وجه روث. «ماذا تقصد؟ إلامَ ترمي بكلامك هذا؟ قلت الافراج عني... لا تستطيع...» وضحكت بصورة مفاجئة، ضحكت من خلال شفتين مضطربتين. «هل... هل تظن بأنك تستطيع الاحتفاظ بي هنا؟» لم يكن جاداً، من المستحيل أن يكون.. ومن أجل ماذا؟

«إنني لا افكر في هذا الموضوع اكثر لأنه اصبح امراً نافذاً.»

حدقت روث فيما حولها بعينين واسعتين. كان هناك بعيداً عن المنزل اشجار من الصنوبر على بعد اميال... وذلك الحائط الحجري العالي.

دفعت مضرب التنس بعيداً عن طريقها ودخلت السيارة. كانت هذه مضايقة وحسب لاشباع رغباته. لا يمكن احتجازها هنا. ادارت محرك السيارة وهي تتعثر بناقل حركة السرعة بينما تحرك إلى ما وراء السيارة وسحب حقيبة السفر.

«احتفظ بها!» اغتاظت وهو يضعها في فناء المدخل

الأمامي للمنزل. أوشكت أخيراً على الانطلاق بالسيارة عندما ظهر فجأة بجانبها عند باب السيارة.

«لن تستطيعي عبور البوابة الحديدية ياروث. انها تفتح وتغلق آلياً من ورائك، يمكنك تسلق الجدران ان كنت عازمة على الهروب، لكن ماذا بعد ذلك؟»

صاحت بشدة: «المشي! السير على اقدامي فيما لو اضطررت لذلك، لكن لا اظن أن هذا ضرورياً. هذه السيارة القوية تستطيع هدم بواباتك الأنيقة.» واخذت تصدر صوتاً مدوياً من محرك السيارة وكأنها تتوعد.

«لا اظن ان شركة تأجير السيارات ستنظر بإيجابية كبيرة لهذا الأمر ـ ذلك ان تدبرت ادارة محركها مرة ثانية بعد صدمها بأطنان من الحديد الفولازي.»

«قد يستحق الأمر ثمن سيارة جديدة من أجل الهروب منك، اضطربت بشدة، وهي ترخي الكابح اليدوي.

«لا يستحق ذلك على الاطلاق. كلفة واحدة جديدة مثل هذه لا تتوازى مع العقد الذي تعملين من أجله أو حتى التالي.» دخل السيارة واطفأ المحرك وهو يبتسم طوال الوقت. «لماذا لا تترجلين من السيارة وتدخلين معي لنشرب شراباً بارداً وتعترفين بالانهزام.»

ثارت بعنف: «الانهزام! انك لم تهزمني!»

«لكني فعلت. لقد نجحت نجاحاً تاماً باستدراجك إلى هذا المكان وها إنني احتفظ بك هنا أيضاً. وهذا ما يجعلني الفائز، وانت الخاسرة، هذا انهزام لك في كل الأحوال.»

صاحت روث بثورة جامحة: «استدراجي إلى هذا



المكان؟ تعني... لا، ما كان في استطاعتك معرفة أنني قد اضطر لرشوة احدهم؟»

«لا، كانت هذه مكافأة لعامل الاستعلامات.» وابتسم تلك الابتسامة الماكرة: «سوف تستعيدين مالك.» اكد لها ذلك وما زال على تلك الابتسامة. «كان في امكانك الحصول على المعلومات مقابل لا شيء لو كنت اكثر اقتناعاً بقليل، اكثر صبراً بقليل. لقد أمرته باطلاعك على كل شيء تودين معرفته فقط لاجعلك تتلوين غضباً وأنت في طريقك.»

«انت... أنت... أنت فاقد العقل!» حسناً لقد تمكنت من المجيء بي إلى هنا، وبكل ذكاء، لكن، من اجل ماذا تريدني هنا؟»

لا ابتسامات الآن، لا اثارات ولا سخرية. فقط عزم جاد ومرعب. كانت عيناه باردتين غير مستقرتين. حين قال بصلابة: «لجعلك تدفعين، يا عزيزتي.»

بعد أن حدقت مطولاً وفكرت ملياً لاستدراك هذا التهديد كان قد استدار متجهاً نحو المدخل الأمامي من المنزل، وهو يلتقط حقيبة سفرها من الفناء ويختفي.

خرجت روث من سيارتها بسرعة ولحقت به وصرخت بجنون:

«لدفع ماذا؟ من أجل ستيف؟ انتقام طائش لكونه الحبيب السابق لصديقتك؟» آه. لكن لا بد وانه مغرم بها كثيراً ليهبط بنفسه إلى هذا المستوى. «ما الذي تتوقع حدوثه يا فرناندو؟ هل تأمل في أن يأتي ستيف بحثاً عني وعندها تنفذ به حكم الاعدام لأنه احبها قبل أن تفعل أنت؟ كانا على علاقة منذ فترة طويلة ولا علاقة لذلك بما يحدث الآن. لك ماريا لويزا...»

اتهم بعبوس: «وأنت تستعيدين ستيف.» ويجب أن يكون كافياً في ارضائنا جميعاً، لكن هذا لن يتم لأن العلاقات العاطفية تخفي وراءها احياناً خيطاً رفيعاً من الألم. لا اظن أن شريكك اهتم للحظة بمدى الألم الذي خلفه في سفيل. لقد احبته ماريا لويزا.»

توجه تفكير روث في لحظات نحو ستيف. افترضت أن ماريا لويزا تحولت إلى فرناندو بخيبة امل عندما ترك ستيف سفيل وهكذا بدأت علاقتهما، وها أن فرناندو ثائر بهواجس لا يتصورها العقل ويقوم بتصرفات غريبة مثل الاحتفاظ بها في هذا المكان على الرغم من ارادتها فقط من أجل أن يثأر من ستيف.

«اتصل ستيف بها لكنها لم تعاود الاتصال به، ربما لأنك اقحمت نفسك في حياتها مباشرة. كيف تجرؤ على اتهام ستيف بأنه خلف آلاماً من ورائه بينما أنت...؟» امتلأت عينا روث بالدموع فجأة وتراجعت خطوة إلى الوراء التمست بهمس: «دعني اذهب يا فرناندو. إنني... إنني لا اريد التورط بهذا الأمر. ستيف وماريا لويزا...» هزت رأسها بهلع، فتناثرت بعض خصلات شعرها الداكن فوق وجهها المتورد. كان هذا الأمر بأكمله يخصهما وكان بطريقة ما لا وجود لها ولفرناندو.

سأل بلطف غير متوقع: «يؤلمك هذا، أليس كذلك؟»

تنفست بارتباك وقالت: «نعم. أي كلام عن سفيل يكون مؤلماً.» ووجهت نظراتها إليه، وكأنها تريده أن يرى الحقيقة من ورائها وبأنه لا علاقة لها بشريكها أو بماريا لويزا، الحقيقة العارية هي أنها احبته وما زالت. لكنه لن



يرى ذلك ابداً، لأن قلبه بات منشغلاً بحبيبة حياته الجديدة وبعض الجزاء للماضي.

قال بهدوء، متجنباً نظراتها: «سأعد لك كأساً. وبعد ذلك تهدأين.» ودفع الباب الخشبي ودخل تاركاً روث خارجاً في الفناء.

هذه الدعوة الباردة إلى البيت الحجري القديم اغرتها نوعاً ما في داخلها. كانت تشعر بعطش شديد وربما كأس شراب آخر قد يهدىء من اعصاب فرناندو كفاية ليفتح لها البوابة الحديدية لتعود إلى بالما. ستعود إلى هناك للتباحث مع ستيف ومن المحتمل أن يصلا إلى قرار يغنيهما عن هذا العمل والعودة بسرعة إلى بريطانيا. لكن هناك زبائن عليهما الاهتمام بهم و... اللعنة! هناك شيء آخر اكثر جدية لادراكه، هل من المحتمل أن ستيف وماريا لويزا قد عادا لبعضهما البعض؟ كيف ستكون ردة فعل فرناندو سيرا؟ ولحقت به روث بكآبة.

لم يكلمها وهو يرشدها إلى السلالم عبر القاعة ذات الأرضية الحجرية. طقطقت روث من ورائه بحذائها فوق ارض الغرفة الحجرية، وكان الصوت الوحيد الذي تردد في انحاء القاعة.

«فرناندو.» قالتها بنعومة عندما وصل إلى أول درجات السلم: «إنه شيء في غاية السخافة. لا استطيع البقاء هنا.»

قال دون الالتفات إليها وهو يهم بالصعود: «تستطيعين وستبقين. لا خيار لك، ولا خيار ابداً.»

لحقت روث به بارهاق وهي تجر قدميها جراً. لِمَ لا تسايره الآن وتحاول اقناعه لاحقاً بعد أن تستعيد نشاطها

اكثر؟ قد تتمتع بعد ما تشرب العصير بصفعه بهذا الاقتراح، وهوان ستيف وماريا لويزا قد يعودان لبعضهما البعض.

كان جناحها مريحاً للغاية، وكان له شرفة وراء نافذة غرفة النوم. وجلست روث عند حافة السرير بعد ان تركها، مشيراً إليها ان تنضم إليه في الطابق الأرضي بعد أن تشعر بالانتعاش ليجلسا قرب حمام السباحة لكأس شراب.

«قريباً ستهتدين إلى الطريق الصحيح وتستقرين.» كانت هذه كلماته الأخيرة بعد أن احتجت مرة اخرى عن عدم موافقتها في البقاء هنا.

كان عنيداً جداً واعمى البصيرة ومحافظاً بجنون ومع ذلك ألم تكن هذه الصفات محوراً للاهتمام من الدرجة الأولى؟ لمست فيه العناد كما الحزم، قوة تذهلها في الرجل. عرف ما كان يريده ونال ما اراده. مملكة الفنادق التي يملكها كانت اثباتاً على ذلك. كان في تهوره شيء من الشاعرية وهذا ما حببها به. بدا وكأنه غير مدرك كم هو جذاب بالنسبة إلى النساء. لقد امضى حياته في انشاء تلك الامبراطورية. كان هناك حتما نساء لكنه تلقاهن بشرود تقريباً واسقطهن متساويات بشرود ذهنه. استطاعت روث ان تبعد عنه شروده هذا ولما لمس حبها وجد فيه متعة كبيرة.

تمتمت روث وهي تنهض لتتجه نحو الحمام: «لقد فعلت خيراً. لقد فتحت عينيه بصورة جيدة والآن لا ترى تلك العنيان سوى ماريا لويزا.»

طريقته المحافظة اصبحت اكثر فعالية اليوم. كان دمثاً ومراعياً لشعورها وعاملها وكأنها شخص فريد من نوعه.



وكانت هي كذلك، قالت بحزم لنفسها بينما كانت تستحم. لقد كان يقول هذا، فما الذي جرى؟ لماذا اتركها تذهب بهذه السهولة، ولماذا يعاملها بهذه الطريقة الآن؟

عادت ترتدي ما كانت ترتديه ـ سروالاً قصيراً اسود وقميصاً قطنياً من نفس اللون. لونها النحاسي، لمعان شعرها الداكن وعيناها الزرقاوان كانت كفيلة بأن تبعد عتمة اللون الذي ترتديه إلى اناقة كبيرة.

عشق فرناندو اختيارها للملابس منذ سفيل، كان يقول انها ساحرة وكلها جاذبية باللون الأسود الذي كانت تفضله كثيراً... آه، لماذا لا تتوقف عن العيش في سراب الماضي وتواجه هذه الورطة التي تعيشها الآن؟»

هبطت درجات السلم الحجري الذي انعطف بها نحو الطابق الأرضي متتبعة القناطر التي ادت بها إلى فناء داخلي دافىء لكنه ملطف بواسطة نافورة ماء تقوست قطراتها فوق دلفين وطفل من الرخام. حدقت روث حولها برهبة. كان منزله رائعاً، مظللاً وبارداً باعتدال.

كان هناك العديد من القناطر المغربية في كل مكان وأوانٍ خزفية ضخمة تطل منها نبات الخنشار الأخضر الذي يحدث همسات خفيفة ونبات الغرنوق المشرق، كذلك نبات من فصيلة الزنبقيات ذو رأس شائك. اكتشفت روث زوايا خفية من المقاعد الحجرية الرمادية واريج زهر الياسمين يعبق في الأجواء. شعرت بلذة للهدوء والسكينة لروعة المكان على الرغم مما كانت تعانيه من الاضطراب الداخلي. هذا منزله الماجوركي.

شيد حوض السباحة بانسجام مع المنزل القديم

المصقول في الباحة الخلفية. ليست بحجم اولمبي، بل ملتوية على شكل قوس، مياهها خضراء باهته وقد انشأت من الحجر الطبيعي مع مظلات من سعفات النخيل تظلل طاولات خشبية صنعت من أغصان الشجر.

جلس فرناندو إلى إحدى هذه الطاولات، يطالع جريدة دياريو دي مالوركا وكأن ما من شيء يشغله في هذا العالم، وهذا صحيح، اعتقدت روث، عدا أنه يفكر بطرق جديدة لتعذيبها وتعذيب ستيف.

جلست روث وحول نظره إليها. «هكذا افضل، تبدين اقل ارباكاً.» طوى جريدته ووضعها فوق مقعد إلى جانبه.

«قد يبدو هذا علي يا فرناندو ولكني لا اشعر بذلك ولا ارى ما وراء كل ذلك، لاحتجازي هنا بهذه الطريقة.

«استريحي وتمتعي بالذي انت عليه.»

«لم احضر إلى ماجوركا للاستمتاع، بل جئت من اجل العمل وانت تمنعني من ذلك.»

انحنى إلى الأمام ليسكب لها كأساً بارداً من عصير البرتقال. قال بكآبة: «هناك اشياء اكثر اهمية من العمل يا روث. اعتقدت بأنك ستدركين بعد كل هذا الوقت.» رفع نظره إليها وأضاف بفتور: «لكنك لم تدركي بالتأكيد.»

نظرت روث بعيداً وهي تشعر بحرارة مفاجئة. اللعنة عليك. كان عملها أمراً مهماً لها. لم يكن عادلاً ولم يكن كذلك منذ عام مضى. آه، هل كانت هي عادلة؟ لماذا لم يتطرقا لكل هذه المسائل في حينها، ويتبادلا الرأي بها؟ اما الآن لقد اصبح الأمر متأخراً وميؤوساً منه.

قالت بتعمد حازم من اجل اخفاء المها: «ان امر الجماعة



الذين نجمعهم ببعض في غاية الأهمية. لا اريد احباط زبائني. وأنت كرجل اعمال تفهم ذلك جيداً.»

«افهم ذلك وأنا لا اوقفك عن العمل ولكن اؤخره بعض الوقت فقط.»

«لماذا؟»

«لأني قررت ذلك، والآن اخبريني بما قاله لك حبيبك عندما عاد الليلة الماضية.»

شربت روث جرعة من كأسها، لأن هذا ما ارادته أولاً، ولأنها تريد الاستمتاع بالدقائق التالية الممتعة وتذوق المتوقع منها. واعادت ببطء الكأس إلى الطاولة.

«اتعني عندما جاء عند الفجر؟ تنفست بغضب شديد. ادركت حالما تلفظت بذلك بأنه كان يعلم كل شيء. على أية حال. حسناً، لا بأس من تذكير لاذع.

«نعم، كان ذلك عند الفجر، أليس كذلك؟ إذاً ما الذي شعرت به حين اندس في مخدعك في تلك الساعة؟»

ارادت أن تصفعه مثلما كان يصفعها، لذا منحته ابتسامة ساحرة وقالت: «ما الذي شعرت به يا فرناندو، عندما اندست ماريا لويزا في مخدعك في تلك الساعة؟»

ضاقت عيناه. «هذا ليس مضحكاً.»

ادلت روث بمرح: «اظنه صياحاً.» ومنحت نفسها مزيداً من الشراب، وتابعت: «لقد كانا مع بعضهما البعض طوال الليل. لكانت هوليود رفضتها لأنها لا تخص مصداقية الأرض. من المؤكد ان الواقع اكثر سحراً من الخيال.»

«أنت حتماً لا تأخذين ذلك على محمل الجد...»

«كيف بمقدوري؟ إنك تطرح اسئلة غير مجدية فعلاً.»

فجأة تنهدت بعمق تنهيدة طويلة وابعدت شعرها عن وجهها.

«لم احدث ستيف بكل هذا. غادرت قبل أن يستيقظ...»

عبس فرناندو. «إذاً، لم تحدثيه؟»

تعجبت روث من ذلك العبوس لكن ليس طويلاً. «اسمع يا فرناندو، لا يهمني ابداً ما كان ستيف وماريا لويزا يفعلانه طوال الليل...»

اعترض بقوة: «لكنه يهمني أنا، قلت لك اني لا اريد لها الأذى مرة أخرى.»

«إذاً لماذا تركتها تهرع خارج المطعم وبعدها تركته يلحق بها؟ كان في استطاعتك اللحاق بهما.»

نكرها: «احداهن استوقفتني.»

هزت روث رأسها. «لو كنت فعلاً مهتماً بها لما كنت اخذت ملاحظتي بعين الاعتبار. اظن أنك اردت لهما بعض الوقت معاً. لكن... لكن ربما ليس اغلب ساعات الليل.» أنهت كلامها بهمس.

حدقت به من خلال رموشها الكثيفة. ظن بأنه ان منحهما بعض المجال معاً قد تتمكن ماريا لويزا من إخراج ستيف كليا من حياتها. ابعدت روث نظرها عن تعابير وجه فرناندو المشددة. يؤلمها أن تراه على هذه الحال، لاجئاً إلى الاحتفاظ بها في هذا المكان ليثأر من ستيف. آلمها قيام فرناندو بذلك من أجل اهتمامه العميق بامرأة اخرى، كان شيئاً غير ملائم، لكنها لم تكن تتصرف بلباقة ايضاً. ارادت أن تؤلمه، ولكن كيف يستطيع المرء أن يؤذي من يحب؟

قال اخيراً: «أنت على حق. لا أرى أي سبب في محاولة



ابعادهما عن بعض، لكنني لم اتوقع أن يمضيا مثل هذا الوقت الطويل مع بعض. فعلى ماريا لويزا التوصل إلى التفاهم مع...»

قاطعته روث بنعومة: «فرناندو...»

نظر نحوها، بحذر، بسبب تغير نبرة صوتها.

«هل... هل تحبها كثيراً؟» ارادت أن تعرف ذلك، مع أن ذلك مؤلم. لقد احبت هذا الرجل وتعرف اكثر مما يعرف في هذه اللحظة. كانت تعرف أن ستيف يحب ماريا لويزا وأن هناك فرصة سانحة لهما كي يعودا إلى بعضهما مجدداً، وان عادا فسوف يعاني شخص واحد من ذلك، الا وهو فرناندو. تلاشى شعورها بإيذائه بينما كانت تنتظر رده.

قال اخيراً: «أنا على ثقة بأني سبق وأجبت عن هذا السؤال. الآن دعيني اطرح أنا السؤال. اتحبين ستيف كثيراً؟»

لم ترد روث أن يستمر هذا. فقالت: «فرناندو، احمل لستيف احتراماً عميقاً...»

«وتحبينه ايضاً؟»

«لا، لا احبه، ليس بالطريقة التي تعنيها.»

«لكنك تعيشين معه، وتبادلينه...»

صرخت روث: «لا ابادله اي شيء! يجب أن تضع حداً لذلك يا فرناندو. الذي يجمعنا هو العمل فقط. نعمل معاً بشكل جيد كما اننا صديقان حميمان...»

ضاقت عينا فرناندو بعد هذا التصريح وتقلصت شفتاه الرقيقتان. وتنهدت روث وتابعت:

«نعم، اعرف أن ذلك لا يبدو صحيحاً، لكنها الحقيقة. ما

من شيء يربطنا ببعض. الا تستطيع أن تفهم أن الرجال والنساء يمكنهم الحصول على هذا النوع من العلاقة؟»

«لا،» قالها بتبلد ذهن. وهو يضغط على اصابعه فوق حجره. «لا استطيع فهم ذلك. ربما لو كنت لا اعرفك بهذه الشفافية لكنت اقتنعت، اعرف الكثير عنك وعن متطلباتك...»

انفجرت بغضب: «هلا تتوقف عن هذا؟ تجعلني ابدو مثل شخص تافه غير طبيعي. كنت مخطوبة وعلى اهبة الزواج، كان هذا الارتباط غلطة وكنت محظوظة للخروج منه دون مشاكل تذكر، وبعدها التقيتك وهذا مجموع كل متطلباتي كما وصفتها. لا احب ستيف، كما لم افعل ذلك قبل سفيل أو بعدها ولن يكون هذا ابداً. اهذا يقنعك؟»

أجاب ببرود: «لا، البتة. لا اصدقك. لم تنكري كل هذا الليلة الفائتة، لذا لِمَ الآن؟»

«ناسبني ان لا انكر ذلك الليلة الفائتة.» اشتعلت روث غضباً وحدقت نحو شجرة نخيل صغيرة تتمايل بلطف في الهواء المنعش، واحست بانقلاب مفاجيء في نفسها بسبب عودة الذكريات التي تؤلمها.

«إلى أي حد؟»

دارت برأسها قليلاً لتنظر في وجهه. يتطلب ذلك شجاعة لكن شيئاً خفيفاً في داخلها كان يحثها على أن تكون صادقة. وضغطت بأصابعها وكأن بها تستجمع قواها.

قالت بسذاجة: «اردت الليلة الفائتة أن اثير غيرتك. اتهمتني بوجود حبيب في حياتي، واخترت أن لا انكر هذا.»

ابتسم باشمئزاز: «اخترت أن لا تنكري هذا لأنني كنت



برفقة ماريا لويزا. إنها ليست هنا الآن وها أنت تنكرين. اتساءل ما الذي ستكسبين من هذا؟»

اوضحت روث ببرودة شديدة: «حتما ليست عاطفتك أو حبك المنكر، لا تنس، أنا لا اختار وجودي هنا الآن. ما كنت هنا لو انك انسحبت بسلام وتركتني ادير عملي. إنني انكر علاقتي المفترضة الآن لأنني سئمت كل هذه الاتهامات. فهي لا معنى لها على أية حال. لا يهمك ما قد اصل إليه، لكن اهتمامك الأوحد هو لشعور ماريا لويزا.»

قال بلطف: «لا اتوقع أن يكون قد طرأ في ذهنك أن الغيرة تملكتني عندما رأيتك معه الليلة الفائتة.»

لم تكن عيناه مستقرتين عندما قال ذلك، اما روث فلم تستطع اخذ كلامه بجدية.

«ولا للحظة. كنت تعلم من هو ستيف... شريكي في العمل.»

«نعم، تميزته من سفيل.»

«لم تتهمني حينها بأنني اقيم علاقة معه، فلماذا الآن؟»

عندها نظر إليها، مباشرة، من دون أية عاطفة وقال بهدوء: «ذلك لأنني كنت مجنوناً بك السنة الماضية، اعمى البصيرة لأي شيء ولأي كان.»

كان هذا كل ما قاله وبطريقة ما كان كافياً بالنسبة إلى روث. احبها حينها لكن ليس الآن. حسناً، لقد عرفت ذلك الآن لكن هذا لن يبلسم الجرح.

تمتمت روث: «أنت مفتون بماريا لويزا هذا العام.» وهي تحدق بالأصابع التي كانت تعتصرها حتى باتت ساخنة وتميل إلى الاحمرار. واطلقت زفرة طويلة تنم عن الاستسلام

وبسطت يديها فوق سروالها القصير. «لا افهمك يا فرناندو. اننا في الواقع، حبيبان سابقان، نتحدث عن ثنائي آخر من حبيبين سابقين، فما علاقتنا نحن وماذا تأمل من اسري هنا؟ لن يأتي ستيف لأجلي، أنت تعلم ذلك.»

قال فرناندو بوقار: «أنا لا اتوقعه آتيا، ماكان هذا هدفي، فلا رغبة لي في رؤيته مجدداً. فقط آملت أن تبلغيه تحذيري لأنني عنيت ما قلته ـ سأدمره ان جرحها مرة اخرى.»

عبست روث. «أنا فعلاً لا افهمك. ظننت أن كل هذا من اجل الانتقام من ستيف بسبب علاقته السابقة بماريا لويزا.»

«نعم، ظننت وقد ظننت خطأ. لقد سبق وقلت لك لماذا اريدك هنا وذلك من اجل جعلك تدفعين.»

نهض ببطء وتناول جريدته. طواها بلطف واسقطها نحو فخذه.

اعترضت: «لِمَ؟ أنا لم افعل شيئاً، لا تربطني علاقة مع شريكي. ولا علاقة لي بما يؤلم ماريا لويزا. إنها ليست مشكلتي على الاطلاق، إنها مشكلتك!»

«نعم، إنها مشكلتي وأنت صاحبة الحل، يا عزيزتي.»

قفزت روث واقفة وواجهته عبر الطاولة: «توقف عن ذلك يا فرناندو، انك مهووس جداً بماريا لويزا وهذا يصرفك عن التفكير بوضوح. بررّه لي، ان فكيت اسري سأذهب مباشرة إلى بالما. قد تكون ماريا لويزا مع ستيف كما نحن هنا نتكلم. إن استطعت اقناع ستيف بأن يدعها وشأنها...»

«لكن ليس من اجلي، بل من اجلك أنت لأنك تريدين ستيف لنفسك...»

«لا،» صرخت روث، وهي تضغط بيديها على جانبيها. آه، لماذا لا يستطيع تصديقها؟ «لا اريد ستيف، كما انني لم



اردّه قبلا... إنه أنت...» وتقطع صوتها. لم تستطع النطق بما ارادت قوله من انه كان الوحيد الذي تريده. قالت متلعثمة: «إنه... إنه أنت اللامعتدل.»

«اظن بأنني معتدل جداً، ودعيني اوضح لك شيئاً. أنا لا احاول معاقبتك على ما سببه ستيف لماريا لويزا. قريباً سيعذبه ضميره وهذا عقاب لأي رجل.» ودار حول الطاولة نحوها ومع تحركه تكلم ببطء كلاماً ذا معنى. «أنت على حق، فلا علاقة لهذا بهما، هذا بيننا أنت وأنا. فرناندو وروث، روث وفرناندو.» مد يده نحو ذقنها وأدار وجهها إلى ناحيته. كانت عيناه تبرقان، فكه قاس لاحياة فيه. «لا تظهري هذا الحذر الشديد. لست برجل عنيف. لن استعمل القوة لأنني لست في حاجة إليها. لا اصدق حتى أنك تدركين جريمتك.» مر بابهامه فوق فكها وهو يحدق في عينيها. «لكنك اقترفت واحدة يا روث، وواحدة سوف تدفعين ثمن ارتكابها. كم من المرات اخبرتك بأنني احببتك في سفيل؟»

هزت روث رأسها، محاولة الافلات من قبضته. إنها خائفة الآن. خائفة على حياتها ومستقبلها.

«يبدو أن بعض الوقت ملائم لاسترجاع حقوقي.»

عبس، وهو يجيب نفسه: «لقد دفعت أنا في الماضي، وستدفعين أنت الآن.»

«لا تهددني.» قالتها باضطراب من بين اسنانها المطبقة.

قال لها بقوة: «بل سأفعل، لأن ذلك يمتعني كثيراً.» وعاد ابهامه يتحرك عند شفتيها بوحشية لكنه ما لبث أن قذفها بعيداً عنه.

اتسعت عينا روث بألم عاطفي بالغ وقالت: «ما الذي

جرى لك، لقد تغيرت. اصبحت قاسياً مضطرباً، غير فرناندو الذي عرفته في الماضي.»

رفع يده بسرعة، وارتعشت روث ظناً منها أنه سيسحقها، لكن كان الأمر اسوأ. لقد انزلقت من كتفها نحو قميصها بنعومة. هذه الإيماءة الهبت مشاعرها وغرقت في دنيا الاحلام. كان الاحساس سريعاً، ناراً الهبت روحها. وعقاب مشتعل للحب الذي سمحت به لنفسها.

«لا... لا تفعل هذا.» وبان سنها الأبيض وهو يضع ابهامه على شفتها العليا.

«ما الذي يجعلك تفكرين بأوقاتنا الأولى، ما بعد ظهر ذاك اليوم الذي لم نفترق به لحظة؟ اليوم الذي اكتشفنا فيه حقيقة مشاعرنا، الوقت الذي صرخت فيه عندما التقينا وقلت انك تحبينني.»

«أيها اللعين!»

«نعم، لذا تابعي قولك لي، انك ستصدقين في الوقت الذي تغادرين هذا المكان...»

اجابته بتوتر: «اصدق هذا الآن يا فرناندو. افهم ما ترمي إليه الآن.» وابعدت كتفها عن متناول يده بعنف. مع هذا كله لم تكن متأكدة. لقد بدا الأمر صعب التصديق.

ابتسمت وهي تتابع: «تظن أن احتجازك لي هنا سيدفعني بشدة نحوك، من الممكن أنك تقدر ومن الممكن أن المحتوم سيحدث وهذا... وهذا سيكون تجديداً لسفيل. وماذا بعد ذلك يا فرناندو؟»

احست روث بالم بالغ في روحها وجسدها، وكان خنجراً امعن في طعنها طعنات متتالية.



«لن يصل بنا الأمر إلى ما بعد ذلك. يا روث. في الحقيقة لن يصل إلى أي شيء. يبدو أنك اخطأت في التعبير.» وهز رأسه الداكن وهو يتابع: «لدي ذكرياتي من المرة السابقة التي احببنا بعضنا فيها والتي ستلازمني مدى الحياة. كل الذي اريده الآن في هذه الحياة هو ثأر محافظ لعلاقة حب محافظة والتي أُسيء فهمها. كما كنت محافظاً جداً بدوري، الم اكن؟ اعتقدت في الحقيقة أنك واقعة في حبي، لكن كل الذي اردته كان وقتاً طيباً.»

اضطرب قلب روث من الألم لذلك. ألم تعتقد الشيء ذاته ـ أنه استغلها، وأنها واحدة من تلك النزوات؟ لكنها كانت متأذية كثيراً لتجادله، مصدومة بوجع للتداول معه. استدارت لتبتعد عنه لكنه امسك بها. وسقطت الجريدة من يده وهو يشدها باحكام من كتفيها.

«ناشدتك البقاء لكنك ادرت لي ظهرك من اجل مهنتك ومن اجل شريكك. لقد استخدمتني في سفيل وليس لديك الحشمة لانكار ذلك ـ ربما من اجلي أو من أجل احترامك الذاتي.»

احست بتخدير من هول الصدمة، وناضلت روث لتجابهه. «لقد تركت احترامي هناك في سفيل حيث انت تركت ادراكك ورقة شعورك يا فرناندو. إذاً تريد معاقبتي، هل فعلاً تريد ذلك إذاً؟ حاول. قد تكشف اكثر عن ضعفك لا من ضعفي، وعندها، الذي سيعاقب الآخر سوف يستمتع كثيراً بالمشاهدة.

حررها من يده وابتسم بقساوة اوضح مقترحاً: «احب المنافسة. وأتوق إليها، لكن لا تنفعلي كثيراً عندئذ، لأنه

الشيء الوحيد الذي انويه. لن ابادلك الحب بعد الآن وهذا ما يدفعك إلى المكافحة من اجله، لأنك تعرفين النتائج مسبقاً. لكنني اعدك ببعض المرح في اثنائها. اريد ان اراك وأنت تستجدين حبي قبل انتهاء الوقت المحدد، وسيكون تعويضاً كاملاً لي.»

استدار وخطى خطوات واسعة بعيداً عنها، تاركاً اياها في حالة يرثى لها من الاعياء والضعف كذلك الخوف. عضت على شفتها وادركت انها فعلاً تستحق مثل هذا العقاب. لقد كان اختياراً باطلاً منذ عام مضى، اختارت ستيف ومهنتها قبل الرجل الذي احبته، لكن هناك اكثر من ذلك. ظنت بطريقة معاكسة أنه لو احبها حقيقة كان لا بد أن يعدو وراءها. وسألت نفسها، من أين أتى هذا الاندفاع لمهنتها. ارادت مهنة وارادت حباً وكلاهما كان ممكناً. إذاً، لماذا لم تتصل به، أو تراسله؟ كان في استطاعتها ملاحقته، لكنها لم تفعل ذلك والآن بات الأمر متاخراً. لكن، لماذا تضع الملامة كلها على نفسها ولماذا تسمح له بمعاقبتها بينما كان في استطاعته بسهولة القيام بالمطاردة بنفسه؟ حسناً، اللعنة عليه، على العموم لن تنكسر، لن تنكسر.

وخطت نحو حافة حوض السباحة واسقطت نفسها. وهي تسحب انفاساً عميقة إلى رئتيها. واخذت تسبح تحت دفء الشمس. وتذكرت فرناندو وتمنت لو انه يمسح عنها الآلام التي سببها لها. ارادته لكنها لم تستطع الحصول عليه ويجب معالجة هذا الأمر لأنه سبق وانذرها.



رجل سخيف، فكرت وهي تغطس في الماء البارد الذي أنعشها تقريباً. سخيف، نعم رجل سخيف، تأملت وهي تجتاز بشجاعة الجهة الأخرى من حمام السباحة. إنه يستخف بشجاعتي.

www.elromancia.com

# الفصل الخامس

تناولت روث بعض الملابس القليلة التي احضرتها معها ثم علقتها في خزانة الملابس في غرفة النوم، ثم أخذت تجفف شعرها بالمجفف الكهربائي أمام المرآة.

تمددت بعد حمام السباحة تحت وهج اشعة الشمس لتجفف جسدها ثم ارتدت ملابسها وبتكاسل أخذت تتأمل جمال البحر المتوسط.

تأملت أشجار نخيل صغيرة الحجم ذات اغصان على شكل المروحة، كانت هناك عظاءة تحتمي من اشعة الشمس المحرقة متظللة تحت الأغصان الغضة، وتجنبت روث بحذر شجر الصبير ذا الرؤوس الأبرية. عبق عبير فواح من نبات رقيب الشمس في الهواء حيث حام حوله النحل بكثرة. وعثرت على ملاعب التنس والآلة التي تؤمن طابات لعبة التنس بطريقة متوالية ومتواصلة. اذا كان فرناندو يلعب وحده... أحست بقلبها يدمي! انها لم تجد ولا دلالة تشير إلى الحياة اينما اتجهت في تجوالها، مع ان المنزل والحدائق بدت وكأن حشداً من العائلات يعمل فيها ويقوم بخدمتها منذ اجيال.

تساءلت في نفسها عن القسم الذي شغله فرنادو وماريا لويزا من هذا المنزل، والذي كان حتماً قسمهما الخاص، والسبب لأنها لم تجد أي شيء يدل على انهما شغلا المكان.



ربطت روث شعرها إلى الوراء بربطة مخملية بيضاء بعد ان انتهت من تجفيفه وخططت لتحركها التالي. لانية لها بعد الآن في النضال من أجل حريتها. سوف تتصل لاحقاً بستيف لمعرفة ما كان يقوم به مؤخراً وبعدها ستستعمل أية معلومات عرفتها عنه وعن ماريا لويزا لتؤمن بها خروجها من كازابينار. عندئذ سيتمنى فرناندو سيرا لو انه لم يبدأ ما بدأه.

«لي حريتي في القيام ببعض الاتصالات الهاتفية، اليس كذلك؟ لن اتصل بالشرطة أو بالقنصلية البريطانية، أو حتى بالانتربول. اريد فقط الاتصال بستيف والتحقق منه عما كان يقوم به مع ماريا لويزا طوال الليل، وكانني لا استطيع ان احزر ذلك.»

وجدته جالساً، وهو يحمل كتاباً يقرأه، في الشرفة الخارجية التي امتدت في المكان الخلفي من المنزل والتي تطل على الحدائق الغناء وحوض السباحة. وقد هيأ لها كرسياً في الظلال معه.

سحبت روث الكرسي إلى حيث الاشراق الكامل للشمس ثم استرخت فيه، رافعة وجهها تعانق وتتشرب لهيب اشعة الشمس الحارة.

قال لها بتكاسل: «نعم، لك الحرية الكاملة في استعمال الهاتف، كما لكِ الحرية بالاتصال بمن تشائين، بما في ذلك الشرطة أو أي كان... باستثناء واحد، وهو شريكك.»

لم تتحرك روث، حتى ولا عضو من اعضائها تحرك عدا ابتسامة واسعة فوق شفتيها. «آه، صحيح؟» تفوهت بلا مبالاة وكان الأمر لا يدعو إلى الاهتمام مطلقاً، وسألته

بأسلوب منمق: «على ما اعتقد انك تنام في وقت ما؟ سأقوم عندها باتصالاتي.»

«شاي؟»

فتحت روث عينيها ثم حدقت في وجهه. بدا غير منزعج، يسكب الشاي من ابريق فضي انيق في فنجانين ابيضين من الخزف الصيني. ثم قدم لها طبقاً من الكعك المحلى اصطف فوق قماش ابيض من الكتان. تناولت روث صحناً عن الصينية لتضع فيه قطعتين من هذا الكعك المحلي اللذيذ. انها لم تتناول طعام غدائها وقد بدأت تشعر بتأثير الجوع الذي سببه عدم تناول أي شيء منذ فترة طويلة.

«ألديك مدبرة للمنزل؟»

عبس بينما كان يناولها فنجان الشاي. اخذته روث منه وهي تنحني نحو الطاولة. «كل هذا... يبدو في غاية الجمال. لقد تجولت في المكان بعد ان استحممت في حوض السباحة لكنني لم أعثر على مستخدم واحد. اين تحتفظ بهم، في زنزانة سفلية مكبلين بسلاسل حديدية إلى الحائط ويخرجون فقط عند مشيئتك؟»

ابتسم، وهو غير متأثر من الادلاء الساخر الذي قامت به روث وأجابها: «لدي فريق كامل من المستخدمين هنا لكنني اعتقتهم جميعاً من أجل التمتع بمهرجان بالما. أنا طيب، ومراعٍ للشعور، ألست كذلك؟»

«للغاية، ستقول لي أيضاً انك اعددت هذه الحلوى بنفسك.» قضمت من تلك الحلوى اللذيذة وهي تكظم أنّة من السعادة كادت تفلت منها. لقد كانت فعلاً حلوى لذيذة الطعم.

«فعلاً اعددتها بنفسي كانت في الثلاجة فما كان علي



سوى طهوها، لكنني اعدك بأنني سأحضر لك وجبة لائقة، صنف من اصنافي المميزة. طبق لذيذ من «الاسكالادن» لهذه الليلة، وتعني بالانكليزية يخنة الدجاج.»

«ما الذي تحاول فعله، قتلي ببطء من لطفك وكرمك؟»

«انك مضيفتي...»

«انني سجينتك.»

مضغت الحلوى وشربت الشاي فاحست بالارتياح، احست بأنها أقوى، أكثر جدية، ومتأهبة للصراع.

اعلنت بعزم مطلق: «إعلم أني سأتصل بستيف شئت ذلك أم أبيت.»

«المسألة ليست شئت أم ابيت، المسألة الأكثر أهمية هي أنك تجدينه أم لا.»

أحست روث بانقباض في امعائها. من المؤكد ان ستيف لم يفر هارباً، يمكنها تأكيد ذلك.»

وتصورت في فكرها أن فرناندو الحانق قد سحب ستيف من فراشه بواسطة اشخاص مدربين، قساة القلوب واسقطوه سقطة قوية في البحر من يخت فرناندو... مالت روث لتلتقط قطعة أخرى من الحلوى، كانت لا تزال تشعر بالجوع وكان لذلك تأثير على طريقة تفكيرها.

سألت بفم ملآن: «أين هو؟»

«لقد غادرَ الشقة في صباح هذا اليوم.»

صرخت بيأس: «ألم تدفع مالاً ليرحل، ألم ترشِهِ كي يخرج من حياة ماريا لويزا؟»

عاد فرناندو وملأ لها فنجاناً آخر من الشاي، وصدرت منه تنهيدة وكأنه لا يصدق أنها لا تعلم.

اعترضت: «حسن، لا أعلم، ومن أين لي ان علم؟ لقد قمت مؤخراً بأفعال سخيفة لا يدركها العقل، مما يجعلني لا اعتمد أكثر عليها.»

«وأنتِ حتماً لن تقبلي رشوة من وراء ظهر شريكك أيضاً، أليس كذلك؟»

قالت بحنق: «لم اقصد بهذا الشكل. من المحتم انه لن يقبل رشوة منك، أو حتى من أي كان، خصوصاً، عندما يحاول احدهم رشوته للخروج من البلاد بأسرها من اجل امرأة... خاصة اذا هذه المرأة هي التي يحبها كثيراً.»

توقعت منه دلائل العنف في عينيه من جراء هذه الطعنة التي وجهتها إليه لكن لم ترَ شيئاً يشير إلى ذلك العنف.

قالت وكأنها تستفزه، مستميتة كي تدفعه إلى النزاع: «هل سمعتني؟»

ابتسم وهزّ رأسه. «نعم، سمعت، ولمست الضعف في صوتك، أو ان صحّ التعبير لمست الشفقة.»

ربما الاثنان، ظنت روث. المحاولة في اثارته لم تثبت نجاحها.

أردفت: «قد يكون خارجاً للعمل. سأتصل به لاحقاً. بالمناسبة كيف تعلم بعدم وجوده؟»

جعلها تنتظر الاجابة وأخذ يتلهى بسكب المياه الحارة في ابريق الشاي وسرحت روث بخيالها لتفكر ببعض الأمور. من المؤكد ان ستيف قرأ رسالتها، وانتظر مكالمتها الهاتفية لتقول له انها وصلت بأمان وسلام. وعندما لم تتصل سارع بالانطلاق نحو شمال الجزيرة بغية العثور عليها. مسكين ستيف، لا بد وانه قلق الآن وشديد الاضطراب.



قال لها فرناندو أخيراً: «إنه يمضي بضعة أيام مع ماريا لويزا في فالنسيا في الجزء الرئيسي من الجزيرة.»

كادت روث أن تختنق مع آخر قضمة من الحلوى. قالت بصوت أجش: «في فالنسيا مع ماريا لويزا؟»

«اعلمتني هذا الصباح لدى عودتها إلى اليخت بأنهما خططا لذلك، ثم اتصلت منذ نصف ساعة مضت لتعلمني بأنهما في طريقهما إلى فالنسيا.»

احست روث بغليان شديد في اعماقها. وصرخت: «و... وتركتها تذهب؟ سمحت لها بالسفر جواً مع حبيبها السابق؟» عندها اطلقت روث صوتاً ينم عن تصديق.

«انت، فرناندو سيرا، لما تكذب وتختلق الأقاويل، متصنعاً وجهاً جدياً قوي التعابير، أو لديك نفس التحضيرات في خسارة حبيبتك لما فعلت معي بسبب اتهامك الباطل عن علاقتي بستيف؟»

قال لها بلطف: «أو لدي ثقة مميزة بنفسي بأنها ستعود سريعاً إلي.»

بطريقة ما شعرت روث بالخيانة من نواح عديدة. لم تعرف فرناندو بالرجل المتغطرس من قبل. وكان ستيف تافهاً لأنه لم يعلمها عن سبب رحيله هذا، برفقة من وكم من الوقت. اللعنة عليه، كان في استطاعته اطلاعها.

ادلت روث بثقة: «لست واثقة مما تقوله، كانا حبيبين في يوم من الأيام، فلا تنس ذلك.»

«كيف يمكنني النسيان؟ لكن وعلى اية حال ما زلت متأكداً بأنها ستعود إلي، لأن لدي شيئاً نفيساً يفتقر إليه ستيف كانوك.»

قالت روث وهي تغلي في داخلها: «لا تفصح عنه. يمكنني جيداً تكهن ما هو.»

«نعم، تستطعين ذلك على ما اعتقد.»

من المفترض انه كان الشخص المتوعد المنذر.

«لقد تبدلت منذ ليلة البارحة.» قالت له ذلك بهمس ناعم. «كنت الليلة البارحة تتهدد وتتوعد بأن تدمره إذا مس شعور ماريا لويزا مرة أخرى، اما الآن فانك تتغاضى عن رحيلهما معاً.»

بدأ فرناندو يجمع الصحون والفناجين المتسخة ليضعهما فوق الصينية وقال: «إنني على ثقة بانه لا يمكن أن يؤذيها بعد اليوم، ليست ماريا لويزا بالفتاة الصغيرة الساذجة التي كانت السنة الماضية في سفيل. لقد اصبحت الآن امرأة ناضجة تضج بالأحاسيس.»

«وهذا بفضلك، دون شك!»

«نعم. هذا دين وفي استطاعتي استعادته، وسأفعل. وأنت، من ينكر التغيير الحاصل فيك منذ السنة الفائتة؟»

نظرت روث إليه بحيرة بالغة. «إنني لم اتغير.» كان ردها سريعاً وحاسماً.

«آه، لكنك فعلاً تغيرت. كنت السنة الفائتة سعيدة وطبيعية، محبة وغيورة، إلى أن هجرتني. اما الآن، فلديك مسحة حزن مريرة لم اشاهدها من قبل.»

هزت روث رأسها وكأنها لا تصدق كلامه. «إن بدوت مريرة فذلك لأنني مستاءة من وجودي هنا. مستاءة من تخطيطك لذلك، ومستاءة ايضاً من الذي تفكر فيه من انتقام للعلاقة التي كانت تربطنا السنة الماضية.»



«هل هذه هي الطريقة التي تعتمدينها لاظهار استيائك، بالسباحة بشكل هائم؟»

اخذت نظراته غير المستقرة تتأملها وكأنه يذكر نفسه بشيء مضى.

علا الاحمرار وجه روث وهي تبعده عنه وسخطت بانفعال: «لم اكن على علم بأنك كنت تراقبني.»

قال بازدراء: «كنت تسبحين وكأنك تقدمين عرضاً ممتازاً، مدبراً ومقدماً بكل فن وموهبة ليتوجه به نحو الجمهور. كان ناجحاً جداً، قلب كياني بقدر ما قلب كيانك، لكن لا تتحانقي كثيراً.»

مالت برأسها نحوه. «لماذا، ألانه لا يمكنك لجم عواطفك اثناء غياب حبيبتك؟ إنك تقرفني. إذاً، هذا سبب وجودي هنا، اليس كذلك؟ إنه اكثر من انتقام. كنت عازماً على شيء ما في اثناء غياب ماريا لويزا. هذا يفسر عدم قلقك واضطرابك لأنها بعيدة مع ستيف. انت تعرف ستيف والذي تعرفه افضل بكثير ممن لا تعرفه...»

«في غياب الهر يلعب الفأر...»

صرخت روث بانفعال: «اخرس يا فرناندو! إنه أمر جدي أكثر مما تتصور.»

«هل هو فعلاً كذلك؟ من المؤكد انك تظنين ذلك وهذا دليل على ما شككت فيه طوال الوقت، من أنك منزعجة حقيقة من مجرد التفكير بأن حبيبك بعيد مع ماريا لويزا، ابعد بكثير من اتهاماتك وعويلك السخيف.»

اعلنت مؤكدة: «ليس بحبيبي. لكن، نعم، من فكرة قضائه الوقت مع ماريا لويزا. لأنني اهتم به وقد تألم كثيراً السنة

الماضية، ولا اريد أن يتكرر ذلك. لقد سمعتك حتى الآن تشكو مراراً من مشاعر ماريا لويزا، حسناً، إنني اقيم اهتماماً لمشاعر...»

قال فرناندو متنهداً: «ونحن كلانا هنا، نتجادل حول شخصين ناضجين يستطيعان تماماً الاهتمام بأنفسهما.»

اشارت ملمحة: «كذلك يستمتعان بأوقاتهما.»

قال بهدوء: «لا تستطيعين اذيتي يا روث، لذا كفي عن المحاولة. إنني اعالج بشأنهما مشاعري بطريقة واقعية ناضجة.»

قالت روث: «بالتغاضي عنهما؟ تفكير حديث جداً لكنه بعيد جداً عن اسلوبك. اعتدت أن تكون رجلاً محافظاً السنة الماضية.» وتكلفت ابتسامة ساخرة.

«إلى أن التقيت بك.» نهض وتمطى ثم انحنى لتناول الصينية وتابع: «تعالي، سأريك المطبخ.»

استوت روث في مقعدها اكثر من ذي قبل ورفعت ثوبها القطني لتعرض ساقيها الطويلتين لحرارة الشمس. «لا، شكراً. إنني لست بديلة لغياب خادم...»

صاح هائجاً: «ولا لغياب حبيبة، لذا أطلب منك الحشمة. فهذا لن يثيرني ابداً.»

كانت روث لا تزال تستشيط غضباً حتى بعد ذهابه. كانت تشعر بحرارة هائلة، حرارة لا تفوق حرارة حمامها الشمسي. عادت إلى غرفتها واغلقت الستار الخشبي للنافذة واستلقت على سريرها. وبعد وقت قصير استغرقت في النوم.

«سوف اتانق من أجل عشاء الليلة بالرغم من أن ما من



سوانا في هذا المكان، واتوقع منك أن يعجبك هذا.»

فتحت روث عينيها بغتة. غير متأكدة من مكان وجودها. كانت العتمة تلف الغرفة إلى أن اتجه فرناندو ليفتح الستار الخشبي.

تمطت وهي غير شاعرة بتحسن بعد هذه القيلولة. وقالت له وهي تتثاءب: «لا تخطو مرة اخرى في غرفة نومي دون استئذان.»

«فعلت ذلك، لكنك لم تجيبي على ندائي، ظننتك لم تعودي من الأحياء.»

استوت روث جالسة في السرير. «هل تثرثر عادة مع الأموات؟»

«ما معنى تثرثر؟»

عاد إلى جانب السرير وتناول زجاجة من الشراب البارد من فوق طاولة جانبية. نظرت روث بألم يذيب قلبها بينما كان يسكب الشراب في كأسين. كان غالباً في سفيل يعتذر عن سوء فهمه لبعض التعابير التي كانت تستعملها. كان ذلك بمثابة لعبة التهيا بها. طريقة كلامه باللغة الانكليزية كانت ممتازة، كذلك قدرته على الفهم، كان ذلك حصيلة عدة سنوات من درس اللغات في جامعة اوكسفورد - اربع سنوات بكاملها.

مالت روث إلى الوراء وطوت ساقيها لتجلس فوقهما واخذت كأس الشراب الذي قدمه لها. «شكراً... تماماً مثل الأيام الماضية.»

«هل تكتمين ندماً على تلك الأيام التي ضاعت إلى الأبد؟» وجلس قريباً منها على حافة السرير.

www.elromancia.com

تمتمت بعد ما رشفت من كأسها: «وضاعت فعلاً إلى الأبد.»

سألها بصراحة ووضوح: «هل انت نادمة على الذي جرى في سفيل؟»

حدقت روث بكأسها وتكلمت بنعومة. «ما الذي جرى في سفيل يا فرناندو؟» ورفعت نظرها لتنظر في عينيه. ربما تستطيع الآن أن تأخذ فكرة عن الذي يفكر فيه.

كانت نظراته محيرة، لكن رعشة صغيرة ظهرت على فمه وكأنها تريد أن تطلق ابتسامة مكتومة. «لست متأكداً الآن. ظننت أنني واقع في الحب. ظننتك أيضاً واقعة في الحب. ظننت أننا احببنا بعضنا البعض.» اخفض رأسه والابتسامة لم يفرج عنها. «لكن ها نحن الآن، نرشف الشراب فوق سرير واحد.»

لم تستطع روث سوى الابتسام. وتمتمت: «نعم.» تا
تقول بعد دقائق: «هل قلت شيئاً بشأن انتانق لعش
عندما ايقظتني؟»

«عادة نتانق.»

«أنت وماريا لويزا؟» كانت بهذا تجعل الأمر اسوأ بالنسبة إليها، لكنها لم تستطع منع نفسها عنه. تماماً مثل مشاهدته معها في يخته الليلة الماضية، مؤلم لكنه اجباري.

«نعم، عندما نكون هنا.»

«ألست دائماً هنا؟»

«لا، نوزع الوقت ما بين هنا، بالما، اليخت، والفيلا في فالنسيا.»

سألت بكآبة: «ألا تعمل ابداً؟»



هز رأسه وقال: «طبعاً، لكنني انتدب اشخاصاً عني الآن.»

علا وجه روث الدهشة. «لم تكن هذه عادتك. كان لدي شعور دائماً بأنك من النوع المدمن على العمل.»

«لم اكن تماماً مدمناً على العمل عندما كنا معاً في سفيل.» ثم ابتسم فجأة ابتسامة واسعة. «كنت مدمناً على الحب اكثر.»

بادلته تلك الابتسامة الواسعة وسألته بجرأة: «هل أنا السبب في تغييرك؟»

بدا للحظات وكأنه ادرك ما ترمي إليه لكنه اجاب بعد ذلك، «احتاجتني ماريا لويزا.»

أما من نهاية لذلك العقاب والألم؟ لوهلة ظهرت واثقة من أنها هي المسؤولة الوحيدة للتغيير الحاصل في حياته. لكنها، لم تكن هي، بل ماريا لويزا. وارادت ان تستجمع بعض القوة في مجابهته.

«تلك... تلك الفيلا في فالنسيا، حيث.. حيث هي وستيف ذهبا إليها؟»

قال بغموض: «ربما.»

قالت روث بسرعة: «لم أكن احاول معرفة مكانهما. إنني فقط... حسناً... ما زلت مندهشة من تعاطيك مع الأمر بهذه البرودة.»

لم يرد على ما قالت، ورشفت روث المزيد من الشراب، وتابعت: «هل... هل كنت... هل كنت تقيم علاقة معها قبل سفيل؟» وقبضت على الكأس بقوة. لماذا تقوم بهذا، لماذا تقهر نفسها بهذه الشدة؟

www.elromancia.com

«مثلك ومثل ستيف؟»

بدت المعاناة جلية في عينيها حين قالت: «تعلم أننا لم نكن يا فرناندو. هل تظن انني كنت سأخرج معك فيما لو كنت فعلا متورطة مع شخص آخر؟»

«ما زلت تسألينني.» قالها بهدوء:

كانت هناك ظلال عميقة في ارجاء الغرفة تحجب وجهه، لذا لم تستطع رؤية عينيه بوضوح. ارادت رؤية عينيه لأنهما تعكسان مزاجياته. شعرت بتغيير ما الآن، وكأنه بدأ يشعر بالأسف على نفسه. لكنها لم تفهم جيداً معنى نظرته تلك، فهو لا يحمل اي نوع من الندم. كان كل شيء متوفر له في هذه الحياة. الفراغ يعني «مستقبل من دونه» رؤية مستقبلية مشوشة لا جدى منها.

قالت بلطف: «هذا يختلف، أنت وماريا لويزا تعيشان معاً الآن وهذا يفترض تورطكما سابقاً.»

«لا يفترض شيئاً بالمفهوم العام، لكن بما أنه حدث فانت نوعاً ما على حق. عرفنا بعضنا قبل المعرض، مع ذلك ليس بمودة بالغة مثل الآن.» وعاد يملأ الكاسين.

«إذاً كيف حدث كل ذلك؟ أنت وماريا لويزا؟»

ارادت فعلا أن تعرف، مع أن ذلك سيكون مؤلماً، لكنها ادركت انها الوسيلة الوحيدة. هذا نوعاً ما افضل من افتراضاتها المختلفة، والذي يبدو انه سيتطلب منها طاقة كبيرة، وبالتالي يسبب ضغطاً هائلاً على اعصابها. ربما عندما تعلم كل التفاصيل عن علاقتهما يكون في استطاعتها عندئذ أن تقلب صفحة جديدة وتبدأ حياتها من جديد... ولربما الفجر لن يبزغ ابداً!



قال مختصراً كلامه: «كنا في حاجة لبعضنا البعض.» ثم نهض وتابع: «كما سبق وقلت، نحن عادة نتأنق للعشاء.»

«حسناً، فنحن لا نستطيع افساد عادة قديمة من اجل غياب الحبيبة، أليس كذلك؟» وقفزت واقفة وهي تواجهه. تشابك الألم والغيرة اللتان كانتا تجيشان في صدرها لتبدي رداً سريعاً فيه الكثير من التهكم اللاذع. «اخشى أن ثوباً قطنياً يتلاءم مع هذا الطقس هو افضل ما استطعت...»

«سيكون هذا ملائماً.» قالها بثبات وهو يجمع زجاجة الشراب والكاسين. «والعادة القديمة الأخرى هي أن نتنزه بشكل عاطفي قبل العشاء، حيث التمتع بالغروب البديع. اتمنى عليك أن تشاركيني هذا.»

يا لهذه القسوة. كان لديها شعور اكيد بأنه كان المنتصر.

«لا اظن ذلك...»

«لكنني اظن. لأنني اقرأ الحاجة مقرونة بالرجاء.» اقترح ذلك بجفاء.

آه، لا، من المستحيل أن يدير الأمور كافة على هواه. فابتسمت بعذوبة. «آه، كان عليك القول، ان كلمتك هذه هي بمثابة امر نافذ بالنسبة إلي، وهذا ما يلقي ضوءاً جديداً على الحكاية.» وعندها تلاشت ابتسامتها وضاقت عيناها ببرودة بالغة. وصاحت بسخرية بالغة: «تنزه وحدك يا فرناندو، لأنني لن اهرول باذعان نيابة عن الحبيبة الغائبة.»

أعاد الكاسين وزجاجة الشراب بعنف إلى الطاولة عند جانب السرير وكانت صدمة بالنسبة إليها عندما احاط يده برسغها. وفقدت توازنها حين جذبها نحوه وعانقها. أحست بحواسها عادت كلها تنبض من جديد، ايام سفيل

وسحرها. من لمساته الرائعة، من رائحة عطره الذكية. ارادت ان تثير كرهاً في روحها، وله ولتلك الرغبة غير المرغوب بها التي زحفت من تلقاء نفسها نحو حواسها. خفق قلبها بشدة وأرعد ثائراً في داخلها.

كانت تحلم بتلك اللحظة، تتصورها في عقلها في ليال حالكة كثيرة، واصبح الحلم حقيقة لكن على غفلة منها ومن دون أن تتهيأ لذلك الهلاك النفسي. كانت عاطفتها بالنسبة إليه لا زالت على حالها بالرغم من قساوته نحوها وبالرغم من الحب الذي يقيمه لماريا الويزا.

كانت ذراعاه تحيطانها وهو يجذبها بقوة نحوه، وبدأت حواسها تخونها، ففقدت السيطرة على نفسها، تشبثت به، مثل كائن ضعيف، فقد اعصابه وضل طريقه في سرداب عميق إلى ان وجد من ينقذه، فتعلق به.

قبلها بقوة على وجنتها وتلاشت آخر ذرة من الأمل. كانت قبلته لها بمثابة خيبة امل كبيرة لها. لقد كانت هذه لعبته، لعبة الانتقام الشديد.

تشوهت الصورة في عقلها وقلبها إلى الأبد. ابعدت وجهها عنه وصرخت عاليا وهي تحرك رأسها إلى الخلف. وعضت شفتها السفلى.

ناشدت قوتها لتنتشلها من هذا الوضع النفسي المتأزم لكنها لم تستجب لها، ولا حتى قوة ضئيلة تفصل ما بين الرغبة والحشمة.

فجأة، جاء القرار المؤذي. القرار الذي تزامن مع قرارها، لقد تراجع عنها وبدا الأمر وكأنه هو الذي اراد أولاً التوقف عن كل هذا.



كانت ترتجف وهي تتراجع إلى الوراء، وبدت الصورة وكأنه هو الذي يرفضها ويبعدها بعيداً عنه بعنف.

تمتمت بألم موجع: «اتدعو هذا تحدياً؟» واتسعت عيناها وظنت انه لا بد قد قرأ ذلك الألم الهائل فيهما.

كان هادئاً بشكل كامل، بارداً، قاسي الملامح بعزم وطيد. وعكس صوته ما اراد الاعلان به. «كيف يكون هذا تحدياً عندما نكون كلانا ندرك ادراكاً تاماً نتائجه؟»

هزت روث رأسها. «قد تكون على ادراك، اما أنا فلا.» تابعت وهي تبعد شعرها عن جبينها الملتهب: «لا اصدق للحظة واحدة أن لا نية لك بالتودد إلي. كنا حبيبين مرة يا فرناندو.» وتابعت بحرارة: «لا يمكنك اطلاق عواطفك ثم اخمادها على مزاجك تماماً مثل محول للضوء.»

قال ببرودة: «هذا ما قمت به، بعد سفيل.» ورفع يده إلى مستوى قريب من عينيها وحرك بأصبعيه تلك الاشارة التي تدل على أن أمراً نفذ بهذه السرعة الخاطفة.

«بهذه السهولة يا روث. اختطفت كل تلك اللحظات الحالمة بهذه السهولة البالغة.»

عضت روث على شفتها وحدقت به، لاتدري ما تقول أو تفعل. لقد آمن بذلك وباتت هي الأخرى مؤمنة بالذي يؤمن به، والآن...؟ والآن فات الآوان بنسبة هائلة للقيام بأي شيء في شأنه. لماريا لويزا مكان في قلبه الذي كان في وقت ما ملكها. آه، كم مخيف كل هذا. لقد كان لهما الكثير من الأحلام في سفيل والآن حلت الخيبة والألم بكل معانيهما، وحل الحقد والكراهية وعدم الثقة. كل ما هناك من بشاعة قد حل ليدفع بوحشية كل جمال مثير.

www.elromancia.com

غير مجرى الحديث تماماً مثلما حرك بأصبعيه عندما حاول تذكيرها كيف تحولت عنه في سفيل. «تلك النزهة، أريدك ان ترافقيني بها.»

كأن قواها عادت إليها الآن، عودة متأخرة قليلاً لكنها عادت على الأقل. رفعت ذقنها لتظهر مدى قوتها وتحديها. واذعنت بأدب: «نعم، سأفعل، وذلك لأظهر لك أنني لن اتألم. فأنا محصنة ضد الألم، اطلب ما شئت، فهذا لن يبدل شيئاً. نعم، سأرافقك في هذه النزهة العاطفية وسنراقب غروب الشمس تماماً كما كنا نفعل في سفيل، وعندئذ سوف اذكرك بها، تماماً كما قصدت ان تذكرني بها، وسأتماشى مع قسوتك طوال الطريق يا فرناندو، وعندما ينتهي كل شيء آمل أن تكون قد رضيت تماماً بالذي رغبته واردته أن يكون.»

تناولت الزجاجة والكاسين ووجهتها نحوه وكأنها تصفعه بها. «اخرج الآن ودعني استعد لهذه النزهة بسلام.»

خرج من دون أن يتفوه بكلمة واحدة وكان هذا بمثابة اخفاق في رد مناسب لكنها لم تتوقع ذلك. ارادت منه ان يبادلها الصفعة بأي شيء آخر، انكاراً، اتفاقاً، تحد آخر، أي شيء عدا ذلك الصمت المغيظ.

نشيج حاد تملك صدرها وهي تسرع نحو الباب وتغلقه وراءه.

جمعت بعض أزهار الياسمين من حوض في الشرفة الضيقة وتنشقت عبيرها بعمق قبل أن تقرر في أن تزين بها جانباً من رأسها. لأن في هذا الوقت من السنة تتفتح هذه الأزهار في سفيل... تمنت منه أن يتذكر ذلك.

كان الثوب القطني ذو اللون المشمشي ثوباً نهارياً بكل ما



في الكلمة من معنى، طرازه بسيط له ياقة مستقيمة وكمان قصيران جداً. لو انها احضرت حذاءها ذا الكعب العالي لكان قد رفع من شأنه ولكنها لسوء الحظ لم تفعل ذلك واستعاضت عنه بصندل جلدي ذهبي. بدت عادية، هذا ما فكرت به، وهي تسرح شعرها الطويل الداكن بانتباه كي لا تسقط زهر الياسمين. وببعض احمر الشفاه ومستحضرات التجميل الأخرى والعطر الفواح بدت رائعة للغاية! ليس كما كانت ستظهر به خلال زياراتها العملية للفنادق التي خططت لها. لكنها الليلة لا تؤدي عملاً ما، إنها تقاتل.

شقت طريقها نحو الطابق السفلي وهي تدلك جبينها. من المفروض منها أن تفكر بعملها بدلاً من أن تسمي فرناندو سيرا خادعاً. لكن ستيف رحل مع ماريا لويزا لبضعة ايام ومن المؤكد انه لا يفكر بالعمل، وعلى أية حال إنها لا تملك حريتها الآن.

ما الذي سيطرأ على هذين الاثنين، بحق السماء؟ هل سيفوز ستيف بماريا لويزا إلى جانبه؟ اما بالنسبة لرحيلها معه، فهذا دليل قاطع على أنها ما زالت تقيم له الاهتمام ومع ذلك كانت تنظر إلى فرناندو بهيام كبير في اليخت. يا لها من فتاة محظوظة، فكرت روث بأسى بالغ، يا له من اختيار لرجلين. وتابعت طريقها في اتجاه المطبخ.

وصلت اولاً إلى غرفة الطعام، كانت فسيحة ويعود اثاثها الثقيل إلى القرون الوسطى. كانت الغرفة باردة، لدرجة أن جسمها بدأ يرتجف. كانت الطاولة غير مهيأة فنظرت حولها تفتش عن خزانة جانبية التي من المفروض أن تحوي ادوات المائدة.

قال فرناندو وهو يخطو من مكان ما من وراء المطبخ: «لقد هيأت الطاولة خارجاً في الفناء.» كم هو غير مريح أن يعرف غالباً بماذا تفكر.

«هناك الكثير من الفناءات.» قالتها بتكاسل، رافضة الاعتراف بأنه يبدو ساحراً في سرواله الأسود والسترة المسائية البيضاء، حتى أن منشفة الصحون التي تدلت فوق كتفه لم تؤثر ابداً على اناقته البالغة.

«الفناء نفسه، لكن من وجهة مختلفة. تبدين رائعة.» قال ذلك وهو يعود مبتعداً نحو المطبخ. وأردف:

«قد تبدين افضل لو أن ذلك الياسمين في شعرك وليس متدلياً بهذه الصورة نحو كتفك.»

انتزعت بغضب تلك الباقة التي صنعتها بنفسها من جانب رأسها. كان شعرها ناعماً جداً ليحمل الأزهار فيه. كم بدت مغفلة بتلك الباقة المتدلية فوق كتفها.

أجابته: «كان من المفروض أن تكون في شعري.» ثم تمتمت وهي تلحق به نحو المطبخ الفسيح الأرجاء، متخذة القرار بأن الصدق افضل وسيلة في مثل هذه الظروف. «كان من المفترض أن تذكرك بسفيل. كان من المفترض أن تثير اعجابك.»

«جعلتني اضحك بدلاً من ذلك.» قال ذلك وهو يدفع إلى الثلاجة بصحن من السلطة المعدة الطازجة، وتابع كلامه: «أرجو أن لا يكون هذا نذير شؤم لبقية هذه الليلة. كنت افضل لو انني خططت للذهاب إلى فراشي هذه الليلة متوجعاً من رضائي التام لهذا الثأر، بدلاً من التوجع من الضحك.»



قالت له بوقاحة متناهية: «قد تذهب إلى الفراش متوجعاً من ناحية اخرى لو أن خططي تحققت بأكملها.»

ضحك مجدداً بمرح بالغ، وقال:

«اذكر عندما وقعت عيناي عليك لأول مرة في تلك الحفلة أنني فكرت، أن هناك لسعة مخبأة في تلك المرأة ولا بد انها بريطانية، بالرغم من شعرها الداكن الطويل وجمالها الذي يميل إلى جمال سكان البحر المتوسط. وكنت محقاً، فالنساء البريطانيات بعيدات كل البعد عن غيرهن. ما من امرأة اسبانية قد تدلي بملاحظة غير مهذبة كهذه، إلا إذا كانت امرأة غجرية بالطبع.»

رفعت روث حاجباً وقحاً ليتماشى مع مزاجها. «أهذا ما دعاك كي تحوم حولي تلك الليلة؟»

«حمت حولك لأنك اجمل مخلوق وقعت عيناي عليه.»

ابتسمت روث وهو ينزع منشفة الصحون عن كتفه، وطرحها جانباً ثم اتجه نحوها بإثارة بالغة وقالت: «وهذا الاطراء سينتهي بك إلى مكان ما هذه الليلة.» وفتحت له ذراعيها لتضمه بهما، لكنه ابتسم ومشى وهو يتجاوزها وكأن الأمر لا يعنيه.

أمرها وكأن في صوته ابتسامة: «تعالي، اتبعيني. لست على استعداد بعد للذهاب إلى أي مكان. هل نسيت التقاليد؟ وكيف احب القيام بالأشياء بطريقة محافظة؟»

تابع يذكرها بطريقة شاعرية وهي تتبعه منقادة إلى الخارج عبر غرفة الطعام إلى رواق واسع تحت قنطرة ادى بهما إلى الفناء، فما من حاجة لهذا التذكير المؤلم كيف يمكنها أن تنسى ذلك؟

«مع غروب الشمس في أفق البحر المتوسط لا بد وان يكون هناك عاشقان متيمان تربطهما عاطفة جياشة ببعضهما البعض.» قال ذلك معذباً اياها، وهو يقبض على بطانية فوق كرسي في الفناء وأضاف: «يتبع ذلك قبلة طويلة مع اختفاء الشمس في اليم!» ثم ضحك بسخرية بالغة.



# الفصل السادس

«لِمَ هذه البطانية؟» سألته روث وهما يجوبان الحدائق الرئيسية انطلاقاً من الدرجات الحجرية ثم صعوداً إلى غابة كثيفة من أشجار الصنوبر التي تعطي الظل والبرودة في آن واحد. «أم أن سؤالي ساذج؟»

مشى واحدى يديه في جيب سرواله والأخرى تمسك البطانية التي فوق كتفه.

«تعرفينني يا روث، أحب القيام بالأشياء براحة تامة.»

«وعناق طويل فوق بطانية في غابة صنوبر هي الراحة بعينها، أهذا ما تقصده؟»

«لا نية لي في ذلك، لكنني نكرته سابقاً على سبيل التفكه والتنكير.»

تمتمت: «آه، لقد نسيت. تصميمك على أن لا تقوم بذلك لكن لا مانع في شيء من المرح في اثنائها. تجلس فوق البطانية وليس على كومة من القش.»

ضحك وقال: «لا أريد أن ألحق أي ضرر بسترتي، في الحقيقة.»

ابتسمت روث. «ولا اعتبار لثوبي؟»

«لقد قلت انه ثوب نهاري لا أكثر.»

«نعم، قلت ذلك.»

أدى الممر الضيق في أعلى تلك الدرجات الحجرية إلى غابة الصنوبر، وأخذت روث نفساً عميقاً من الأريج الفواح

www.elromancia.com

والمنعش للصنوبر، المتوسطي والدافىء. كانت هناك أشجار زيتون قديمة العهد إلى جانب بعض اشجار الصنوبر أحنتها رياح الليل الساخن. تضاءلت هذه الغابة عند سهل واسع ذي أشجار خفيضة وكان العبير الفواح من زهر اكليل الجبل والصعتر يعبق في المكان. ورأت روث البحر لأول مرة.

صرخت بابتهاج: «لم تكن لدي أدنى فكرة من ان البحر قريب هكذا... فبعد وصولي إلى هذا المكان ما عدت أميز طريقي.»

تنهدت روث بابتهاج عندما بلغت أعلى الهضبة وتطاير شعرها عالياً من نسمة هواء ساخن. كان المشهد رائعاً صعب التصديق، كانت الهضبة شديدة الانحدار نحو خلجان صخرية لم يدر أحد بها والبحر يقذف الرمل الأبيض برفق وهدوء. بدا البحر بلونه الأزرق الداكن، لكن في بعض الأماكن بدا أخضر وذلك بفعل التكوين الصخري الذي يغير اللون بمهارة. كانت السماء من فوقهما قد اختلط فيها اللون البرتقالي، واللون القرمزي، منظرٌ يثير الأحاسيس ويوقظ المشاعر.

«هذا جميل جداً يا فرناندو! مثير جداً!» وأخذت تحدق بخشوع في تلك المناظر الخلابة قبل أن تلتفت إليه وتقول: «لم أعلم ان منزلك يقع في هذا القسم من الجزيرة. ظننت انه في بالما.»

قال لها وهو يسحب البطانية عن كتفه ويفرشها فوق الأرض. «انتقلت إلى هذا المكان السنة الماضية، بعد المعرض مباشرة.»



سألته بجرأة وهي تجلس فوق البطانية وتحدق ملياً به: «أذلك دلالة خاصة؟»

«نعم. أردت الانعزال التام.» وجلس إلى جانبها وقطف زهرة برية وباشر بنثر أوراقها على مهل. كان يحدق بالبحر وهو يقوم بعمله هذا، من دون أن يهب شيئاً أكثر من الذي كان قد وهبه.

كانت الشمس تميل نحو المغيب وبوهج قوي عنيف، وهي تضفي على الغيوم ذاك اللون القرمزي الذهبي وتلهب البحر بلون أرجواني. كان انتباه روث يتوزع ما بين تبدل ألوان البحر وقبة السماء ورأس فرناندو الجانبي. بدا يائساً بعيداً عنها وكانت على أهبة لأن تصل إليه وتلمسه، لتعيده إلى حالته الطبيعية، لأنها كانت بغريزتها تعلم في أي مكان هو.

كم هذا مثير للشفقة، تأملت وهي تتمدد فوق البطانية وعيناها شاخصتان إلى السماء التي قتم لونها. لو ان في استطاعتها أن تغمض عينيها وتفتحهما لتعود إلى الماضي وتحاول مرة أخرى.

تمتمت بلطف: «لكن سرعان ما ملأت عزلتك.» وكأنها وضعت يدها على موضع الألم. كان ذلك مؤلماً بما فيه الكفاية لأنهما دعيا ذلك الحب العاصف يفلت منهما بتلك البساطة، لكن الذي أثر فيها تلك السرعة الهائلة في ملئه للفراغ الذي خلفته. الحب من بعد أزمة. اعتقدت أن بعض الرجال ميّالون لهذا الشيء، لكن ليس فرناندو بالتأكيد.

شعرت به مستلقياً إلى جانبها. وأدارت رأسها لتنظر إليه، فاتكأ بجسده فوق مرفق واحد ليحدق بها وبدل أن

تشعر روث بدافع قوي للخوف شعرت بهدوء كبير لا يوصف.

قال لها: «أرادت ماريا لويزا أن تكون خارج العاصمة. لقد قالت انها تخنقها.»

ابتسمت روث في داخلها. إذاً هناك شيء مشترك آخر بينها وبين ماريا لويزا، هذا إلى جانب نفس الانجذاب المعين للرجال. فكرت أن من الممكن أن تحبها كثيراً لو انها التقت بها بطريقة لائقة أكثر. بدت محببة الوجه في لقائهما القصير في المطعم لكن عندما اقترح فرناندو تناول الطعام معاً أحست بأن ألمها وسرعة تأثرها قد قطعا الأمر. فهذا التصرف كان من الطبيعي أن يصدر عن امرأة ناضجة، وحساسة، ومن فتاة سفيل الصغيرة الساذجة التي وصفها فرناندو. ولمعت فكرة في رأسها.

«فرناندو، أتعلم ماريا لويزا ما كان بينك وبيني؟»

ضحك وأجابها: «اتقصدين أنها على علم بوجودنا هنا الآن؟»

«لا، لم أقصد هذا بالفعل. لكن، وعلى أية حال في استطاعتك الاجابة.»

قال لها بغموض: «أعتقد انها تعلم. لكن، لا تراودك الأفكار السخيفة الآن على انها ستشتعل غيرة منك. انها أيضاً مع حبيبها السابق، فلا تنسي ذلك.»

تمتمت روث بكآبة: «نعم، يا له من نسيج متشابك. الذي أردت معرفته هو سبب خروجها السريع من المطعم. هل سبب ذلك معرفتها أنه كانت لنا علاقة فنهشت الغيرة قلبها أم لم تتمالك أعصابها في مواجهة ستيف وجهاً لوجه؟»



«وهل هذا يهم؟»

«لا، هذا لا يهم. ما عاد شيء يهم في الحقيقة. فقط كنت فضولية لا أكثر.» تابعت تقول: «هل هي من ماجوركا؟» وكانت مندهشة من تعاطيها في الموضوع بصورة جيدة. لأنها في الحقيقة كانت الطريقة الوحيدة المنطقية، التصرف وكأنهما صديقان قديمان لا كحبيبين قديمين. آجلاً، وفي عزلة غرفتها، سوف تصر بأسنانها وتجعل الألم يلف كيانها ويتفجر بعيداً عنها.

«لا، انها أساساً من مدريد. يعمل والدها في الحكومة، ووالدتها سيدة مهمة تقوم بحملات اجتماعية للأطفال المعوزين. إنها عائلة اسبانية محترمة، رفيعة المستوى. لقد آلمها جداً أن تختار ابنتهما مهنة في الخطوط الجوية.» ابتسم فرناندو وهزّ رأسه وتابع: «أنتم معشر البريطانيين تعتقدون بأن لديكم احتكاراً ما على بنية الطبقة... ابنتهما الوحيدة كانت مجرد مضيفة طيران... هذا ما كان فوق قدرتهما على احتمال مجرد التفكير به. لكن عزم ماريا لويزا كان شديداً للطيران.» تنهد. «آسف، لا بد وانك قد سمعت أخبار ماريا لويزا من شريكك.»

هزت روث رأسها وهي ترفع يدها لتلف بها عنقها. «ولا واحد منا تكلم عن سفيل بعد تلك الرحلة. خاصة الجانب الشخصي منها.» ابتسمت شبه ابتسامة وآخر الخيوط الذهبية تختفي في السماء. «صدق أو لا تصدق، المرة الأخيرة التي تكلمنا فيها عن علاقتنا كانت ليل أمس في المطعم. رأيتك وماريا لويزا في اليخت. لم يكن في مقدور ستيف رؤيتكما، لأنه كان يدير ظهره لكما. تعرفت عليها

لكنني لم أعرف كيف سيكون وقع هذا على ستيف ان شاهدكما معاً. تصرفت بغباء وأخذت أقلب الأمور بشأنك كما بشأنه وبشأن ماريا لويزا. أردت ان أعرف كم هي مشاعره عميقة بالنسبة إليها.»

قال فرناندو بهدوء: «يبدو هذا وكأنك معنية أكثر بمشاعره لا بنفسك، الذي يظهر أنك فعلاً تهتمين بأمره كثيراً.»

لم ترد روث الانجراف مرة أخرى في كل هذا وإلى جانب ذلك، لم تشر نبرة صوته إلى أي شيء أكثر من اهتمام عابر.

ضحكت بخفة: «آه يا فرناندو، أتذكر بعد ظهر ذلك اليوم الذي توجهنا فيه بالسيارة نحو الريف وسقوط ذلك الفلاح من فوق بغله، تماماً أمام السيارة؟ ترجلنا من السيارة وكان صراخ تلك المرأة الفلاحة يتعالى من كوخها المطلي بالكلس...»

«ظننت بأننا سوف نطارده.» ضحك فرناندو، وهو يميل برأسه إلى الوراء ويتحسس جبينه.

كانت روث تقهقه ضاحكة فلم تستطع اخراج الكلمات من فمها بسهولة. «و... وشدت حبلاً بقوة حول عنق البغل و... وقادته نحو بر الأمان، تاركة زوجها ملقى على الطريق. ما هي الكلمات التي كانت تصرخ بها، بعض اللعنات الغجرية؟»

«إنها ليست لعنات، بل مثل شعبي بشأن ضرورة الاحتفاظ بحبل ولو صغير حول عنق البغل، أو العنزة وحتى عنق الزوج.»

«ولذلك ايضاً.» تابعت روث الضحك، «مضى عليها فترة طويلة قبل أن تعود إلى حيث كان زوجها.»



كانت روث مستغرقة في الضحك عندما لاحظت أن فرناندو توقف عن ذلك. كان فقط ينظر إلى وجهها، ويده تلعب بخصلة من شعرها فوق خدها.

«مع ذلك، كان عليّ اللجوء إلى هذه الوسيلة.» قال وهو يحس بغصة في حلقه: «كان علي الاحتفاظ بحبل قصير ألفه حولك كي لا يعود في استطاعتك الهرب مني.»

انحنى ببطء نحو رأسها، وهي تحدق بالسماء الشديدة الاحمرار. كانت القبلة خفيفة، ناعمة، مهذبة لطيفة منحت قلبها نوعاً من خيبة الأمل فلم تستطع إلا أن تطوق عنقه بذراعيها وهي تتعلق به بشدة.

تمنت البكاء في تلك اللحظة، دموع مخيفة من خيبات أمل متتالية، لتلك القبلة ولطريقة امساكه بها بعزاء. خيبة الأمل الكبيرة في داخلها تجزأت إلى نشيج حاد بينما كان فرناندو يتثبت بها. تحرك مجدداً ليقبلها فوق خدها. إنهما مستلقيان معاً في احضان العتمة، يمسكان ببعضهما البعض، من دون أية محاولة للتعبير عن جرحهما وبالتالي عن خسارتهما، لكنهما كانا على ثقة أن الألم والخسارة هناك، مدفونتان في اعماق اعماقهما.

تحرك فرناندو اخيراً، وابتعد عنها قليلاً ليزيل خصلات من شعرها الطويل عن سترته ويرجعها بلطف إلى مكانها، نحو جانب من وجهها.

أفاض بكلامه بلطف: «غروب بديع للشمس، أليس كذلك؟»

ابتسمت روث: «رأيت أبدع منها.» فكانت ملاحظة بارعة منها.

همس قائلاً: «يا فتاتي.» وانحنى ليعانقها بهدوء ومودة

مرة أخرى. كانت تتوقع منه أية إثارة عاطفية وكانت على اتم الاستعداد لتوقف ذلك الخداع الذي سيظهر منه، لكن الأمر اختلف الآن. كان ذلك اغراءً لطيفاً منها، تذكير مثير بما كانا عليه وما قد خسراه. والمضحك في الأمر كله أن فرناندو لم يخططه على هذا السبيل. لكن يبدو عليه الآن انه استسلم مفسحاً لها المجال للتصرف بحنو ولطف.

ابتعد فرناندو قليلاً، فما كان من روث إلا ان قفزت بسرعة واقفة، وهي تصلح من شأنها. وادارت وجهها المتورد نحو البحر بينما كان هو ينفض البطانية. لقد احبته كثيراً إلى حد انه لو اقترح بأن يشبكا أيديهما ويتقدما من حافة الهضبة ليقفزا منها معاً مثل اثنين ملتاعين من شجون الحب لكانت فعلت ذلك بكل طيبة خاطر.

ارتعدت فرائصها وهما يعودان نحو غابة الصنوبر، احست بالتشاؤم وكأن خطراً ما ينتظرها. وتمنت لو أن فرناندو كلمها بود وحنان واعاد إليها املاً كانت قد فقدته، فبهذا كان قد خفف الكثير من الاختلاجات التي تحس بها الآن. إنها تعاني من ضعف، لم يسبق لها أن عانته من قبل ـ حب كبير للغاية. انه حب من دون أمل لأن هناك امرأة اخرى لها الحق وحدها للمطالبة به الآن، ولهذا السبب قبلها بتلك الطريقة ليدعها تعلم كم أن هذا الحب اصبح باطلاً.

«ينبغي عليّ الخروج اليوم.» انبأها فرناندو في صباح اليوم التالي عندما جاءت لتناول الفطور في الفناء. «هناك بعض اللقاءات في الكوديا.» ثم هز بكتفيه من دون أي مبالاة وهو يبتسم في وجهها قال مضيفاً: «المزيد من الفنادق.»

سبحت روث كرسياً من جانب الطاولة وجلست ثم سكبت



لنفسها بعضاً من القهوة. «في صوتك نبرة اعتذار، وكأن كسب بضعة ملايين اخرى جريمة يعاقب عليها القانون. هيا، اسرع، وبينما أنت تناقش اعمالك فكر بعملي الذي حتما سيتوقف إن لم أخرج من هنا وأقوم بالمناقشات اللازمة له.»

«آه. العمل، يجب أن لا ننسى ذلك.» لم يكن في صوته أي نوع من السخرية عدا التلميح وكان هذا كافياً ليعيد الحذر إلى نفس روث. «تعالي معي.» اقترح عليها ذلك وهو يميل قليلاً إلى الأمام كي يتمكن من رؤية انفعالها وهي تقضم قطعة من شطيرة مدهونة بالزبدة والمربى. «في الكوديا ميناء قديم، وشاطىء نظيف جداً وقد شيدت منازل هذه القرية القديمة قرب موقع لمستعمرة رومانية، كذلك هناك متحف. في استطاعتنا زيارة كل هذه الأمكنة وفي استطاعتي تقديمك إلى بعض الأشخاص.»

اغراها الأمر، كثيراً قالت: «انتبه لي ايضاً جيداً كي لا احاول الهرب. وعادت لتقضم الشطيرة.»

«أنت تدركين أنه انتهى كل شيء بيننا يا روث.» قال لها ذلك وهو يحدق بها بعينيه ويطيل التحديق.

كانت المبادرة الأولى من روث في فصل تلك العلاقة، فاخفضت عينيها نحو فنجان القهوة. كانت تدرك تماماً ما كان يقصد، مع أن ما من شيء معين قيل. كانت وجبتهما ليلة البارحة شهية وتوالت الأحاديث الزاخرة باختصار وكل شيء كان مختلفاً عما كانت تتوقعه. حديثهما الذي تطرقا إليه عند أعلى الهضبة ساعة غروب الشمس هو الذي غير كل شيء. فعوضاً من أن يثير غروب الشمس شيئاً في

عواطفهما المتأججة وهذه كانت نية فرناندو بالتأكيد، كان ذا تأثير عكسي فيه الكثير من المرارة المؤلمة التي ادت بهما إلى نوع من الحزن العميق.

«لي ملء الحرية في الرحيل، أليس كذلك؟» ورفعت رأسها لترى خيوطاً من الشك في عينيه الحالكتين لكن سرعان ما اختفت تلك الخيوط ليهز بكتفيه.

«لا أرى سبباً يمنعك من استعمال هذا المكان كمركز اساسي لعملك. من المؤكد انه افضل بكثير من استئجار شقة في مجمع سياحي مليء بالضجة.»

«نعم، ولكن...» عندما فكرت بالأمر تذكرت أمراً مهماً، فسألته: «ماذا بشأن ماريا لويزا؟ فأنا لا اريد أن اكون هنا عند عودتها.»

«سوف تمنحني معلومات كثيرة.»

قالت روث بكآبة: «اهو تدبير متفق عليه؟»

رد فرناندو بشكل مبهم، يرافقه انزعاج طفيف. «نعم، إنه كذلك، اتأتين معي إذاً إلى الكوديا؟»

شعرت روث بعدم ارتياح لطلبه هذا، ربما كان هذا تحدياً، تحدياً بسيطاً لاعادة احياء ذكريات سفيل في مكانها الطبيعي وفي نفسها. وان تختاره هو مرة اخرى كتفضيل عن عملها.

فتحايلت بكلامها: «ألا يجدر بك أن تسألني أولاً ان كنت انوي فعلاً البقاء؟»

قال باعتداد ترافقه ابتسامة: «اعرف انك تفضلين البقاء ولكن ألن تأتين معي؟»

رفعت روث فنجان القهوة إلى فمها واستوت في جلستها



ورشفت ببطء. إنه لم يظهر مثل هذا الاعتداد بنفسه من قبل، هذا شيء جديد. هل كان موقفها مخلاً بالاحترام له عندما لم تنقاد لارادته لتتركه بسهولة أن يفرض عليها البقاء في السنة الفائتة؟ كم ضحكت لتلك المحاولة. من المؤكد أن النساء مخلوقات معقدات في مجالهن الخاص، لقد اصبحن ينافسن الرجل أكثر وأكثر يوماً بعد يوم!»

نظرت إليه وهي ما زالت ممسكة بفنجانها. وكان هو لا يزال ينتظر ردها، وكأنه على عجلة من امره ولا يستطيع الانتظار اكثر. كان يمسك بحقيبته بينما كان ينتظر. إنه اكثر حيوية ونشاطاً هذا الصباح مما سبب لها بعض الامتعاض. ذلك لأن ليلتها كانت مضطربة، تتقلب في فراشها ذات اليمين وذات الشمال ويشتعل جسدها بحرارة مع أن الغرفة كانت مبردة كفاية. كانت تشتعل في داخلها من الفكرة التي لم تستطع محوها من مخيلتها، وهي ان فرناندو كان نائماً تحت السقف نفسه، قريب جداً لكنه بعيد جداً في نفس الوقت. اهو يعاني الأرق مثلها ويفكر في ذكريات حبهما الضائع التي تلهب مشاعره وتبعد عنه النوم؟

قال فجأة: «أطلب منك للمرة الثالثة، اتذهبين معي؟»

سرق سؤاله استغراقها الحالم. واعلنت وهي تهز رأسها: «لا، لكن شكراً للعرض، لا حاجة لي في الذهاب إلى الكوديا، كما وانه قد سبق وتم المبيع لزبائني في بولنسا.» وقطبت فجأة وهي تتابع: «إن لم يعد ستيف بعد أيام قليلة قد اضطر للذهاب إلى بالما والاجتماع مع الخطوط الجوية ومكتب خدمات السياح بنفسي.» لم تكن تمانع في ذلك ابداً لكن هذا قد يسبب ضغطاً على جدول

اعمالها. وضعت فنجان القهوة فوق الطاولة. «ألديك فكرة عن موعد عودتهما؟»

اعلن بصراحة: «ولا بأي شكل من الأشكال.»

«حتى انك لا تهتم ايضاً للموضوع؟» سألته روث، وكان العبوس ما زال مرتسماً فوق محياها. إنها فعلاً لم تفهم هذه الناحية منه. كان يأخذ الأمر ببرودة اعصاب غريبة، أمر غياب حبيبته مع حبيبها السابق.

«لقد قلت لك، لي ملء الثقة بأنها ستعود.»

«لأنك تملك ذلك الشيء الثمين الذي يفتقده ستيف؟ لا تكن واثقاً من نفسك لهذه الدرجة.» نهضت وبدأت تنظف مائدة الافطار.

وقف فرناندو أيضاً، وقال: «إني متأكد، لا بل واثق من عودتها.»

«هل هذه الثقة القوية التي تعتز بها في نفسك تمنعك من الزواج منها؟ أو هل تظن أنها مسلوبة العقل ومتمسكة بك لدرجة أنه سيسعدها العيش معك إلى الأبد؟»

«لم نأت في علاقتنا على ذكر الزواج.» قال ذلك وهو يناولها فنجان القهوة كي تضعه في الصينية.

كانت متأكدة أن ذكر الزواج لم يصدر من ناحيته: «إنك تدهشني. لم اكن اظن أن الذين ينحدرون من طبقة اجتماعية مشهورة، سيسعدهم رؤيتها تعيش مع رجل.»

«ايعني هذا أنني غير صالح ما فيه الكفاية؟»

«لم اعنِ هذا ابداً، كما أنت تعلم ايضاً. انما كان لدي اعتقاد أن للعائلات الاسبانية تقاليد شعبية في ما يتعلق بالعروس وقدسية الزواج والانجاب وارتباط عائلي متماسك.»



قال ببرودة: «هناك دائماً استثناءات مخالفة للقوانين.» واخذ منها الصينية وعليها الفناجين الفارغة وغادر الفناء نحو غرفة الطعام.

لم تلحق روث به مباشرة، كانت تقف شاردة وهي تحدق بمحرمة مطوية من الورق متسائلة تفكر بالذي اكتشفته أكثر بقليل من الذي سبق وفهمته عن علاقتهما. وكان الأكثر بقليل هو ان فرناندو لم يظهر عليه اية دلائل تشير إلى أنه يفتقد لماريا لويزا أو انه حقيقة مغرم بها. ألا وهو العمل.

صعدت روث بارتباك وحيرة إلى غرفة نومها كي تبدل ملابسها. كانت ترتدي سروالاً قصيراً وقميصاً قطنياً، وهذا لم يكن اللباس المثالي للنقاش في الأعمال مع مدراء الفنادق. يجب عليها في الحقيقة ان تخرج ماريا لويزا وستيف وفرناندو من فكرها، وتركز فقط على الأمر الذي جاءت من أجله إلى جزيرة ماجوركا...

اعجبت روث كثيراً بمدينة بولنسا القديمة وفرادة شوارعها الضيقة ومنازلها المبنية من الحجر الأحمر. إنها تبعث الارتياح في النفوس كما انها هادئة جداً بالمقارنة مع بالما. وظنت روث، أنه هنا تكمن ماجوركا الحقيقية. تسلقت الدرجات التي كان عددها يقارب ثلاثمئة وخمس وستين درجة على الرغم من الحر الشديد في كالفاري، واخطأت العد عند آخر الدرجات ولم تدر ان كان ذاك صحيحاً ام لا. ثم ارتاحت وهي تستظل شجرة السرو واخذت تراقب السياح وهم يسيرون بتثاقل من شدة حرارة الجو، وتابعت تسلق الدرج بعد تلك الاستراحة وعندما وصلت اخيراً، وافقت مع شابين من ليدز بأن هذا العناء

الذي بذلوه في الصعود نسوه عند ذلك المنظر الخلاب من اعلى المكان، والذي كان فعلاً مذهلاً رغم الحرارة التي خيمت في الجو.

الجوع والحاجة إلى هواء البحر اجبرا روث على قيادة سيارتها إلى شاطىء بولنسا. لقد وصلت إلى المرحلة النهائية من رحلة عملها ولكن قبل البدء به اخذت تتجول على طول الشاطيء المزدحم، وهي تلتقط صوراً فوتوغرافية للبحر، للمتزلجين فوق المياه وراكبي القوارب المعدة لركوب الأمواج المتكسرة، وصف الاشجار الطويل المناسب للتنزه الممتع في ظلاله، كذلك الجبال الشامخة من ورائهم.

دخلت إلى مطعم عند الشاطىء لتتناول طعام الغداء، طلبت زجاجة مرطبات باردة وبعضاً من صحون المقبلات. تذوقت الكلامارس والبوكيرونس وغمست الخبز في صلصة السمك. تذكرت العشاء الذي تناولته مع فرناندو الليلة الماضية.

كان طبق الاسكالادن شهياً وليس من النوع المبرد في الثلاجة، لقد اعد كل ذلك بنفسه. لم تكن على علم ومعرفة بانه طباخ ماهر...

بعدما انتهت من تناول الطعام، دفعت ما توجب عليها وعادت إلى حيث اوقفت سيارتها في مكان ظليل تحت شجرة برتقال في احدى الساحات... لم تكن تعرف الكثير عن فرناندو سيرا، ادركت ذلك وهي تحس بانقباض في قلبها، كانت تعرف الكثير عن عاطفته الجياشة والأساليب التي يتبعها، وهذا ليس بالشيء الذي يفتخر به.

كانت البوابة الحديدية الضخمة من كازابينار مشرعة عند



عودتها في وقت متأخر من بعد ظهر ذلك اليوم، وأدركت أن فرناندو في المنزل. المنزل، فكرت بانقباض وهي تقود سيارتها صعوداً في الطريق الخاص. هذا ليس منزلها بل منزله ومنزل المرأة الرائعة التي يعيش معها. لكن، من دون اي تصميم على الزواج حتى الآن. قد يسبب ذاك الفراق المفروض نوعاً من الخسارة له. ان البعاد يجعل القلب اكثر هياماً واشتياقاً، بعض الأغبياء يقولون هذا.

«لم تذكر لي شيئاً عن المهرجان الموسيقي الذي سيقام الأسبوع المقبل في بولنسا، كل يوم احد وحتى نهاية الشهر في معابد سانتو دومنغو.» فقد شاهدت عند عودتها، بعض الاعلانات فوق جدران المدينة والتي اثارت فضولها.

التفت فرناندو إليها حيث كان يخرج زجاجة من الشراب من الثلاجة. بدا وكأنه قد وصل لتوه، كان شعره مبللاً وكأنه كان يمارس رياضة السباحة. وكان يرتدي سروالاً من الجينز وقميصاً ازرق اللون. «لم يأت ذكر ذلك في حديثنا ليلة البارحة. اترغبين في الذهاب؟» وسكب لها كأساً من الشراب البارد.

تمتمت بينما كانا يخرجان نحو الفناء: «نعم، إذا بقيت هنا.»

«لقد قام بتأسيسه رجل من يوركشاير.»

سألت روث بشك: «تعني المهرجان الموسيقي؟»

«فيليب نيومان، لكنه مات سنة ١٩٦٦. وما زالت تلك المهرجانات الموسيقية تقام حتى الآن.»

«إنه تنظيم رائع.» وتنهدت وهي تجلس في الظل وترتشف الشراب. «هل ترى عائلتك غالباً؟» سألته وهي

تغير دفة الحديث. كان الاسهاب في التكلم عن الحفلات الموسيقية مع فرناندو بمثابة تذكير مؤلم لما كانا عليه في سفيل.

قال لها بهدوء: «توفي والدي منذ اربعة اشهر خلت.»

ازدردت روث ريقها متأثرة: «آه، أنا آسفة يا فرناندو.» ثم تنفست بعمق وتابعت: «انك... انك من المؤكد تفتقده. كنتما متقاربين جداً.»

قال بلطف لكن من دون أن ينظر إليها: «أنت تذكرين ذلك.»

همست وكأنها تكلم نفسها: «اذكر كل ما يتعلق بسفيل. كيف استطاعت والدتك التغلب على هذا الأمر؟»

«إنها مع شقيقاتها في مينوركا. وهذا أحد الأسباب الأخرى لوجودي هنا. عدت عندما كان والدي يعاني من المرض الشديد وبقيت منذ ذلك الوقت. إنه منزل العائلة ولا ترغب والدتي في تركه خالياً وغير آهل. تود رؤيته منزلاً عائلياً مرة ثانية.»

وهذا ما سيكون، وقريباً جداً، فكرت روث بكآبة. خاصة عند عودة ماريا لويزا. «هل.. هل تتفق والدتك وماريا لويزا؟»

ابتسم فرناندو وحدق بها. «نعم، إنها تحبها كثيراً. ايؤلمك هذا؟»

هزت روث كتفيها بعدم مبالاة. «ولِمَ عليّ ذلك؟»

«لأنني قلت لك مرة ان والدتي سوف تعشقك.»

«هي تعشق اخرى الآن. هذه هي الحياة!» قطعت كلامها بثبات، وهذا ما برهن ببساطة انها فعلاً تأذت. حاولت التغلب



على هذا الشعور فوقفت وهي تمط بجسدها وكأن الحديث يعذبها ويقلل من عزيمتها.

«اتمانع إن نزلت كي اسبح؟»

هز بكتفيه. «أنت مضيفتي وعليك أن تقومي بما تشائين.»

كانت البارحة اسيرته. وكم كان من السهل عليها أن تدعه يغير مساره.

تمتمت: «سأذهب لأرتدي ثوب السباحة.»

«لماذا تزعجين نفسك؟ فأنت لم تفعلي ذلك البارحة.»

«كنت البارحة اعاني من ضغط ما على اعصابي واحاول أن اثبت شيئاً. أما اليوم فذاك الضغط قد تلاشى.»

قال ممازحاً: «بسببي أنا؟»

استسلمت روث للمرة الأولى فقد كانت ايماءة مضحكة عن الثورة النفسية التي اجتاحتها.

قالت له وهي تبتسم ابتسامة صغيرة: «بسببي أنا أيضاً. تعرف جيداً كم كانت الشمس دائماً تشدني إليها. وبعض الوقت من السباحة يريح اعصابي.»

«اهذا هو السبب الذي يدعوك إلى السباحة الآن، لأنك تشعرين بالحرارة قليلاً؟» سأل ذلك على سبيل الاستفسار.

اجابته بغباء: «ليس من حرارتك يا فرناندو. لقد نسيتها. إنني فقط مرهقة بعد التنقلات التي قمت بها بعد ظهر هذا اليوم حول الفنادق.»

«وكيف كانت؟»

ادهشها سؤاله لأنها توقعت منه أن يثور من الاهانة. «عظيم جداً، كما لدي ثلاثة مواعيد اخرى بعد ظهر يوم غد.

www.elromancia.com

اهتمام ثلاثة فنادق في تقديم حسم جيد، في المواسم غير السياحية، طبعاً. من الضرورة أن انهي كل ذلك غداً.»

نهض وهو يقول: «عظيم، يسعدني أن اسمع بأن يومك كان ناجحاً.»

سارا معاً إلى داخل المنزل. سألته: «وكيف كان يومك؟ ناجحاً ايضاً؟»

انفجر ضاحكاً ووضع ذراعه حول كتفها.

«يبدو علينا وكأننا زوجان سعيدان.»

كانت ترتعش من لمسته على الرغم من هذه المرحلة الجديدة التي توصلا إليها من التفاهم. شعر بذلك هو ايضاً لكنه سرعان ما رفع ذراعه عنها.

قال بضيق: «لسنا تماماً ينبغي أن نكون؟»

توقف عند أول درجات السلم وكأنه كان في مكان آخر وظهر في تلك اللحظة ليرافقها.

«ماذا تقصد؟» كان صوتها منخفضاً وهي تتكلم.

رفع ذقنها وقال: «أنت تعلمين، لذا لا تتظاهري بعدم الفهم. إننا ما زلنا نولي الاهتمام لبعضنا البعض و... ونحاول قصارى جهدنا لذلك، نحن لا نزال في حاجة لبعضنا البعض.»

اردفت ببساطة: «لا اظن أن ذلك كان موضع نقاش يا فرناندو.»

«نعم إنك على حق، هذا لم يكن قط، لكن هناك شيء ما تغير ولست متأكداً تماماً إن كان لمصلحتنا معاً.»

ابعدت ذقنها عن يده. وهي تقول: «حسناً، لا استطيع التظاهر بمعرفة ما يعني كل ذلك.»



«ليلة البارحة، الغروب، الوجبة، الحديث. هذا الصباح، هذا النهار، هذا المجهود على حد سواء. في استطاعتنا المضي قدماً يا روث، لكن ما بعد...» عادت اصابعه إلى موضعها مرة أخرى ولكن لم يكن في حاجة لأن يضيف شيئاً أكثر.

نظرت روث إليه بارتعاش وقالت: «لكن... لكننا نعلم الآن أن ما من شيء قد يحدث. قلت هذا بنفسك. فقد كان كل هذا عقاباً لشيء ما زلت لا افهمه.»

قال لها ببرودة: «كان عقاباً لسفيل.»

«من غير الممكن أن يكون شيئاً آخر! إنه كل ما نملك!»

«لكن كان في مقدورنا أن نملك اكثر بكثير...»

قاطعت بحماس: «لو انك جئت إلى بريطانيا كما ظننت انك ستفعل.»

ضاقت عيناه الداكنتان. «ما كان هذا هو السبب في إنهاء الأمر كله، وأنت تعرفين ذلك.»

اخفضت روث عينيها وتشبثت بدرابزين الدرج وتمتمت: «كان لا يزال هناك نواح كئيبة عندما فكرت بتلك الرحلة يا فرناندو. إنك تلومني على عودتي إلى بريطانيا بسبب عملي، لكن لم يكن الأمر كذلك كما لم تكن غلطتي.» ووضعت يدها على جبينها واخذت تحكه بارتجاف وكأنها تحاول أن تفكر بوضوح اكثر. ثم سحبت يدها لتنظر إليه. «كنت خائفة... كنت فعلاً خائفة من ألا يكون الأمر حقيقة.»

«كيف يمكنك أن تشكي بذلك؟» وكان في عينيه غضب شديد من ملاحظتها وهو يتابع: «لقد احببنا بعضنا إلى ابعد

حدود. كنت تعلمين أن لا نية لك برؤيتي مجدداً. وها هو قلبك محتجب الآن.»

أجابت بسرعة: «احتجبته... نعم، نعم احتجبت قلبي فعلاً بسبب احتجاب قلبك ايضاً.» وجاءت كلماتها متلاحقة.

أردف قائلاً: «ناشدتك البقاء!» وفجأة اشتعل غضباً منها. «هل من المعقول أن تسيئي الفهم وتقولي أنا الذي احتجبت قلبي؟»

«لأنك لم تقصد ذلك!» صرخت روث وعيناها تطفحان بالدموع. حاولت حبس تلك الدموع. يجب ألا تبكي، لا. «ولم تصدق للحظة واحدة أنني سأوافق، ولذلك السبب طرحت سؤالك. وكان ذلك ملائماً جداً لك. قدمت عرضك، وأنا تجنبته، وكان مخرجاً سهلاً لكلينا.»

حدق بها، وتلاشت نظراته الغاضبة وحل مكانها تساؤلات واضحة. «لا افهم النساء، إنني فقط لا افهمهن.» وتنفس بمعاناة شديدة.

صاحت روث: «كذلك أنني لا افهمك!»

«تركتني ارحل. قمت بالتماسات باردة، سخيفة ثم تركتني اخرج من حياتك. والآن تجعلني ادفع الثمن. هذا كله جنون، مئة بالمئة!» تحولت عنه بسرعة للصعود فوق الدرجات، لكنه التقط معصمها. لم تقاوم للإفلات لكنها واجهته بغضب. «ما الذي جعل كل هذا يحدث من جديد يا فرناندو؟ كنا على احسن ما يرام، نتعرف على بعضنا من جديد، وكاننا لا نعرف بعضنا في سفيل.» تنهدت بعمق وبألم بالغ وهزت برأسها لأن كل ذلك كان مستحيلاً. «لا تحاول حتى القول لي...»



«لأنك لا تستطعين مواجهة الواقع الأليم وهو أننا نغرم ببعضنا من جديد؟» قال ذلك بهدوء لدرجة انها ارادت أن تصفعه بقوة للتغيير المفاجيء في مزاجه.

«لا تكن سخيفاً! لسنا كذلك!» وكان هذا قولاً صادقاً، منها لأنها لم تخرج يوماً من حبه وإن كان هو قد بدأ يغرم بها فهذا يعني أنه لم يحبها قبلاً. آه، كانت محقة برفض عرضه فالعلاقة التي تربطهما لم تستمر أكثر من سنة!

«بلى إننا كذلك.» الح وهو مازال قابضاً على معصمها باحكام: «ولا اتمنى عكس ذلك...»

قاطعته روث بضحكة ملؤها المرارة. «لماذا، ألأنها تؤثر على طريقة انتقامك؟ لا، انتظر لحظة.» رفعت يدها ونقرت بأطراف اصابعها لكن هذه البادرة لم تؤثر فيه. «اظنك قمت بمحاولة تلو الأخرى. قررت رغم كل شيء أن تشاركني في كل شيء وما من طريقة افضل من أن تتبع اسلوباً رابحاً بواسطة بعض الاطراءات؟»

ضحك بوقاحة وقال: «لست في حاجة للاطراءات لأشق طريقي. لقد سبق واعترفت بأنك راغبة بذلك.»

«نعم، فعلت. لكن لا تجرؤ على المحاولة ثانية طالما اعتبرتها خديعة منك ورفضتها. لكن بالرغم من كل تلك الاحاديث العذبة والوقوع في الحب مجدداً، ألا ترى أن الرفض لن يكون ذا اهمية.»

قطب بغضب شديد واعتقدت روث بأنها كانت على حق وكشفت ما كان متسترا به، هذا اللعين الأحمق.

«إنني لم اتوصل إلى هذا البعد من التحليل في هذه النظرية الجديدة لكنها فقط تضيف المزيد إلى شكوكي في

المسألة كلها. اعيد عليك، كنت اتمنى أن لا يحدث ذلك. اتمنى لو أنني استطيع فعل شيء لوضع حد له لكنني لا انكره وقد تكونين كاذبة إن حاولت.»

امتلأت عيناها بالدموع. «لكن الفرق هو، يا فرناندو، في أنك تشعر بشيء أنا لا...»

«قلت لك لا تحاولي الانكار لأنني لن اصدقك.» قالها بنبرة جادة وصلبة في صوته.

اتسعت عينا روث الزرقاوان. «أنت لا تعرف حتى ما الذي كنت على وشك قوله!»

«لست مضطرا لذلك. إنك تظهرين قلة الاحترام علناً.»

لم تعد تحتمل هذا أكثر، ذلك التارجح في عواطفه، يتقاذفها يميناً وشمالاً كسفينة ضلت مسارها في خضم بحر هائج. «كم أنت اعمى يا فرناندو سيرا، ليس كلياً لكنك صعب الارضاء بما تراه. تتكلم عن الوقوع في الحب مرة اخرى. حسناً، هذا هو الفارق بيننا. لا استطيع أن اقع في حبك مرة اخرى لأنني لم اتوقف عن حبك بتاتاً!» وسرعان ما عضت شفتها، نادمة على تصرفها الغاضب بقدر ما كانت نادمة على التقاطها تلك النظرة الثاقبة منه في الحفلة المشؤومة التي حددت قدرها. «آه، فلتذهب إلى الجحيم!»

دارت بسرعة لتجري فوق السلالم لكنه أدركها وجذبها بين ذراعيه وقال برقة: «روث، ماذا نفعل بأنفسنا؟ لم اقصد أن ابدو كذلك... بأنني توقفت عن حبك وانني اقع فيه من جديد.» ضغط برأسها على كتفه ولامس شعرها بيده الدافئة.

«لقد... بدوت كذلك.» قالتها وهي تتشبث بقميصه وانزلت



ذراعها إلى خصره وزال عنها كل غضب وخصام. لم يعد في مقدورها أن تحتمل أكثر من ذلك. «آه، يا فرناندو، «إنني... إنني اشعر بارهاق شديد من كل هذا.»

همس بصوت خافت: «اعرف، يا عزيزتي.» إنني ايضاً لا استطيع احتمال وجودك هنا غاضبة وثائرة ولا احظى بك، احظى بك حقيقة. تدبرت وجودك هنا لمعاقبتك وأنت على حق في ذلك... إنني اسبب الألم لنفسي على حد سواء.»

كانت تريد بيأس الخروج من هذا الحديث، لتستحوذ على هذه المشاعر الجديدة. كان نوعاً ما على حق. كانا يقعان في الحب، لكن ليس من جديد، بل فقط بطريقة مختلفة. لكن ما بين تلك المشاعر الجديدة هناك ثغرة تمتد على نحو سنة وفي تلك الاثناء شيء فظيع قد تم. أمر مريع للغاية ولن يكون في استطاعتها نسيانه. لقد وجد فرناندو السعادة، مع امرأة أخرى.

كانت ذراعاه تلفانها بقوة. وما كان للحب من حاجة للاعلان عن نفسه. لقد كان يحضنهما، وبقوة رهيبة وتنفست بألم وهي تقول: «ارجوك فرناندو هناك أشياء يجب أن تقال.»

سنقولها، يا عزيزتي، سنقولها.»

حملها بين ذراعيه وحاولت روث أن تصرخ لكن الصرخة تلاشت في حلقها. تعلقت به، خوفاً من أن تقع من بين يديه بينما كان يحملها إلى الطابق العلوي نحو غرفتها.

تشابكت الأمور في رأسها وهي تحاول الوصول إلى نتيجة واحدة بينما اجلسها فرناندو على الكرسي.

«قلت... قلت... اننا... سوف نتكلم.» قالت وهي تلهث بضعف فحاولت التخلص من يديه لكنها لم تستطع.

«نعم، سنتكلم.» قال والحب الكبير يملأ كيانه: «نعم سنتكلم، وأؤكد لك، أنك لم تخرجي من مخيلتي منذ آخر مرة افترقنا فيها.» وحاول معانقتها مرة اخرى لكنها صدته بيدها. لكنه تابع يقول بحنان. «أهذا النوع من الكلام اردت سماعه؟»

ناضلت كي تخرج الكلمات من فمها وعندما خرجت اصيبت بألم كبير.

«فرناندو، أريد تفسيراً... أريد... انك تعيش مع ماريا لويزا!»

كان جسده مشدوداً وعيناه تلمعان، فقال بصوت أجش، وهو يبعد شعرها بلطف عن وجهها: «إنك تعرفين أنه من غير الممكن أن اقوم بأي شيء غير صحيح. ليست ماريا لويزا في قلبي كما تظنين. بل أنت وحدك...»

«لكن...»

«لا، لكن. ثقي بي. كما وثقت تماماً في سفيل. دعيني احبك كما احببتك قبلاً.»

لم تستطع روث الإجابة. فمن المستحيل أن تنطق بكلمة عندما يكون القلب مستعداً للحب.

لقد وثقت به وكانت تعلم أنه تكلم من كل قلبه. وتبخر ذلك النسيج المتشابك من ماضيهما وحاضرهما امام مستقبلهما. لم يكن الماضي مهماً، بل الحاضر هو المهم، أي الوقت الذي تكون فيه مع فرناندو، وهذا وحده موضع اهتمامها.



# الفصل السابع

تملؤها الثقة كل الثقة الآن، إنها متأكدة إلى اقصى الحدود، وتركت قلبها يتكلم. «احبك يا فرناندو.» همستها بنعومة وهي تتساءل ان كان قد سمع همستها.

وجاء صوته يهمس بلطف أيضاً، «شش!» وكأنه يؤكد لها أنه سمعها. ومرّ بأصابعه المرتعشة فوق شفتيها كإشارة لذلك وكأنه ليس في استطاعته ان يتحمل الألم لدى سماعه بالذي نطقت به. فهمت روث معنى شعوره في هذه اللحظات الرقيقة والمفعمة بالحب. لقد استعملا الكلام بحرية متناهية في سفيل وهذا ما كانت عواقبه. لم يرد ان يجرّب القدر على الاطلاق، لكن القدر نفسه عاد وجمعهما مرة أخرى وكأنما لا يوجد أحد سواهما في العالم كله.

«لا تذهبي، أرجوك.» صاح فرناندو، وهو يحاول جذبها نحوه، وتمتم: «هل استطعت النوم؟»

همست أيضاً وهي تلمس جانباً من وجهه: «وأنت؟»

«لا استطيع التذكر. كان كل شيء حالكاً بالنسبة لي.»

ضحكت بمرح وهي تداعب شعره فتجاوب معها بادراك تام وهو يتنبه إلى كل حركة كانت تقوم بها.

صرخت بذهول ضاحكة: «فرناندو!»

قال متصنعاً البراءة الزائفة: «ماذا؟» وجذبها نحوه وكأن شيئاً لم يحدث.

لم ترد ان تكون تعيسة الآن، وبعد ان سارت الأمور على

خير ما يرام. ابتسمت ودفعت ذراعها بتراخٍ. «هذا يكفي الآن. وان اردت بقائي هنا، فأنا أكلّف كثيراً.»

ضحك وقال: «سأدفع.»

«لا تستطيع تحمل مصاريفي.» فقهقهت مسرعة إلى الحمام.

اختفت الضحكة فجأة وملأ الحزن صدر روث بينما أقفلت الباب وراءها واتكأت عليه. كانت تحبه بجنون لا يوصف كما انها كانت تعلم أنه يحبها كثيراً ولكنها لا تشعر بذلك. ربما استحوذت ماريا لويزا على جانب كبير من حياته لذا لا ترى أي أمل لمستقبلهما. لقد اعترف بأنها لم تكن في قلبه يوماً لكنها كانت على الأقل في حياته.

أغمضت عينيها وعضت على شفتها وأخذت تتمنى في قرارة نفسها بحرارة كي تستطيع هي وستيف أن يعيدا ما كانا عليه في سفيل تماماً مثل الذي كانت عليه مع فرناندو. لا تعلم ان ماريا لويزا لا تزال تقيم معه واعتقدت انهما احتاجا لبعضهما وخصوصاً بعد سفيل... لكنها لم تتأكد بعد ولربما ما زالت ماريا لويزا على حب مع فرناندو... لكن، لماذا هي مع ستيف الآن؟ آه، ان الأمر كله محير ومربك.

طرأت في رأسها فكرة رهيبة، ربما تعيش معه من أجل ماله؟ فقد قال فرناندو إنه متأكد من عودتها فهو يملك شيئاً ثميناً لا يملكه ستيف: هل يا ترى كان ذلك من أجل حسابه في المصرف؟

عصفت الهواجس في رأس روث ولم تتوصل إلى جواب مقنع. لقد أصبحت فجأة سعادتها متوقفة على اختيار ماريا



لويزا، ستيف أو فرناندو، وهذا ما لا طاقة لها على التفكير به.

«الا تريدين السباحة الآن؟» سمعت فرناندو ينادي من البعيد.

لم تستطع روث التفكير بوضوح. أبعدت شعرها الرطب عن حاجبها وكأن ذلك قد يساعد، لكنه لم يفعل، ولم تستطع أيضاً التركيز على أي شيء.

«انه... إن الظلام يلفنا.» هذا ما استطاعت قوله بحزن.

«نستحم في حوض السباحة، فهو غير مظلم.» وسمعت من البعيد صوت إغلاق الباب بهدوء.

دخلت روث غرفة نومها وهي تشعر بالكآبة وارتدت ثياب الاستحمام وجاءت بمنشفة وهبطت ببطء نحو الطابق السفلي ثم إلى الخارج نحو الفناء وهي تعبر غرفة الطعام.

انها لا تريد أن تفكر بعد اليوم بتلك الخيارات. لأنها اتخذت قرارها، وهو أن تحبه من جديد، وهذا كل ما تستطيع قوله الآن في هذا الوقت.

قالت باعجاب وهي تقف عند حافة حمام السباحة: «آه يا فرناندو. هذا رائع. هوليود مصغرة.»

كان فرناندو في الماء. كانت البركة مضاءة من قعرها، فتلألأت المياه بلون أخضر باهت تدعو المرء برغبة اليها. وكان هناك أضواء لطيفة تختفي بين الصخور، وتلقي ظلالاً حالكة وخيوطاً من الضوء في فتحات ضيقة بين الصخور والتي تكون في وضح النهار محتجبة تماماً. كان مكاناً ساحراً لممارسة رياضة السباحة.

صاح فرناندو بعد أن أسقطت المنشفة واستعدت للغطس لتلحق به. «آه، لا، لا تفعلي.»

ضحكت، وهي تتمايل كي تحافظ على توازنها عند الحافة: «لا أفعل ماذا؟»

«الغطس بهذه الطريقة!»

علقت ضحكة في حلقها عندما رأته يغطس ويسبح تحت الماء نحوها.

قالت وهي تقهقه من الضحك: «حسناً، علمني الطريقة الصحيحة.»

صعد من المياه فجأة، ليقف أمامها. «انتبهي جيداً.» نبهها وهو يمسح الماء عن وجهه وشعره.

صاحت: «ماذا هناك يا فرناندو؟»

«كفي عن هذا يا روثي.» قال لها ذلك وكانت تعلم ما الذي يزيده حيوية وهو يبتسم تلك الابتسامة العريضة، مما جعلها تشعر بميل أكبر نحوه.

روثي، لقد كانت المرة الأولى التي يناديها أو يلفظ باسمها هكذا في ماجوركا. كان يستعملها مراراً في سفيل. عبارة ناعمة، عذبة تميل إلى الغنج والدلال. آه، انها تحبه كثيراً وفي حاجة أيضاً إليه.

كانت خفيفة الحركة في حوض السباحة تماماً مثل دلفين وكانت بعيدة عنه قبل أن تتيح له الفرصة في ايقافها. ولحق بها نحو الطرف الآخر من الحوض وهو يضحك بمرح وسرور.

قال لاهثاً: «لم أعلم قبلاً انك تجيدين السباحة بهذه المهارة.»

قالت لاهثة: «كنت بطلة السباحة في مدرستي.»

«كذلك أنا.»



كانت تشع من المرح فانفرجت مرة ثانية شفتاها بالضحك.

قال بحنان: «أنت... أنت الحبيبة الأروع جمالاً والأكثر مهارة في السباحة.» قال لها ذلك وهو يحيطها بنظرات من الاعجاب والدهشة.

همست ممازحة: «وأنت بطل المدرسة في الغوص.»

ضحك عالياً ثم أخذ يقرص نقنها مداعباً، وهي تغمض عينيها مستمتعة بنور القمر الساطع الذي شعّ فوقهما.

«ماذا، من قرص الذقون؟»

دفعته روث بعيداً بأنين وسبحت على طول الحوض، تتحرك بتكاسل وبضعف وكأنها فقدت كل قواها. وانسحب فرناندو من الحوض ليجلس على حافته ويراقب حركاتها.

لقد فكرت بأنها لم تكن يوماً أسعد مما هي عليه الآن. حتى ولا في سفيل، كان سروراً مميزاً بكل معانيه. انهما متحرران من أية قيود أخرى. ولكن هناك عواطف من فريق آخر... لا... ليس عليها أن تشرك ماريا لويزا و... لا... ما عليها ذلك. إذاً لماذا الأمور أفضل من ذي قبل؟ لم تستطع الاجابة عن ذلك، كل الذي تستطيع الاجابة عنه أنها تهيم به الآن أكثر من قبل وتريده بشدة أكثر من قبل، وتعتقد بأنها سوف تتأذى من هذه العاطفة أكثر بكثير من قبل وبشكل سيتعذر عليها تجنبه.

رأت روث ان العقاب الذي تستحقه الآن هو أن تتجنب هذه العلاقة التي تقيمها مع فرناندو، العلاقة التي يجب أن لا تدعها تستمر. مع ان فرناندو ليس متزوجاً لكنه كان متورطاً. ودارت روث تسبح نحوه، لكن الارتباط الذي تفكر

فيه ليس موجوداً الآن، انها بعيدة جداً ومع رجل آخر... لا، لا، عليها ألا تفكر بهذه الأمور مرة أخرى.

كانت ساقاه القويتان تتدليان في المياه فتمسكت روث بهما لتحافظ على توازنها.

«هل أنت سعيدة؟» ابتسم وهو ينظر اليها بشغف.

هزت روث رأسها بالإيجاب وعندما حاولت أن تسأله السؤال ذاته كان قد قبض على يديها وسحبها خارج المياه ليحيطها بذراعيه.

قال لها: «انني أتضور جوعاً. سنخرج للعشاء، إلى ميرادور. إنه مكان جيد جداً وهو عبارة عن شرفة ناتئة من مطعم تطل على أكثر المناظر الخلابة من كابو فورمنتور هناك نتكلم، ونقول ما نريد.»

أطلقت روث زفرة ارتياح وهي تخطو خارج ردهة الفندق إلى حيث أشعة الشمس الحارة لتضربها لفحة من الهواء الساخن بعدما كانت تنعم بالهواء المكيّف البارد داخل الفندق.

لقد انجزت عملها، واتفق الطرفان على الشروط، سوف تدهش زبائنها بهذه التسهيلات وتوفر الراحة لهم في هذا الفندق. إنها مكافأة كبيرة لموظفي المبيع في الشركة على زيادة المبيع لديهم. وشعرت بأن هذه الحملة ستعود بنجاح أكيد.

كان فرناندو ينتظرها عند جانب الطريق، وهو يستند إلى سيارته المرسيدس المكشوفة، وبدا متململاً وفهمت روث سبب ذلك. لقد أصرّت على القيام بهذه الاتصالات وكانت ناجحة، لكن لم تكن مقنعة لفرناندو.

«ناجحة؟»



«نعم، إلى أبعد حدود.» ابتسمت بسعادة وهو يفتح لها باب السيارة.

«كان في استطاعتي أن أقوم بذلك باتصال هاتفي واحد فقط لو سمحت لي.» جلس قربها وأدار محرك السيارة.

قطبت روث وفتشت في حقيبة يدها لتأخذ نظارتها الشمسية وقالت بثبات: «أعتقد بأنه سبق واتفقنا على هذا الأمر ليلة البارحة في المطعم. لا أريدك أن تقوم بما لي القدرة على القيام به، انه عملي، وليس عملك. آه، أظن انني نسيت نظارتي الشمسية في الفندق.»

امتدت يد فرناندو إلى ما تحت الزجاج الواقي للسيارة والتقط نظارتها الشمسية بابتسامة ماكرة ثم أعطاها اياها.

يمكنها أن تقرأ أفكاره. كانت تظهر لها بصورة واضحة. ان النساء مخلوقات ساذجة، وعليهن البقاء في منازلهن يغسلن ويطبخن بدلاً من أن يوقعن اتفاقات عمل... عضت روث شفتها ووضعت النظارة فوق عينيها. لكنه لم يكن ليفكر في هذا الشأن. كان قد اقترح عليها ليلة البارحة ان في استطاعته تسوية أعمالها باتصال هاتفي مع مدير الفندق، والذي تربطه معه معرفة وثيقة، والسبب في ذلك كله انه أراد أن ينطلقا للتمتع بيومهما بدلاً من الانتظار خارج الفنادق من أجلها.

سألها، وهو ينعطف إلى جانب الطريق: «إلى أين تريدين الذهاب؟ إلى ماناكور من أجل عقد من اللؤلؤ أم إلى انكا من أجل شراء زوج من الأحذية، أو كهوف دراتش لنشعر بالخوف على الطراز القديم، أم في نزهة عاطفية إلى شبه جزيرة فورمنتور؟»

ابتسمت روث ابتسامة واسعة، لقد عادت روحه المرحة فقالت مازحة: «انني ما زلت صغيرة على اللآلىء، ثم لدي عدد كافٍ من الأحذية، لكنني لا أستطيع أبداً أن أشبع من العاطفة.»

قال وهو يبادلها المزاح: «رغبتك هي بمثابة أمر واجب عليّ تنفيذه.»

كانت القيادة إلى كوبا فورمنتور ممتعة ومسلية. مشاهد لا أروع ولا أجمل جعلت روث تتثبت في مقعدها معقودة اللسان. توقفا عند كالا دو سان فيسنت للتمتع بمشاهدة غابات الصنوبر من الجانب الشمالي وإلى الشاطىء الرملي في الأسفل الذي يدعو بالحاح إليه.

«قلت لي في سفيل إن ماجوركا أكثر اخضراراً وأكثر رونقاً وأكثر صفاءً لكنك لم تقل لي عن روعة مناظرها وجمالها الطبيعي الأخاذ.» وتأملت روث باعجاب وذهول.

هتف فرناندو بتحسر وأخذها بين ذراعيه: «أو مزدحمة.»

«فرناندو!» صرخت معترضة، لكنها بقيت مستسلمة لعناقه. وتعالت ضحكاتهما وهما يمشيان متهاديين نحو السيارة.

«ليتني جلبت معي ثوب السباحة.» تحسرت روث وهي تحكم حزام الأمان. «البحر هناك يشدني إليه كثيراً.»

«يسعدني انك لم تجلبيه. لأنني لا أتحمل صفرات الاعجاب بك.»

«أتغار؟»

«بالتأكيد.»



قاد فرناندو سيارته وانطوت روث على نفسها في سكون من روعة المناظر الطبيعية. كان كل شيء رائعاً للغاية. وانحدرت السيارة فجأة نحو وادٍ ظليل بأشجار الصنوبر والسنديان. أشار فرناندو إلى شاطىء فورمنتور والفناءات المزهرة من فندق فورمنتور الكبير. وتوجها عبر نفق أدى بهما إلى أرض قاحلة وجافة. وارتفعت قمم الجبال بأبهة وجمال فوق الوديان العميقة الغور. أوقف السيارة ثم مشيا نحو بقعة من الأرض داخلة في البحر حيث كان هناك منحدر مريع يؤدي إلى البحر.

كان هناك عدد لا يستهان به من السياح الذين وقفوا باعجاب واجلال يتأملون تلك المناظر الفريدة. لكن بالنسبة إلى روث كان الأمر مختلفاً، فهي تظن أن ما من شيء يلفت نظرها أو يهمها في هذه الحياة سوى فرناندو. ولفح الهواء الساخن شعرها وهي تحدق إلى البعيد نحو البحر حيث الأمواج الزرقاء تتلاطم متلاحقة بالصخور.

قالت متأملة: «استطيع أن أفهم سبب تعلقك الشديد بهذا القسم من الجزيرة.»

أجابها: «هذا يتلاءم مع الجانب الوحشي من طبيعتي.»

«لم أعلم بهذا الجانب.»

همس في أذنها بخشونة: «سوف تتعرفين إليه هذه الليلة.» ولم تستطع تمالك نفسها من الاسترسال في الضحك.

بعدما شاهدا جمال هذا المكان، قال فرناندو مقترحاً: «ما من جولة سياحية تكتمل من دون مشاهدة الكهوف. هل تستطيعين القيام بها؟»

«في استطاعتي أن أتحمل نيران الجحيم اللاهبة معك وأنت دليلي في تجوالي.»

بدا مكتئباً وهما يتوجهان نحو السيارة وقال لها بغموض بالغ: «قد لا تكوني بعيدة عن الحقيقة بهذا الحذر.»

فهمت سبب ملاحظته هذه في وقت لاحق. فقد تمسكت روث به وعيناها الداكنتان الواسعتان تحدقان باجلال بروعة وعظمة الصواعد والهوابط المضيئة في الكهف. فالصواعد هي رواسب كلسية في أرض المغاور، أما الهوابط فهي أيضاً رواسب كلسية لكنها مدلاة من سقوف المغاور. كما صدمتها ضخامة المكان بشكل هائل.

قالت لاهثة: «انه ضخم للغاية! دراتش هي (الكاتالان) أرض التنين، أليس كذلك؟ أتظن انه بالفعل عاش هنا؟»

أجابها بسخرية: «أظن ان الشيطان نفسه وأخواته عاشوا هنا.» وشدت روث بقبضتها على ذراعه ثم هزت كتفيها من دون مبالاة.

أشار فرناندو إلى أعلى المكان وقال: «أيمكنك رؤية المعبد؟»

«أين؟» لهثت روث، وهي تنظر إلى المكان الذي أشار إليه. وحدقت نحو الأعلى إلى تلك الأشكال من الصخور الملتوية التي كانت مضاءة بأنوار محجوبة: «لا يبدو معبداً بالنسبة لي.»

ضحك فرناندو: «ربما لا. ربما المعبد هناك حول المنعطف وهذا تاج محل.»

«اسمع.» عبست روث. «ان أردت أن تتحامق معي فسأنضم إلى ذلك الدليل السياحي هناك...»



أحاطها بذراعيه وهمس: «لن يكون الأمر نفسه مع ذلك، أليس كذلك؟»

«ربما لا. ولكن، أريد أن أتعلم شيئاً عن هذه الكهوف على الأقل.»

«سأعلمك عن أي شيء تحتاجين إلى معرفته.»

«لكن ليس بشأن الكهوف.» ضحكت وهي تشد بقوة على ذراعه، وألحت عليه أن يلحق بالسياح الآخرين.

همست بعد قليل: «أرأيت. لم تعرف ان بعض تلك البرك مالحة وسبب ذلك ان الماء يرشح عن طريق حجر الكلس.»

ابتسم ابتسامة واسعة لذلك الحماس. «أو هو مارتل، مكتشف فرنسي، وكان الأول في اكتشاف هذه الكهوف عام ١٨٩٦. وقد سميت البحيرة باسمه وان لم نسرع فسنتأخر عن الحفلة الموسيقية.» سحبها من يدها وأسرع بها نحو الجماعة التي بدأت تهبط لتأخذ مقاعدها قرب بحيرة لاغو مارتل الطويلة والعميقة.

سمعت روث الموسيقى من بعيد ثم ظهر للعيان قارب يتحرك بخفة عبر المياه الرائعة. كان العازفون على متنها يداعبون أوتار الكمان بروعة وخفة وروث مندهشة، فهي لم تسمع أي شيء كهذا من قبل. المياه الصافية والظهور الصخري العالي لتكوين المغارة أضافا مشهداً فريداً إلى أوتار الموسيقى الجميلة.

قبضت على يد فرناندو وامتلأت عيناها بالدموع من العاطفة التي سيطرت على أعصابها. وكأن شيئاً ما كان يتحرك حول هذه التجربة بأكملها. كان هناك سكون مطبق، لا صوت عدا صوت الموسيقى ودورانها فوقهم ونحو الكتل

الجليدية الناشئة والمحددة والمتلألئة على سقف الكهف المنير.

رحلت بعد فترة الفرقة الموسيقية العائمة ولكن ما من أحد تحرك. وكان هناك عدة مراكب تنتظر نقل السياح إلى الحضارة التي بدت بعيدة جداً عن تلك الكهوف الرائعة.

تدلت أصابع روث في المياه الجليدية وهي تحدق إلى القعر إلى التكاوين الصخرية الغريبة في المياه الصافية. جفت دموعها ورفعت رأسها لتنظر إلى فرناندو. ابتسم لها لأنهما لم يكونا وحدهما فلم ينبسا بكلمة لكن ما من حاجة للكلمات لتبادل العواطف فيما بينهما في تلك اللحظة.

«انه في الحقيقة أروع مكان على سطح الأرض.» وكانت روث ما زالت على حالها من الحماس من أجل طبق البايلا الذي وعدها به فرناندو وكان قد سبق ان نظفت بلح البحر من الشوك وغسلت القريدس.»

«حسناً، حسناً. لقد قلت لي مليون مرة عن مدى روعة وجمال جزيرتي.» ضحك فرناندو، وهو يقلي بسرعة الثوم والبصل.

«نعم، لكنك تسلم جدلاً لأنك تعيش هنا. انك لم تسجل على اسطوانة فونوغرافية أنغاماً من قيثارة حول سحر الجزيرة اللا معقول الذي استطعنا رؤيته من قمة الهضبة حيث الأرض الداخلة في البحر. والكهوف، كانت مدهشة، بصورة اسطورية، يسرح معها الخيال إلى درجة لا توصف.»

«لا، لأن عيني كانتا في مكان آخر.» وضع المقلاة جانباً وتوجه نحوها إلى المغسلة، لمساعدتها. كان هذا يسرها، وهو اعداد الطعام معاً. كان شيئاً لم يقوما به قبلاً.



قال لها بعاطفة بالغة: «من المبهج جداً وجودك هنا، لم أتخيل ذلك قد يحدث.»

نفضت روث يديها المبللتين في المغسلة، وحدقت في وجهه وأسئلة كثيرة تدور في رأسها، كانت تعلم أنه يهتم بها وقد أظهر لها ذلك، لكنه لن يقول الأشياء التي تريد ان تسمعها، من قبيل أنه يهتم بها وحدها دون الآخرين، ويريدها في حياته بانعزال تام أيضاً عن الآخرين. كانت تريد منه أن يناشدها لتبقى معه، وإلى الأبد، تماماً كما فعل مرة من قبل، ولكنها ستقبل الآن بسرور وتقول له كم كانت على خطأ في المرة الأولى.

«لقد جمعنا القدر مرة ثانية يا فرناندو. ان ستيف يؤمن بالقدر...» شعرت بتوتر خفيف في عضلات جسده وتمنت لو انها لم تذكره. لقد كانا يتجنبان الحديث عن هذين الاثنين مؤخراً ولكن لا بد أن يأتي يوم ويطرقان فيه هذا الموضوع، ذلك في حال كانت نوايا فرناندو جدية. آه، يجب أن تكون جدية، إنها تحس بذلك. هل هو خائف من أن يناشدها مرة أخرى، خوفاً من أن يسمع رفضاً ثانياً؟ وأحست بقلبها يطرق بشدة. انها لم ترفضه في المرة الأولى، مع انها فقط تجنبت قراراً، أرادت منه في حينه أن يقويها بأية طريقة. لكنه لا يقوم بأي شيء مماثل الآن، هل السبب ماريا لويزا؟

لفت ذراعيها حول عنقه وسألته بلطف: «لماذا توترت على هذا النحو عندما ذكرت اسم ستيف؟» فلا مجال لتجنب الموضوع أكثر من ذلك. لأنه من الضروري أن تتكلم فيه.

قطب حاجبيه وقتمت عيناه بخطر شديد مما جعل روث

تظن انها أخطأت في اختيار الوقت المناسب لطرح الموضوع وهو غير مستعد بعد للتفكير بشأن مستقبلهما معاً.

قال بعذوبة: «لأنه كان من الأفضل لو لم يشاركنا أحد حياتنا. انني لا أريد التفكير بماريا لويزا ولا بستيف ولا بأحد آخر. انني لا أريد حتى التفكير بما يخص مستقبلنا معاً.»

هذا ما لم ترد روث سماعه. فقد سرت لمعرفتها من انه يشعر بارتياح لوجودها هنا لكنها أرادت أكثر من ذلك، لكن كم هي أنانية لتتمنى أكثر من ذلك. لذا اعتمدت على اللحظة التي تعيش فيها. فما من فرصة أفضل من هذه.

همست: «ولا أنا. لكن هذا ضروري يا فرناندو.» واستعت عيناها الزرقاوان مناشدة. «انني أشعر بشجاعة كافية الآن.» تابعت وهي تنظر في عينيه. «وأريد التكلم في شأننا وبشأن ستيف وماريا لويزا. انهما يشغلان جزءاً من حياتنا وكذلك من مستقبلنا وفي أي وقت قريب...»

«وفي أي وقت قريب ستعودين إلى بريطانيا.»

سرت قشعريرة باردة في جسد روث وتخلصت من بين ذراعيه، وهي تبدو في غاية الأسى. وكان قد بدأ منذ بعض الوقت يشعر بالهدوء والسكينة. لكن ذلك التذكير الذي يؤسف على طرحه بأن الشخصين موجودان خارج نطاق كازابينار، جمّد الدم في عروقه. «نعم، سأعود، ألا ينبغي علي ذلك؟» قالتها بثبات وهي تدفع بمقلاة البايلا فوق جهاز الطبخ.

«انه أمر محتوم.» سمعت الصوت من ورائها.



دارت روث لترى نظراته الهادئة تتبدل إلى نظرة حاقدة باردة تغلغلت في أعمق أعماقها. لقد أصبح كل شيء وبصورة مفاجئة أكثر جدية.

«وما الذي تقصد به تماماً؟ سألته روث ذلك بارتعاش بالغ، وكأنها تتوقع أن يصرفها من منزله فجأة.

بقي صامتاً ولم يُجب، وبقي في وقفته هناك وذراعاه السمراوان منطويتان فوق صدره يراقبها وكأن ذلك التحديق كان جواباً كافياً. «حسناً، ألن تبوح بالذي يدور في رأسك؟» وتابعت: «فأنا لست قارئة أفكار، كما تعلم.»

قال ببطء: «ولا أنا يا عزيزتي. لكنني أتمنى لو انني كنت أتمتع بهذه المواهب في سفيل لأنها كانت قد وفرت الكثير من الألم. كانت سفيل غير حقيقية يا روث.» أرخى ذراعيه وتحول ليضع البهارات والدجاج وقطعاً من اللحم في المقلاة. وأخذ يقلبها بارتعاش من جهة إلى أخرى. «عالم غير حقيقي على الاطلاق. عالم صممه الانسان ليثير الحلم والخيال.»

قالت روث: «الأغلبية لا تراه بهذه الصورة.» وكان قلبها يشتد خفقانه من عبارة غير حقيقية. «الأكثرية الساحقة من الناس تقول أن المعرض كان حافزاً مهماً كي يظهر للعالم ما لا يستطيع أي كان تقديمه وعرضه في السوق.»

علق بكآبة: «مع ذلك، ليس تماماً كما رأيناه.» وناولته روث الأرز ووعاءً فخارياً من المرق.

قالت لتعرف المزيد: «ما الذي رأيناه يا فرناندو؟»

التفت ليواجهها تماماً. «أظننا رأينا حلماً صافياً.»

ضاقت عينا روث الزرقاوان. «في كل منا؟» ثم حملت نفسها على الابتسام. «أنت بيتربان، وأنا تنكربل؟»

وضع الأرز في المقلاة وبعده المرق وامتلأ المطبخ برائحة الثوم والبهارات. ثم وضع الغطاء فوق المقلاة والتقط كأس العصير ليشرب بعضاً منه قبل أن يتفوه بشيء آخر.

كان هذا قد منح روث مجالاً للتفكير. هل يحاول القول انهما لن يستعيدا ما كانا عليه مرة لأنه لم يكن موجوداً؟

تمتم أخيراً: «شيء من هذا القبيل.»

هزت روث رأسها، وكأنها لا تريد تصديق ذلك. «كان حقيقياً ما فيه الكفاية يا فرناندو. أنت لا تصدق هذا أبداً.»

«ما الذي أصدقه إذاً عندما لم تبقي؟ عندما خرجت من حياتي من أجل مهنتك ومن أجل شريكك؟»

«انني... انني لم...»

ألحّ فرناندو: «بلى فعلت.» من دون قسوة بل بحزم كافٍ كي يبقي روث في حيرة ولكي يعلمها أنها فعلاً فعلت ذلك.

«يا ليتنا سجلنا على شريط ما كان من أمر في آخر لقاء معاً.»

سألها ساخراً: «أتعنين انك لا تنكرين شيئاً منه؟»

نبرة صوته أثارتها فجأة فاعترضت: «بل لأنه كان يعني الكثير لي. ما استطعت التفكير سوى بنفسك، وتتوقع مني أن أضرب بحياتي السابقة عرض الحائط من أجلك. ان الحياة ليست بهذه السهولة التي تراها. وأنا لا أنكر أنني قلت لا، كل الذي أنكره هو ذلك الارباك في ذهني. أحببتك على مدى ثلاثة عشر يوماً من حياتي، والبقية الباقية من حياتي ألا تعني شيئاً؟»



ضاقت عيناه حين أجاب: «لم تساور ذهني الشكوك، ولا الارباك، فقط دافع لا يقاوم كي أعيش إلى جانبك البقية الباقية من حياتي.»

آلمتها كلماته، فردت عليه بألم: «عندما شعرت بذلك الدافع الذي لا يقاوم كنت أنت في بلادك هانئاً ناعماً بين أحبابك. وكنت أنا بعيدة عن بلادي عندما فرضت أوامرك علي...»

«ومتسائلاً ان كنت فعلاً متيمة، في تلك العطلة الخيالية الرائعة.» كانت كلماته هذه مليئة بالازدراء.

هزت روث رأسها وأبعدت شعرها الأسود عن وجهها. ونظرت اليه، كانت عيناها الزرقاوان مغرورقتين بدموع أرادت حبسها. «لم أفكر قط بتلك الطريقة يا فرناندو، ولا مرة واحدة عندما كنت معك...»

«لكن هل فعلت ذلك عندما عدت إلى بريطانيا؟»

هزت رأسها بالنفي. «لا، ولا حتى هناك...»

«إذاً، لماذا يا روث، لماذا لم تُنهي أعمالك وترجعي إلي؟»

ضحكت روث وهي تهز برأسها غير مصدقة. «ما الذي كنت سأجده لو عدت؟ أنت وماريا لويزا بدأتما العيش معاً، يملأكما شعور بالأسف على الذي ألمّ بكما وتبحثان عن كتف حنون تستندان إليه.» دفعت بقوة كأس العصير فوق الطاولة، ورفعت راحتي يديها في وجهه وكأنها تريد أن توقف شيئاً ما. «آسفة، ما كان عليّ قول ذلك لأنه خارج عن الموضوع الآن. والموضوع انك توقعت مني البقاء ولم أفعل. قلت لك سابقاً، توقعت منك اللحاق بي، وتمنيت أن

تفعل ذلك كي أعرف وأتأكد من أنك حقيقة تريدني، لكنك لم تفعل. وكانت النتيجة أنك لمتني، كما انني لمتك.» ومرة أخرى أبعدت شعرها عن جبينها وهي تحس بحرارة قوية. «ولا أعرف الجواب عن هذا يا فرناندو، صدقني لا أعرف.»

لم يقل فرناندو شيئاً، كما لم يعترض على شيء، ولا حتى نظرة ادراك وفهم. تركها مرتجفة وهي تخفي نشيجاً مؤلماً وأسرعت نحو الفناء الخارجي حيث الهواء النقي. كانت الشموع تحترق فوق الطاولة حيث سيتناولان عشاءهما وعندما جلست أطلقت العنان لذلك النشيج المكبوت. تنهدت ثم تنفست عبير الهواء العذب. هل سيكتب لهما تبديد هذه الغيوم، وان فعلا، ماذا بعد ذلك؟

شعرت بيديه فوق كتفيها وغطتهما يداها لا شعورياً. مال فرناندو ليطبع قبلة ناعمة فوق قمة رأسها.

«فرناندو.» همست محاولة أن تستدير لتنظر في عينيه. وأسرع ليجلس إلى جانبها وأمسك احدى يديها بيديه ينتظر منها متابعة ما أرادت قوله. «تكلمت وستيف في شأن كل هذا تلك الليلة...» واحكم قبضته فوق يدها. «لا، اسمع يا فرناندو، ذلك وثيق الصلة بالذي كنا نتناقش فيه. قلنا اننا نفهم جيداً أن الأشياء قد تحدث في محيط ساحر.»

«الأشياء؟»

«الوقوع في الحب. وهذا ما كان، لقد وقعنا في أحضان الحب وفي محيط رائع.»

«قلت لك ان ذلك غير حقيقي.»

«لكن بالنسبة إلي وستيف لم يكن كذلك. وربما لم يكن



بالنسبة إليك وماريا لويزا...» وقطعت كلامها لتفسح له مجالاً في الرد وأجابها:

«أحببتك أيضاً يا روث.» قالها باحساس كبير، وتابع وهو يربت على يدها: «كما أحبت ماريا لويزا ستيف، ومع ذلك جرى كل شيء بطريقة خاطئة بالنسبة لنا.»

«أعرف.» طأطأت برأسها. «وهذا ما كنا نحاول علاجه.»

«وهل وصلتما إلى نتيجة؟»

«نعم وصلنا.» وتنهدت طويلاً. «اننا مختلفان يا فرناندو.» ورأت تقطيباً خفيفاً تحت ضوء الشموع فوق حاجبيه. «انها مسألة اعتزاز بالنفس، على ما أظن كما ان كبرياءك منعتك أيضاً من اللحاق بي...» ابتسم وهز برأسه. «لا، لا تضحك، انها الحقيقة.» ألحت روث. «توقعت مني أن ألقي بحياتي ومهنتي جانباً من أجلك لأن هذا ما كانت فعلته الفتاة الماجوركية.»

ضحك فرناندو عالياً وعندما انتهى ضغط بيده فوق فمه. «ربما توقع والدي أمراً كهذا لكن ليس بالتأكيد من الجيل الجديد لعائلة سيرا. لكن، نعم، أنت نوعاً ما على حق. لقد توقعت فعلاً منك أن تلقي كل شيء جانباً من أجلي وعندما لم تفعلي لم أجرِ وراءك، لكن ليس كما تعتقدين من أن كبريائي منعتني من ذلك، كل ما في الأمر انني كنت خائفاً، تماماً كما كنت خائفة.»

تمتمت: «لا أستطيع تصورك على هذا الشكل.»

«لقد ذكرت مرة انني رجل محافظ وأعتقد وبطريقة ما كنت كذلك. وأحياناً كنت أرى الحماقة في علاقتنا. كان من الممكن أن أتلقى نتائج مصحوبة بكوارث... التي لا

أرغب...» وهزّ بكتفيه وكأنه أراد الابتعاد عن هذا الموضوع. «لننس هذا. ففي الوقت الحاضر لا أريد متابعة هذا الجدال.»

قاطعته روث: «المباحثة. اننا لا نتجادل يا فرناندو، اننا نتصرف بعقلانية ونتباحث بالذي كان علينا بحثه منذ عام مضى.

هزّ رأسه بالايجاب. «نعم، لقد...» توقف وأحست روث بقلبها يهوي من مكانه لأنها كانت واثقة من أنه كان سيقول لقد فات الأوان وكتبديد لما أزعجها، تابع يقول بسرعة: «لقد حان وقت الطعام.» نهض وسحبها من كرسيها ثم أحاطها بذراعيه. وكانت قبلته لطيفة وهادئة. لم يكن قد فات الأوان فهي مقتنعة من ذلك. أحبها فرناندو كما أحبته هي أيضاً ومن المفروض أن يكونا معاً. كل الذي تريد فعله هو أن يعيد على مسامعها ما قاله في سفيل ـ بأنه أراد منها البقاء معه، وهذا ما كان عليه فعله وهذا ما يجب عليها فعله الآن.

أحست بشيء من الكدر يرافقه وجوم مقلق عندما تركها فرناندو كي يحضر طبق البايلا. ماريا لويزا. آه أين، أين مكانتها في حياته؟ لم تستطع الاجابة عن ذلك لكن الذي تفهمه جيداً هو أن فرناندو لا يحاول الحاق الأذى بأحد... إلا هي، كما سبق وهددها عندما وصلت إلى هذا المكان من كازابينار الرائعة. لكن الأمر أصبح مختلفاً الآن، أليس كذلك؟



# الفصل الثامن

«من غير الممكن ان تقودي سيارتك إلى بالما بساق كهذه.» الح فرناندو.

تضايقت روث بينما كان فرناندو يحضر بعض التوابل. «بكاحل كهذا، وليس بساق. ألا تعرف تركيبك البنيوي؟»

«جداً، خاصة تركيبك أنت.» قال مازحاً وهو يمرر يده على كاحلها.

ضحكت وهي تحاول ان ترمي به إلى حوض السباحة، تماماً كما فعلت أمس حين كانا يلعبان بشكل غير معقول كطفلين عندما انزلقت روث من مكانها ولوت كاحلها. «انني عاجزة الآن وأرجو ألا تنسى ذلك!» وكأنها تثير اهتمامه.

«عاجزة وغير صالحة لشيء فكأنك لم تعودي تتأثرين.» تذمر فرناندو وهو في طريقه ليسكب كأساً من الشراب.

«عقيم وعديم النفع.» تمتمت روث من بين شفتيها وحاولت عبثاً أن تحرك كاحلها من دون ألم. تماماً مثل عقم محاولتها غير المجدية في معرفة ما امتنع عن قوله ليلة تناولهما البايلا. وكل الذي فهمته أن الأمر يتعلق بماريا لويزا، لكن فرناندو كان صامتاً لا يحرك ساكناً. غير انه حاول أكثر مرة قول شيء، بيد أن شيئاً من ذلك لم يحدث، ولكنها قد تعرف ذلك قريباً.

قالت روث بصوت خفيف: «يمكنك أن تنقلني إلى بالما.»

أمضت روث يومين آخرين في سعادة. فقد جال فرناندو

بها في كل انحاء الجزيرة، وهبطا الصخور إلى الخلجان الصغيرة المنعزلة واستحما في المياه الصافية وتناولا طعامهما في غابة صنوبر ظليلة. وقد شاهدا عشرات الطواحين الهوائية في السهول الخصبة في القسم الداخلي للجزيرة. كانت القرى الداخلية تواكب الأيام بهدوء وأمان بالنسبة إلى المنتجعات الساحلية الساحرة التي تضج بالحركة والازدحام.

كانت روث تعشق الجزيرة بما فيها، وكان فرناندو أروع دليل سياحي لها، وبدت لها الحياة هانئة عذبة... لكن الآن ومع التواء كاحلها بدأت تشعر بتعب وانقباض، وأضحت سريعة التأثر من أي شيء. لقد أمضت ليلة مؤرقة ومزعجة.

كان هذا الأمر سيئاً ما فيه الكفاية لكن الليلة المؤرقة جعلتها قلقة بشأن عملها. فهي لم تسمع شيئاً عن ستيف وماريا لويزا، وسبب قلقها أنه ما من شيء أنجز بالنسبة للخطوط الجوية ومكتب خدمات السياح في بالما مع أنه لم يكن هناك أي وقت محدد فيما يخص العقد.

جلب فرناندو لها كأساً من عصير البرتقال وأخرى له وسحب لها متكأ آخر إلى جانبها.

كان يمشي بخفة بسرواله القصير، وشرب كالظمآن قبل أن يتحمس ويجيب على اقتراحها.

«لا، لا استطيع نقلك إلى بالما. انك في حاجة إلى الراحة كما اني، أريدك هنا بقربي، وفي كل الأحوال تسرني جداً اقامتك معي.»

«إنك فقط لا تريدني أن أستمر في عملي.» وتراجعت إلى



الوراء بعد أن تلقت منه صفعة على ظهرها، غاضبة من رفضه ومعتبرة ما قاله أخيراً نوع من الإطراء.

«لا تبدأي هذا من جديد يا روث، وإلا سألوي كاحلك الآخر بيدي بعد أن صفعت ظهرك لمجرد أنك اعتبرت أنني لن أدعك تستمرين في عملك. للمرة الأخيرة، لا يضرني إن عملت المرأة. فلو كنت متزوجة مني لن أرضى بأن تبقي ملازمة المنزل طوال النهار. أحبك أن تقومي بعمل ما.»

ان كانت متزوجة منه. كيف يستطيع القيام بملاحظات تافهة كهذه؟ «أما زالت ماريا لويزا مضيفة طيران؟» قاطعته روث بوقاحة، وهي تتغاضى عما لمح به بخصوص الزواج.

نظر فرناندو إليها بعينين ضيقتين. «لماذا تسألين؟»

«لماذا تسأل أنت؟» قلّدت نبرته غير مصدقة وتابعت: «أظن أن هذا جلي... أريد أن أعرف. لأنها وستيف اختفيا عن سطح الأرض. إن كان لها عمل ما فسيكون في خطر الآن.

قال بمكر: «قد تكون في إجازة.»

لم تقتنع روث بكلامه، فأجابت: «إنها ليست في إجازة.» وارتدت إلى الوراء بحماس شديد. «لقد جعلتها تصرف النظر عن عملها عندما جاءت للعيش معك هنا، أليس صحيحاً؟» وشعرت روث فجأة بحقد كبير. وتمنت أن تصفع ستيف عندما تراه، لأنه تركها على هذه الحال. فلو لم يكن فرناندو إلى جانبها، لكانت الآن في بولنسا في مجمع مزدحم بالسياح، والعودة بعدها إلى بالما لتقوم بحصته من العمل. وكررت وهي تتوق إلى مشاجرة لتخفيف حدة توترها: «أليس صحيحاً؟»

«بالتأكيد.» أجاب فرناندو بثبات وهو ينهض واقفاً. «وقامت بذلك برغبة...»

«ارأيت، انك لست سوى مستبد. أمعنت في تهديدها بالقوة لإكراهها على ترك عملها وما كان منها إلا أن خضعت لرغبتك.»

«هل تقومين بنفس الشيء في هذه الحالة؟»

قال بسأم، وهو لا يريد أن ينجرف في مناقشة أخرى.

«والآن سأتركك كي تستريحي من هذا الحقد، واقوم أنا ببعض الاتصالات الهاتفية.»

«حسناً، اتصل إذاً بالمساعدة ماريا لويزا من جملة اتصالاتك تلك وحاول أن تعرف متى ستعود لأنني بت ضجرة من... من...»

«مِمَ؟» تحدى فرناندو بطريقة جافة، وكأنه يحثها على اقتراح أي شيء...

أردفت: «من تعبئة الصحون في غسالة الصحون!»

أطلق صوتاً عبّر فيه عن مدى سخطه ثم ابتعد عنها.

«فرناندو.» نادته حين وصل إلى الفناء، فتوقف والتفت إليها، ليسمعها تقول: «أنا آسفة.» وبدت نادمة بصدق على انفعالها الشديد.

«لم اقصد مضايقتك بهذا الشكل. انني فقط ضجرة من هذا الكاحل... ويجب ألا أكون هنا.»

عاد إليها وانحنى نحوها قرب المتكأ ثم أمسك يدها وربت عليها، وقال: «أعلم جيداً أنك قلقة على عملك لكنك لن تستطيعي السير في بالما على هذا النحو. والطقس حار جداً كما ليس مفيد لك وستبدين مثيرة للشفقة خاصة بتلك



الضمادة التي تلف كاحلك مثل دورة تعليم ابتدائية حول التحنيط.»

لم تفلح في الانشراح من لهجته وروحه المرحة التي اراد بها ان يفرحها ويهدىء أعصابها، فسألته بصوت حنون: «هل هذا هو السبب الوحيد لعدم نقلي إلى هناك؟»

ابتسم: «انه السبب الوحيد، واظن أن هذا واضح تماماً، أليس كذلك؟»

هزّت رأسها بإذعان: «على أية حال، لم يكن كما قصدته أن يكون، بشأن عدم وجودي هنا.»

«اذاً، ما الذي قصدته؟»

«لقد... لقد قصدت أن هذا منزل ماريا لويزا أيضاً.»

«إنه منزلي يا روث.»

«لكنها تعيش هنا، معك.» شدّدت روث. «ولا ينبغي عليّ ان أكون هنا.»

منحها ابتسامة كئيبة: «فات بعض الوقت على كل هذا الآن، ألا تظنين ذلك؟ كان ينبغي عليك التفكير بذلك قبل الآن.»

«فعلت وقلت لي ان أثق بك وفعلت، وما زلت، لكنك لم تقل أي شيء...»

الحّ فرناندو: «لأن الأمر لا يعنيك على الإطلاق.»

ابتعدت روث بنظرها بعيداً عنه وتلمست طريقاً لنظارتها الشمسية وثبتتها بقوة فوق وجهها كي لا يرى ذلك التأثر البالغ في عينيها. «اذاً أن الأمر لا يعنيني.» وتابعت من دون تفكير. «حسناً، أعرف الآن أين مكاني، من دون شك، في أي مكان.»

قبلها بخفة على وجنتها فارتعشت وأشاحت بوجهها عنه، ورفضت أن تنظر إليه.

«عزيزتي روث، ان لم تعرفي الآن مدى شعوري نحوك، فهذا يعني انكِ لن تعرفي ابداً، لكنه ليس الوقت الملائم لنا الآن لنعرض بيانات طائشة كما فعلنا في سفيل. الأمور تختلف الآن كلياً، فهناك اعتبارات جديدة، وإلى ان اتوصل لمعرفة ذلك كلياً وما الذي يدور، لا تحاولي استدراجي إلى الموضوع.»

سحبت روث بعنف نظارتها من فوق وجهها وحدقت به، وقالت بازدراء: «أعرف لماذا تفعل هذا. السبب هو انني أردت منك ان تنقلني إلى بالما كي اتابع عملي... انتظر لا تبتعد عني يا فرناندو!» لكنه ابتعد، مشى بعيداً من دون أن ينظر الى الوراء أو أن يتلفظ بكلمة.

اللعنة! اللعنة! اللعنة! لعنته روث ولعنت استبداده الذي لا يطاق. ادعى انه لم يكن كذلك لكنه كذلك وأكثر بكثير! سهلت لنفسها مغادرة المتكأ ثم جلست قرب حافة حوض السباحة وغمرت قدميها في المياه الباردة، وبالضمادة التي تلف كاحلها. كان الارتياح الذي احست به كبيراً وتساءلت لو غمرت عقلها ايضاً في المياه هل سيساعدها ذلك أيضاً؟ كانت تفكر بسخافة لأن عملها هو حجر عثرة بينهما، ولكن الحجر الفعلي كان ماريا لويزا. هل كان فقط ينتظر عودتها وعندها يكون في إستطاعته اختيار واحدة من الاثنتين؟ آه، لقد انزعجت بشدة من ذلك الكاحل الملتوي. إن فرناندو يحبها هي، وليس ماريا لويزا، وعليها ان تكون أكثر صبراً من المريض. شعرت بفرناندو يعود من الساحة الخارجية،



وهو يحدث صوتاً بمفاتيح سيارته. وقال لها: «أنا مضطر للخروج، هل تستطيعين العيش من دوني لمدة ساعتين؟»

«لقد عشت سنة بأكملها من دونك.» قالتها بحدة وهي تحفّ قدمها في المياه. مشى بعيداً من دون الرد على قولها.

أحست بارتياح في كاحلها من مياه الحوض الباردة. وبعد بضع دقائق تفحصت مدى قوة قدمها. ما زالت متألمة قليلاً لكنها أحسن بكثير. سيكون من الممكن عليها قيادة سيارتها غداً، عائدة إلى بالما وشقتها.

تنهدت بقوة. لن يعجب ذلك فرناندو وارادت ان تفرحه، لا ان تغضبه، مع أنها فعلت الكثير كي تثير غضبه. إنه رجل طيب. وكان ذلك أحد الأسباب الذي يبقيها هنا بمعزل عن حبها الشديد لدرجة الجنون. ما عليها ان تكون هنا بسبب ماريا لويزا لكنها تثق بفرناندو إلى درجة كبيرة، فلتكف إذاً عن هذا القلق المفرط. لم يكن ليطلب بقاءها لو أنه فعلاً مرتبط بماريا لويزا. لكن هناك عقدة بينهم جميعاً على السواء. وارادت بيأس شديد ان تعرف ما الذي سيحدث عندما تعود.

دخلت روث مكتبة فرناندو، سوف تتصل بالشقة في بالما لربما يكون ستيف قد عاد. أخذت سماعة الهاتف بغباء وضغطت خطأ مفتاح اعادة طلب الأرقام. وكانت على وشك أن تعيد السماعة إلى مكانها عندما توقف طلب الأرقام لتسمع صوت ستيف يجيب. وبخوف أعادت روث السماعة إلى مكانها. إن هذا غير معقول! وأخذ قلبها يخفق بشدة في صدرها ولم يعد عقلها يفكر بوضوح. ان آخر اتصال هاتفي كان لستيف... من فرناندو! ومن دون ان تفكر سحبت

بعنف سماعة الهاتف مجدداً وبسرعة ضغطت على أرقام الشقة. وظل يرن إلى ما نهاية. من المستبعد ان يكون ستيف قد خرج مباشرة وبهذه السرعة، ومرت ثوانٍ قليلة قبل ان تتصل مرة ثانية. ارجعت بقوة سماعة الهاتف الى مكانها وبلحظة تأوهت برعب.

«غبية!» صاحت في نفسها. ان أعادت الآن الضغط على مفتاح إعادة طلب الأرقام سوف تحصل فقط على رنين متواصل لهاتف شقتها، وضاعت منها المكالمة الأولى وليس لديها أي دليل عن مكان موقعها. غبية، كان عليها ان تكلم ستيف، تسأله عن مكان وجوده وكيف هو وماريا لويزا يمضيان اوقاتهما.

بعد ثلاث ساعات من الانتظار، وهي تشعر بحرارة الجو الساخن ومحبطة العزم، امسكت بفرناندو حين وصل إلى البهو الأمامي من المنزل.

صاحت به: «لقد اتصلت بستيف قبل خروجك. لِمَ لم تخبرني بأنك تكلمت معه؟ متى سيعودان؟ ما الذي يحدث؟»

سأل فرناندو: «هل اتصل هو؟» وقطب بتجعيدة حول حاجبيه وهو يدور حول المرسيدس الى صندوقها ثم فتحه.

«لا.» قالتها روث وهي تتقدم منه ببطء. وشرحت بسرعة ماذا تم في الاتصال الهاتفي.

اتسعت عيناه وهو يدفع نحوها العلبة المبردة. التقطتها روث ثم انفجرت. «أعرف بماذا تفكر، تظن أنني قمت بذلك عن تعمد، وأنني أعدّ خطواتك.»

قال بسخرية وهو يغير الموضوع: «يبدو أن كاحلك قد شفي تماماً.»



«إنس امر كاحلي. انت فعلاً تعتقد بأنني قمت بذلك عن قصد. حسناً، انا لم افعل يا فرناندو، يجب أن تصدقني. وقدحصل ذلك من غباوتي وقلة تفكري.»

حمل الأكياس التي أتى بها من مخزن البقال ووضعها على الأرض قبل ان يغلق صندوق السيارة. «اتساءل كم من الزوجات المشككات قد التقطن ازواجهن السذّج بهذه الحيلة؟» حمل الأكياس ودخل إلى المنزل.

«أنا لست زوجتك أولاً، وإن كنت فلن أكون ظنونة على أية حال. حسناً... ساكون فقط ان أعطيتني سبباً وجيهاً لذلك... مثل... حجب المعلومات عني!» انفعلت روث، وهي تعرج وراءه متعثرة بالعلبة المبردة.

أمرها: «اتركيها حيث يجب أن تكون. ساعود لأجلها. خففي من ثقلك على هذا الكاحل واستلقي بارتياح.»

وضعت روث العلبة في وسط غرفة الطعام ولحقت به، ونسيت كاحلها الضعيف في عاصفة غضبها. «لم اتعمد القيام بذلك، وإن كنت كذلك؟ كنت تتكلم مع ستيف وأريد معرفة...»

«يا للإستنتاج العظيم.» اشتعل غضباً وهو يمنحها اهتماهه الكامل. «لكن هل خطر على بالك أنك بعيدة كلياً عن الهدف؟

«بعيدة عن الهدف!» قالت روث بسرعة.

«أعرف صوت من سمعت في الجانب الآخر من الخط.»

«نعم، صوت ستيف، علامة ممتازة للفهم السريع. لا شيء يجعلك تفترضين بأنه هو الذي كنت أتكلم معه عندما أجريت تلك المكالمة.»

اكفهر وجه روث. «ماريا لويزا؟» قالتها بغباء وبصوت خفيض أجش. وكانت في غاية الغباء. طبعاً، كان يتكلم مع ماريا لويزا، وليس مع ستيف.

«نعم، ماريا لويزا.»

«وبما أنها كانت وستيف معاً فمن غير المعقول ألا يرفع سماعة الهاتف وهو يرن.»

«نعم... نعم، اعتقد أنك على حق.» قالت ذلك وأنفاسها تتلاحق، وهي تشعر بالأسف على نفسها. لقد جعلت الأمر اسوأ. وعرفت الآن أن فرناندو كان على اتصال بماريا لويزا وربما كان على حق منذ البداية. وربما أيضاً ذلك هو سبب عدم قلقه التام من عدم عودتها بعد. وعرف مع ذلك... انها في أمان وفي حالة جيدة.

«لا زلت اعتقد أنه كان عليك أن تخبرني!»

عادت تنفعل فجأة. «على أية حال، إن ستيف شريكي و... آه..» واشتد الضغط على كاحلها وتمسكت بالثلاجة كي تحافظ على توازنها. فما كان من فرناندو إلا ان أمسك بها قبل أن تسقط على أرض الغرفة. وحملها بين ذراعيه وهو يئن من مدى اهتمامه بها، أو هل كان ذلك من خيبة أمله لتصرفها الطائش؟ حاولت الإفلات منه، وصرخت:

«انزلني حالاً!»

«بالطبع لا!»

«إلى أين أنت ماضٍ بي؟ ماذا تفعل؟» وصرخت بألم وذعر.

«سأضعك في السرير قبل أن افقد أعصابي وأرميك في حوض السباحة الذي تركتك إلى جانبه. لقد اكتفيت من



نوبات غضبك منذ أن انزلقت البارحة وبدأت أضجر من كل ذلك. إنك امرأة ولست طفلة، مع انه من الصعب تصديق ذلك في بعض الأحيان.»

تمسكت به وهو يحملها صاعداً درجات السلم والى داخل غرفتها حيث القى بها فوق السرير بخشونة. وتركتها الصدمة والذعر عاجزة عن الكلام.

«اهدأي يا روث.» امرها بلهجة حادة وكان على وشك الخروج من الغرفة عندما فكت عقدة لسانها لتقول بعنف وثورة جامحة من دافع غريزتها الأساسي.

«لماذا الجناح الغربي لهذا المنزل مقفل؟»

التفت فرناندو ببطء وأحست روث في هذه اللحظات الحرجة بأنها قد تمادت إلى أبعد الحدود. كانت يده تقبض بإحكام على جانب من الباب لدرجة انها استطاعت ان ترى مفاصل تلك اليد من ذلك البعد.

«تتجسسين على مكالماتي الهاتفية، وأيضاً على منزلي...»

نكرت روث بثبات: «لم أكن اتجسس. كانت المكالمة عن طريق الصدفة. لم اقصد ذلك ويجب ان تفهم جيداً أنني لا اسمح لنفسي بأن اصبح في هذا المستوى...»

كانت ملامحه خالية من اي تعبير، ليس غاضباً، وليس بارداً، لا شيء من هذا القبيل ابداً. «حسناً، كان ذلك عن طريق الصدفة، لكن كيف ايقظت هذه الصدفة فيك فضولا لدرجة انك اردت معرفة المزيد؟»

«لا، لم يكن ذلك! كنت ضجرة اثناء غيابك. فليس من عادتي التسكع من دون ان أقوم بعمل ما. والدافع من

فضولي كان فقط من أجل رؤية بقية ارجاء المنزل لا أكثر. احببت أثاثه وكنت متأثرة في اسلوب بنائه. و... ووجدت غرفاً مقفلة. ما الذي تريد اخفاءه يا فرناندو؟»

لم ينفِ شيئاً، هذا ما جعل روث تشعر بأن الاتهامات الموجهة اليها هي بمعدل عشر مرات اسوأ. لقد كان تصرفها مروعاً للغاية، وربما هناك سبب وجيه لاقفال تلك الغرف، لو يقول لها فقط ما هو؟

استطاعت بصعوبة ان تقف على قدميها وعبرت الغرفة نحوه بتعرج واضح. لم تلمسه بل وقفت قريبة منه كي تستطيع قراءة تعابير وجهه ان فكر في ان يكذب عليها. لكنه لم يكن كاذباً، وهي تعرف ذلك جيداً، ولكنه كان يخفي عنها الكثير وتريد معرفة هذا الكثير.

ناشدته: «ارجوك اخبرني ما الذي يجري يا فرناندو.» كانت عيناها تشعان وتتوسلان فلم يكن في استطاعته رفض طلبها... بالتاكيد؟ «ليس من العدل ان تخفي عني شيئاً. انك على اتصال بماريا لويزا وهي تقيم مع ستيف وهو شريكي، وليس شريكك. يجب ان تعرف ما يخطط له مع ماريا لويزا ومتى يعودان ان كانا فعلاً راغبين في العودة. لقد مررنا في أروع الأوقات في تلك الأيام الماضية...»

«نعم، كان ذلك حلواً، يا عزيزتي.» وافق بهدوء، ولاحظت في ظل الضوء الخافت ان حدة تعابير وجهه قد لانت. «وأريد ان تستمر على هذا النحو إلى أن يصبح في استطاعتي تقديم الكثير من الذي تودين معرفته.»

اقترب منها وترامت بين ذراعيه. وشعرت نوعاً ما بالراحة عندما أحست بنبضات قلبه فوق صدرها. لقد كان



يخفق بشدة وكأنه كان تحت تأثير توتر عنيف. فقد كانت عضلات جسده تنبض بقوة من تحت قميصه وحولت وجهها نحوه.

«ذلك بسبب حبي الشديد لك يا فرناندو، ومن شدة ارتيابي. فهناك الكثير بشأن علاقتك مع ماريا لويزا والذي لا تريد التكلم بخصوصه...»

أجاب بلطف: «لأنني لا استطيع يا روث. إنه أمر لا يخصني كي اشاركك فيه.»

«تعني... تعني أنها تأتي في المرتبة الأولى، قبل مشاعري؟»

انتظرت بيأس جوابه وبدا الأمر وكأنه يصارع بعنف اضطراباً داخلياً في ما يريد قوله لها.

كان وجهه مشدوداً للغاية وهو يحدق في عينيها بعمق.

قال أخيراً: «إنها في حاجة إلي أكثر من حاجتك إلي في الوقت الحاضر.» خفق قلبها بشرود لذلك لكنها توصلت إلى أن تهز برأسها غير مصدقة: «إنها مع ستيف، يا فرناندو، وليست معك.»

«لكنها كانت معي منذ سفيل وليس من السهولة ان تمسحي وان تنسي سنة ماضية بأكملها.» وأخذ يداعب شعرها براحة يده. «تعلمين جيداً شعوري نحوك.»

قاطعت بهمس وبتردد: «هذا كل شيء. لا أعرف ما تشعر به، ليس كاملاً على الأقل، ما... ما زلت انتظر منك...» لم تستطع ان تكمل ما ارادت قوله فقد يكون هذا بمثابة تحفز وكأنها تفسح له مجالاً كي يسألها أن تبقى معه كما فعل مرة من قبل. وفكرت بمرارة بأنه هذه المرة يبدي حذراً حول

مشاعره تجاهها، على الرغم من لطفه ورقة مشاعره في بعض الأحيان. لقد سببا الألم لبعضهما مرة وفي المرة الثانية ظهرا وكأنهما مترددان. ظنت أنها ادركت ذلك، لكن الادراك قد يصعب فهمه في بعض الأحيان.

نظرت في عينيه بتردد. سكت ولم يسألها حتى عن الذي كانت على وشك ان تقوله.

سألت روث بينما كان فرناندو يقبض على معصمها بقوة كي يجذبها خارج حوض السباحة: «هل ستخرج اليوم؟» فقد استفاقت باكراً كي تدلك كاحلها بواسطة السباحة في الحوض، كان فرناندو في أغلب الأوقات ينضم إليها لكن هذا الصباح لم يفعل. كانت تعلم أنه على موعد مع أحد المحامين وتمنت أن يكون هذا السبب الأوحد الذي يبعدها عنه هذا الصباح. لكن كانت دائمة الشك. وتصورت أن هذا كله ناتج عن خطأ منها. كانت عصبية المزاج مؤخراً ولم تستطع نزع الأفكار والشكوك حوله وحول ماريا لويزا. وحوّلت ما يقلقها نحوه فاستدركت بأنه يجب عليها أن تقوم بشيء ما تجاه ذلك. لو يبقى في المنزل اليوم فسوف تكون فرحة ومحبة... وكلها ثقة به.

ابتسم فرناندو وهو يلفها بعناية بالمنشفة: «عادة أنا أناشدك أن تذهبي إلى العمل.»

«لم تناشدني أبداً في حياتك.» همست روث وهي تريح رأسها المبلل فوق قميصه للحظات قبل أن تنسحب بعيداً لتجلس عند حافة المتكأ. «أتعرف، سأتنازل عن كل شيء.» قالت له ذلك وهي تجفف شعرها وأردفت: «عن شراكتي، وعن أية أسهم في الشركة، ان...»



«إن ماذا؟» حثها بعد أن تكسرت الكلمات فوق شفتيها تماماً كما تتكسر الأمواج فوق الصخور. لقد تمادت كثيراً، فهو ليس على استعداد بعد لهذا.

استوت روث في متكئها وفكرت بالذي كانت على وشك قوله بعينين شبه مغمضتين كانت لتقول، ان تزوجها. عندئذ لن تعود إلى بريطانيا، لا ليست هذه المرة. كانت ستبقى معه لأنه المكان الذي تعود إليه الآن ـ هذا إن سألها.

فقدت جرأتها في الدقائق الأخيرة: «إن دعوتني إلى الحفلة الموسيقية في المعابد في بولنسا في نهاية هذا الأسبوع.»

«سأرى إن كنت أستطيع الحصول على تذكرتين.» قال هذا ثم دخل ليأتي ببعض أوراق العمل التي تخص الاجتماع بينه وبين محاميه والذي سيأتي من بالما لرؤيته.

«سأطهو لك شيئاً لذيذاً هذه الليلة.» قالت ذلك لكنه لم يسمع.

في اليوم التالي، سمعت صوت محرك سيارة قادمة من الطريق الخاص. طبعاً ليست المرسيدس ـ ففي استطاعتها على أية حال أن تميز صوت محرك هذه الشاحنة عن محرك سيارة فرناندو.

وقفت روث في الرواق الظليل واسترقت النظر من خلال الباب المفتوح على مصراعيه، وأخذ قلبها ينبض بخوف شديد وهي تشعر بالغثيان خوفاً من أن تكون ماريا لويزا. ورأت سيدتين تخرجان من السيارة، تضحكان وتثرثران باللغة الاسبانية، وحاولت تهدئة نفسها.

هل هما موظفتان عائدتان من المهرجان في بالما؟

خطت روث إلى الخارج بجرأة حيث اشعة الشمس الساطعة، وهي تأمل من القليل الذي تعرفه باللغة الإسبانية أن تسهل مهمتها، كيف ستعرّف عن نفسها؟ لم تعرف. صديقة للسيد سيرا ربما كان هذا كافياً.

ابتسمت السيدتان لها بمرح وهي تقترب منهما وتكلمت الأكبر سناً بعد ما حاولت روث جاهدة شرح سبب وجودها هنا.

«مرحباً، لغتي الانكليزية سيئة. السيد سيرا، اتصل وقال انك هنا. أنا روزا وهذه دولورس.» وأشارت إلى السيدة الأخرى، «دولورس.» وبدت معتزة بنفسها ومن قدرتها على التعبير، وابتسمت روث ابتسامة واسعة للسيدة الأخرى، ثم أخذتا تفرغان الصندوق من الحقائب ومن أشياء مختلفة. إذاً لقد أطلعهما فرناندو على أنها هنا، يبدو هذا مشجعاً للغاية.

كانت روث تتصب عرقاً بعد مضي نصف ساعة وكان كاحلها يؤلمها بشدة. وتراءى لروث كلاب مفترسة ورجال بريطانيون وأشياء أخرى غريبة وهي تحملق بقرص الشمس الحارة التي تستطع إلى حد يبهر البصر.

أخذت حماماً ثم ارتدت ثوبها القطني وجلست على كرسي لتجفف شعرها. كان من الجيد أحياناً أن تسمع أصواتاً تتردد في هذا المنزل المهيب من ضحكات السيدتين ومن تحركهما للقيام بعملها اليومي.

كانت روث على وشك أن تطفىء اداة تجفيف الشعر عندما سمعت صوتاً جمدها في مكانها. خرجت إلى الممشى الواسع. يبدو أن البناء الحجري للمنزل يجسم



الصوت ثلاثة أضعاف. كانت الأصوات والضحكات آتية من الغرف المقفلة في آخر الممشى من الجناح الغربي التي تكلمت عنها روث. أهي غرف الخدم؟ آه، كم وجدها فرناندو حمقاء في اكتشافها شيئاً يثير الريبة في باب مقفل.

دقت روث على الباب المفتوح ثم خطت إلى داخل الجناح. فكرت أن عليها أن تقول لهما انها سوف تطهو لفرناندو طعام العشاء. كانت هناك غرفة رئيسية، جميلة الأثاث بألوان فاتحة وبانسجام مطلق مع ضخامة بقية أثاث المنزل. هناك أبواب عديدة لمخارج عديدة من هذه الغرفة وخرجت دولورس من احداها. وابتسمت روث لها بدهشة.

وقفت دولورس جانباً وهي تبتسم ابتسامة واسعة، وهي تحث روث على الدخول. لم تتقدم روث أكثر من المدخل لتقف مسمرة في مكانها. كانت روزا تجلس على كرسي من الخيزران الأبيض قرب النافذة، تحمل طفلة بين ذراعيها. وقفت وهي تعرض الطفلة بفخر لتراها روث.

حدقت بدهشة بالغة. كانت الطفلة آخر ما توقعت رؤيتها في غرف الخدم، خصوصاً وان روزا تبدو أكبر سناً على الانجاب. كانت الطفلة ترتدي فستاناً من اللون الزهري الشفاف، وكانت جميلة. واعتقدت روث، انها كانت في سرير في القسم الخلفي للسيارة. نهضت روزا وقدمت الصرة الدافئة والناعمة بين ذراعي روث قبل أن تعرف شيئاً.

«آه، انها رائعة وجميلة.» قالت روث ذلك بابتهاج، وهي تنظر إلى المخلوقة الصغيرة ذات الشعر الداكن والمزين بشال أبيض اللون.

كانت بشرة الطفلة ناعمة وملساء ورموشها طويلة حريرية. وكان شعرها الأسود سميكاً بشكل لا يصدق بالنسبة إلى طفلة صغيرة كهذه. نظرت روث إلى روزا متسائلة. انها ليست طفلتها بالتأكيد، لكن ربما طفلة دولورس؟

قالت لها روزا: «لها من العمر ثلاثة أشهر.»

«آه.» وافقت روث، وهي ما زالت مبتهجة بالطفلة والتي كانت تنام بسلام بين ذراعيها. وتوردت وهي تأمل في أنها أصابت الهدف الصحيح. «ما اسمها؟»

ضحكت روزا ونظرت إليها نظرة ذات معنى وكأنه ينبغي على روث أن تعرف ذلك. «ماريا لويزا، مثل اسم والدتها ماريا لويزا.»

- دارت بها الغرفة الباردة النيرة وأحست برنين مخيف في أذنيها والدم البارد يتصاعد إلى رأسها. شعرت بالغثيان وهي لا تصدق ما يدور حولها. من المستحيل أن يكون حقيقة الذي تراه. من غير الممكن أن تكون هذه الطفلة ابنة ماريا لويزا!

تحركت الطفلة بين ذراعيها وفتحت عينيها قليلاً. حدقت روث بها، بالكاد تستطيع التركيز، وبعد ذلك صوبت عينيها بانفعال شديد نحو روزا لكنها كانت قد غادرت إلى غرفة أخرى، صدر عن الطفلة صوت بريء ثم ابتسمت وأحست روث بقلبها ينشطر إلى قسمين.

كانت الطفلة الصغيرة تشبه والدتها إلى حد كبير، شعرها الداكن، وعيناها السوداوان، ورائعة الجمال، فشعرت بنوع من الغيرة الجامحة والمؤلمة تجتاح كيانها، وترجف أعصابها بالم.



آه، انها تحمل طفلة ماريا لويزا بين يديها. حملقت روث بريبة عبر سيل جارف من الدموع بالصرة، وهي تشعر بخيبة أمل كبيرة، فخافت من أن تسقط الطفلة من بين يديها. وببطء شديد تحولت روث نحو سرير الطفلة الزهري اللون إلى جانب الحائط. ووضعت الطفلة المتوترة العذبة في السرير بحذر شديد، من دون أن تبعد نظرها عن وجهها الرائع الجمال، ثم وقفت روث وهي تقبض على الجهتين من السرير بأصابع مرتجفة.

انهمرت الدموع على وجه روث حتى انها لم تعد لها القدرة على النظر أكثر. كانت هذه طفلة ماريا لويزا لقد وضحت لها الأمور الآن. واكتملت أجزاء الصورة الناقصة لكن فؤادها تحطم تحطماً هائلاً.

خرجت من الجناح والغضب يعمي بصيرتها، وهرعت إلى غرفتها وأقفلت الباب بعنف من ورائها واسترسلت بنشيج حطم قلبها.

طفلة ماريا لويزا، ابنة فرناندو! آه، لديهما طفلة، انها طفلتهما! وفهمت الآن ما الشيء الثمين الذي يعتمد عليه فرناندو من عودة ماريا لويزا اليه بدلاً من أن تبقى مع ستيف. وتمنت روث لنفسها الموت.

# الفصل التاسع

مضى يومان، ثلاثة أيام. لم تكن روث متأكدة كم يوماً قد مضى على عودتها إلى بالما. فقد تركت كازابيناز وهي تقود سيارتها وقلبها حزين، واخذت تعبر القرى التي ارشدها إليها فرناندو، منذ أيام قليلة بنشاط كبير.

لكنها فوجئت عند عودتها بفتور، وهدوء غير طبيعيين في المدينة التي كانت تضج صخباً وازدحاماً. واجرت الاتصالات الهاتفية التي كان ينبغي على ستيف أن يؤديها مثل رجل آلي، وامضت ما بقي من الوقت تتجول في المدينة كسائحة تريد أن تعرف وتشاهد كل آثارها. وقصدت الأماكن التاريخية والمعابد والقصور ثم إلى لونجا، وهو كناية عن مخزن تجاري يبيع مصنوعات قديمة من نوع نادر يقع بين الأماكن التاريخية، إنه متحف الفنون الجميلة. كما كان هناك الكثير لرؤيته وتمنت بألم لو كان فرناندو معها كي يدلها على كل شيء. لكن كل ما حلمت به كان بعيد المنال. ومن المستحيل أن يعود فرناندو جزءاً من حياتها مرة اخرى.

جالت بمفردها على المحلات واعجبت بالمجوهرات النفيسة، والجلد السويدي، كذلك المطرزات الرائعة. تطرفت بعينيها لتمنع الدموع التي كادت أن تتساقط لدى رؤية لآلىء ماناكور تباع في كل مكان. تذكرت انها قالت له انها ما زالت صغيرة على تلك اللآلىء، ابتهجت كثيراً لرؤية محل صغير



للمجوهرات، كان فرناندو قد اخذها بعيداً وهو يعدها بشراء لآلىء حقيقية في يوم ما. اثارها عرضه، ليس اللآلىء لأن هذا الكلام دل على أنها ستكون في حياته في المستقبل. لقد وضحت الرؤية لها الآن.

فتنتها الآنية الفخارية أكثر من أي تذكار آخر. كانت هناك مجموعة واسعة من الأوعية والجرار والصحون مما جعلها محتارة لا تحسن الاختيار. وكان البعض منها من الأشياء القديمة الساحرة، والبعض الآخر مطلي بألوان غريبة جداً تحبس الأنفاس. لقد ارادت شيئاً ما، شيئاً صغيراً لتعود به إلى وطنها. كانت في حاجة إلى تذكار من هذه الرحلة حتى لو كان ذلك سيسبب ألماً بالغاً لها.

وقفت روث خارج محل لبيع الهدايا في شارع ضيق مرصوف بالحصى - إنها سيورال، قال البائع لها، لعبة فلاحية قديمة. كانت هدية بسيطة صممت على شكل حصان مصبوغ بيد الانسان باللون الأحمر والأصفر والأزرق. حدقت روث بها وتعجبت من حالها كيف اختارتها من بين تلك الأشياء الأخرى، ربما لأن تعبيرها كان مغايراً عن الذي مرت به في رحلتها هذه. لم يكن في علاقتها مع فرناندو اشياء بسيطة وطبيعية. كانت مملوءة بالحقد.

كانت التحفة الصغيرة التي اشترتها صادقة وجميلة نوعاً ما، على خلاف الرجل الذي خدعها وعبث بمشاعرها.

لم يعد ستيف. أحضرت روث لنفسها شراباً بارداً وجلست إلى شرفة الشقة لتشربه ببطء. كان الطقس حار مع أنها حاولت ألا تفكر بمشهد الغروب من الهضبة العالية من مكان فرناندو، لكن محاولتها فشلت. ان عينيها لن تلتقطا

غروباً أبهى وأجمل من هذا الغروب مرة أخرى. لأنها ستكون دائماً له وسيكون هو لماريا لويزا ولطفلتهما الرائعة اما روث فستبقى منفردة في حالة اضطراب شديد.

ان روث لا تلوم احداً بل نفسها، كيف كانت عمياء ساذجة. لقد وثقت به واحبته بالرغم من أنها كانت تعلم أن ماريا لويزا تشكل العنصر الاساسي في حياته والذي لم يكن ينكره مطلقاً. نعم، كم كانت غبية حمقاء.

انتهت من شرابها ثم تناولت محفظة للتذاكر الجوية من فوق الطاولة. كانت تحوي تذكرتي عودة لها ولستيف إلى بريطانيا. كانتا بتاريخ ما بعد يوم غد. إنها ستقوم بهذه الرحلة حتى لو لم يعد ستيف معها. وكانت على عجلة من امرها تريد الهروب من فرناندو واموره الغامضة.

أحست روث بتوتر وهي تسمع صوتاً صادراً من الباب. هل هو فرناندو؟ لا. فهو لن يلاحقها بعد ان قرأ الرسالة التي تركتها له، تشكره بأدب لضيافته الكريمة وتقول له انها ستعود إلى بالما لتنجز اعمالها قبل أن تعود إلى بريطانيا. لم تذكر شيئاً بشأن الحب. لأنه لن يكون بعد اليوم. ففرناندو له ماريا لويزا وطفلتهما ولا مكان لها في حياته الآن.

«ستيف!» صرخت بدهشة وهو يدخل إلى الشقة، والابتسامة تعلو وجهه وكأنه خرج منذ لحظات لشراء جريدة هذا الصباح ووجد نفسه يفوز بجائزة كبرى. وامتزج الغضب مع دهشة روث.

«أين كنت طوال هذا الوقت؟» صرخت وهي ترمي نفسها بين احضانه. بدا رائعاً وقد كان وجهه اسمر



لتعرضه لاشعة الشمس - أو ربما كان ذلك من وهج السعادة؟

كل ما كانت تعانيه روث من انفعال، وغضب، وأذى وكل ما تملكه من عواطف مثيرة، تجمع في داخلها بتوتر شديد.

ابعدت ستيف الذي أخذ يدور بها كدمية: «اهدأ يا ستيف، واخبرني لماذا أنت بهذه السعادة العامرة. فما من سبب يدعوك لتكون على هذه الصورة. كان علي أن اقوم بكافة أعمالك...»

«اعرف، يا عزيزتي. واريدك أن تشاركيني الاحتفال.» ودفع بحقيبة سفره جانباً وارتمى على الأريكة، منهوكاً جداً.

حدقت روث إليه بذهول غير مصدقة. لقد غاب طويلاً، من دون أن يترك لها كلمة عن مكان وجوده، والآن وبعد أن عاد يريد الاحتفال!

«تحتفل بماذا، بانشغالي وحدي بالحملة التي خططنا لها بينما أنت تحتفل بصخب في فالنسيا؟»

«فالنسيا، أليكنت، غانديا. يجب أن تشاهدي شاطىء غانديا الرائع...»

حذرت روث: «ستيف!» لقد كان فعلاً غير معقول.

«حسناً، أنت لا تريدين مني أن احاضر عليك عن هذه الرحلة. لا أدري كيف هذا يغضبك؟» كان يبتسم ابتسامة واسعة من الأذن إلى الأخرى وجاءتها أول طعنات الريبة توخز قلبها بألم. «سنتزوج، ماريا لويزا وأنا!»

تهاوت روث بقوة على الكرسي، بعدما خارت قواها كلها، حتى جفني عينيها تراختا بانفعال شديد.

هتف ستيف بقلق عنيف: «روث؟»

استعادت روث بعضاً من قواها المرهقة. وفتحت عينيها لتحدق به غير مصدقة. قالت بصوت حاد قصير: «هل أصابك مس أم ماذا؟»

ضحك ستيف بهدوء. «اعرف انك انزعجتك بمفردك. وأنا أصبحت بديناً نوعاً ما.» نهض، وتوجه نحو المطبخ وأمسكت روث رأسها بين يديها وخيبة أمل راودتها وتمنت لو لم تكن هنا!

عاد، ومعه زجاجة شراب وكأسين، ليصب فيهما الشراب، للاحتفال بهذه المناسبة. وتمنت روث أن يتحول هذا الشراب إلى علقم. فالقصة المتشابكة في علاقة كل منهما قد وصلت إلى نقطة النهاية. يريد ستيف الآن الزواج من ماريا لويزا ومن المحتمل أن تهب رياح فرناندو عندما يكتشف ذلك!

سألت روث بتردد: «اين ماريا لويزا الآن؟»

رمى ستيف بنفسه على الأريكة مرة ثانية، رافعاً ساقيه عالياً، وهو يحضن كأس الشراب بيديه الاثنتين. «لقد استقلت سيارة اجرة صعوداً إلى بولنسا ـ كازابينار، أليس هذا اسمها؟ اردت الذهاب معها لكنها اعتذرت بقولها ان هناك الكثير لتقوله لفرناندو وتفضل أن تكون وحدها.»

«نعم، اراهن على ذلك.» تمتمت روث من بين شفتيها، ثم توجهت إلى ستيف، «لكن ألا تمانع من تواجدهما معاً؟»

«ماريا لويزا وفرناندو؟ بالطبع لا. إنهما مثلنا تماماً صديقان رائعان.»

«جرع كأسه بحماس كبير كما صدق بسذاجة تفسير



ماريا لويزا عن علاقتهما بنفس السهولة التي صدقتها أولاً.

تساءلت روث كيف فسرت ماريا لويزا أمر الطفلة بمعنى: «صديقان رائعان.»

قالت بشجاعة: «اسمع يا ستيف. هل أنت متأكد من عملك هذا؟ اقصد إنها مسؤولية كبيرة...»

«ماذا، الزواج؟» وضحك عاليا. «نعم، اعتقد أنها خطوة مهمة بالنسبة إلى رجل مثلي، لكن هذا ما كنا نريده معاً.» وعلت الجدية ملامحه. «إننا متيمان ببعضنا وما كان علينا أن نفترق تلك السنة الفائتة، لكنه القدر، الا ترين، القدر الذي جمعنا صدفة في ذلك المطعم.» ونظر فجأة نحوها. «وكيف كان الأمر معك؟»

كان ذلك بمثابة سؤال استطرادي فقط ونظرت روث إليه نظرة ازدراء تفي غرضها. «ما نوع سؤالك هذا؟ تنطلق من هنا وتنجرف وراء عواطفك الزائفة التي تحكمت بعقلك، من دون ان تمنحني فكرة أو نصيحة وكيف سأتصرف من دونك...»

«لكنك كنت مع فرناندو...»

اندفعت روث بغضب: «لم تكن على علم بذلك عندما انطلقت هائماً!»

استوى ستيف في مقعده وتفحص وجهها ملياً. «لا، لم اكن على علم، لكننا...» تردد في متابعة كلامه وهو يلاحظ فجأة الشحوب فوق تقاطيع وجه روث والطريقة العصبية التي تحرك بها كأسها. وانخفض صوته قليلاً. «لقد فكرت ماريا لويزا وأنا بأنها فكرة لا بأس بها في اجتماعكما مع بعضكما مجدداً. انباتها بمكان وجودك وهي انبات فرناندو...»

اخفت روث نشيجا قصيراً من خيبة املها قبل أن تنطلق منها. عضت شفتها السفلى بكآبة. إذاً، فرناندو هو الذي خطط لها ودبر الأمر كله وهي التي ظنت أنه... لقد كان كذلك نوعاً ما، لكن على الأكثر لتحقير ماريا لويزا كلياً والتآمر على ستيف.

«لم تجر الأمور على ما يرام معك، أليس كذلك؟» سألها ستيف بنبرة تنم عن الاعتذار وكأنه لا يريد أن تقع عليه الملامة ان لم تجر الأمور على ما يرام معها. فهز رأسه. «ظننت...» ثم تنهد، «ظننت أن ماريا لويزا تكلمت مع فرناندو وأنكما كنتما معاً في كازابينار، ظننت أن كل شيء يسير بطريقة حسنة ورائعة...»

انفجرت روث: «حسنة ورائعة؟»

نظر ستيف ببلاهة. «واضح أنه لم... ظننت بعد الذي كان في سفيل...»

وضعت روث كأسها بعنف فوق الطاولة، وبيأس شديد غطت وجهها براحتي يديها.

جمعت شتات نفسها بسرعة وازاحت شعرها الطويل من فوق وجهها بيديها. لم تكن تريد أن يعرف ستيف تلك الحقيقة المرعبة، وكم كانت غبية حمقاء مرة اخرى. «أنت ظننت! ماريا لويزا ظنت! كلاكما ظننتما بخطأ فادح! لا لم يجر الأمر كما تشتهيه السفن.» تابعت بعزم: «إنها فقط لم تتفق مع ما كان لكما من سعادة وانشراح!»

خيم صمت طويل حيث كان ستيف يحلل معنى كلامها قبل أن يعود إلى الكلام: «آسف يا روث، إنني فعلاً آسف بشأن ذلك. إنك ما زلت تهتمين به، أليس كذلك؟»



أشارت روث وكأنها تصرفه عن التطرق في هذا الموضوع، لم تكن تريد الكلام فيه. وعادت لتتناول كأسها.

«سوف تخيب آمال ماريا لويزا.» تابع ستيف مضطرباً، غير مدرك الألم الذي يحركه اكثر. «قالت انه كان اشبه بحطام انسان عندما هجرته عائدة إلى بريطانيا بعد سفيل...»

قالت بحدة: «محطم لدرجة أنه تحول إلى ماريا لويزا ليستعيد عافيته؟»

قال ستيف: «كانا في حاجة لبعضهما، لقد اطلعتني ماريا لويزا على كل ما كان. وكيف كانا يشجعان بعضهما على تجاوز محنتهما بعد قطع علاقتنا بهما.»

حدقت روث به بنظرة مشككة، كيف يأخذ الأمر بهذه البساطة؟ وحاولت تهدئة نفسها. لقد اخذ الأمر ببساطة في بادىء الأمر، وبطريقة ما تفهمت وضع فرناندو وماريا لويزا ومواساة بعضهما. وبعد ذلك اكتشفت أمر الطفلة واستدركت الحقيقة، لقد قاما بأكثر من مواساة بعضهما بالنسبة إلى صديقين مجردين. لقد احبا بعضهما، تقاسما الحياة معاً، ورزقا بطفلة جميلة.

كانت روث تقبض على عنق الكأس بتوتر وهي تجرع المزيد من الشراب. وكانت ردة فعل ستيف جيدة يرغب بالزواج من ماريا لويزا على الرغم من وجود الطفلة... تقبلت روث الأمر بصعوبة وشعرت فجأة بالغثيان وبمرارة تسحق كيانها من دون رحمة. كان ستيف يقوم بالعمل الصحيح، بزواجه من المرأة التي احبها بالرغم من أن لديها طفلة من رجل آخر، وكان هذا مقياساً حقيقياً للاهتمام

www.elromancial.com

البالغ بها. ولكن ماذا سيكون تعليق فرناندو على هذا الأمر؟

استوت روث في مقعدها متأملة. كل هذا لا يعنيها على أية حال. لا شيء، حتى لو كان هذا الشيء صغيراً فانه حتماً لا يعنيها. إنها وحيدة الآن، وليست متورطة لا من قريب و لا من بعيد بمشاكلهم.

اخيراً تكلمت: «إنني سعيدة لأجلك يا ستيف. سعيدة بصدق من أجلك.» وحاولت الابتسام. «إذاً، ما هي مشاريعك المقبلة؟ اظن أنك متحمس لرؤية ماريا لويزا الصغيرة.»

شعر ستيف بنوع من الارتياح عندما رأى ابتسامتها الطيبة لسعادته وهو يضحك ضحكة خافتة.

«الصغيرة؟ اعتقد أن هامتها النحيفة تعطي انطباعاً بأنها صغيرة... سأقود السيارة غداً صعوداً إلى بولنسيا وأمر عليها ثم سنطير إلى مدريد لمقابلة عائلتها... والدها ذو شأن في الحكومة...» نظر ستيف نحو روث التي شحبت كشحوب الميت وهي تراقبه بفم منفرج. «لا تقلقي على العمل يا عزيزتي، لقد انجزت كل شيء. سنتوسع به في انحاء اوروبا. انت تديرين الأعمال في بريطانيا اما بالنسبة إلى فسأنشيء فرعاً هنا في ماجوركا... هذا في حال ارادت ماريا لويزا أن تستمر في العيش في هذه الجزيرة. ما رأيك يا روث؟»

سارت روث في طريقها نحو الشرفة من اجل الهواء النقي. كانت ترتجف من رأسها حتى اخمص قدميها، وقلبها ينبض بشدة. كانت تتساءل بينها وبين نفسها، ان كان الذي تراه وتسمعه حلماً أم لا. وقريباً سوف تصحو منه لترى نفسها لا زالت في مطار غاتويك تنتظر الاقلاع إلى بالما.



وجلست فوق كرسي على الشرفة وتأكدت من أنها تمر في كابوس رهيب.

لم يكن ستيف على معرفة! لم يكن على بينة من طفلة ماريا لويزا وفرناندو! لكن من الضروري أن يعرف، ومن الضروري أن تناقش الأمر معه. وستيف كما هو دائماً يستلقي هانئاً غير مدرك بالذي يحصل. «ستيف.» نادته عالياً.

«أتريدين المزيد من الشراب؟» خرج إلى الشرفة وبيده الزجاجة ثم جلس قريباً منها.

«لا!» قالت وهي تحرك كأسها بعيداً: «اردت... اردت فقط التحدث... من الضروري أن نتكلم يا ستيف.» لم يعد القرار في متناول يدها. يجب أن يصدر القرار عنه.

ملأ كأسه الفارغ في صمت مطبق. وقال بكآبة. «آسف ياروث. لقد كنت غير منصف، ألهو مع ماريا لويزا بينما الأمور لم تكن على ما يرام بينك وبين فرناندو. هيا، قولي ما يخطر في بالك، فهذا من شأنه أن يخفف عنك.»

حولت روث رأسها ببطء نحوه، انه شريكها، وشعرت بالصداقة المتينة التي تربطهما، وتأملته بشعره الملوح بلون ذهبي من تعرضه لأشعة الشمس وبوجهه الذي يوحي بالثقة المطلقة. لم يكن على علم، فعلاً لم يكن. فلو أنه فقط يعلم لقال، لم تجر الأمور بينك وبين فرناندو بسبب الطفلة؟ أو لكان ذكر شيئاً بشأن الطفلة في هذا الوقت. أو أي شيء من هذا القبيل. لا، لا تستطيع ان تقول له شيئاً، لا. فهي لا تملك هذا الحق أبداً.

لقد كان حلماً رائعاً بالنسبة لكلينا.» قالت له ذلك، وهي

تحاول أن تبتسم له ابتسامة مشجعة. «كان لطفاً منه أن يعتني بي بعد أن انطلقت وماريا لوزيا كطيرين مع شروق الشمس لكن... لكن العصا السحرية لم تكن هناك.» وجرعت بعض الشراب وهي تشعر بالسعادة لحلول الظلام الآن. تمنت في قرارة نفسها أن لا يرى ستيف الحقيقة العارية على محياها وهي أنها ما زالت تحب ذلك الرجل، وأن قلبها يتكسر بحسرة ولوعة.

«على أية حال، لنكتف من هذا الآن.» قالت وكأنها تصرف نظره عن هذا الموضوع: «سأخبرك الآن ما الأعمال التي انجزتها في غيابك.»

دخلت لتحضر حقيبة عملها بينما ظل ستيف ينظر إليها نظرة تأمل وهي تمر من جانبه.

استفاقت روث صباح اليوم التالي على رنين الهاتف المتواصل. استوت في سريرها بارتباك، وهي ترفع شعره عن جبينها. كانت لا تزال تشعر بارهاق شديد على اثر ليلة السابقة، مكسورة الجناح من محاولاتها العديدة في الحفاظ على رباطة جأشها مع ستيف، وفي عدم التفوه بكلمة من الذي يجهله ستيف. كما حاولت ان تتظاهر بالحماس والاندفاع لمخططات ومشاريع ستيف المستقبلية والتي كانت متأكدة منها بأنها لا تريد أن تكون شريكة فيها، فهي لا تريد لنفسها التورط مرة اخرى وستبقى بعيداً عن جزيرة ماجوركا.

«حسناً، حسناً!» قالتها روث وهي تتمايل في خطواتها خارج الغرفة لترفع سماعة الهاتف. فمن الواضح أن ستيف لا يمكن الركون إليه ابداً.



ترددت للحظة قبل أن ترفع السماعة. قد تكون ماريا لويزا تسأل عن موعد عودة ستيف إليها. لم تكن لديها رغبة في التكلم معها. قد لا تستطيع تمالك اعصابها وثورتها إزاء خديعتها الكبرى لستيف، لكن لا بد لها من أن تحاول. وتملكتها نوبة من التوتر الشديد لتعرفها على صوت فرناندو.

«هل ستيف هنا يا روث؟»

طلبه البارد عذبها حتى روحها، وكأن ما من شيء حدث بينهما. لكن لم تكن هذه المكالمة لها شخصياً بالطبع، بل لها علاقة بماريا لويزا، وبطفلتهما، وطبعاً بشريكها ستيف.

«ما زال مستغرقاً في النوم، أهناك ضرورة ما لإيقاظه من النوم؟» سألت بسخرية، وهي تعجب من القوة التي بعثت في داخلها.

«نعم، هناك ضرورة، لكن لا توقظيه. لعلك قادرة كفاية على أن تنقلي إليه رسالة بسيطة. اتركي رسالة إلى جانب سريره، فأنت مما لا شك منه بارعة في ذلك.»

«إنها الطريقة الوحيدة في بعض الأحيان» قالت ذلك ببرودة اعصاب وهي تدرك تلميحه.

«الطريقة الوحيدة للجبان يا روث. لقد توقعت منك أكثر من ذلك لكن ربما تستحقين فرصة أخرى.»

كان في صوته نبرة سخرية وتساءلت روث ما كان قصده. فقطبت جبينها بقلق كئيب. فهي لم تعد تحتمل المزيد. وكانت على وشك الانهيار التام.

همست مرددة: «فرصة... فرصة أخرى؟»

«نعم، بينما أنت تساعدين شريكك هنا، صارحيني بقول الحقيقة، لماذا عزمت على الخروج من حياتي مرة ثانية؟»

احتارت روث أي سؤال ينبغي التطرق إليه أولاً. «ماذا تقصد، في مساعدة شريكي؟»

«اعتقد أنه سيكون في حاجة لمساعدتك عندما يصل إلى هنا. إنه حتماً في حاجة إلى من يعينه.

تسارعت نبضات قلب روث بقلق. «يبدو هذا وكأنه تهديد. إنني لا افهم.»

«ستفهمين عندما تصلين إلى هنا...»

قالت روث بعزم: «لست ذاهبة. فلا علاقة لي بهذا...»

قاطعها لاذعاً: «أنت تشغلين حيزاً في حياته. شئت أم ابيت. وفي هذه الأثناء إنك الصديقة الوحيدة لستيف كانوك وما زلت تحملين له بعض المشاعر كما كنت تصرحين سابقاً، من الواجب عليك أن تكوني إلى جانبه عندما يحتاجك.»

«لِمَ سيكون في حاجة إلي؟ يستطيع ستيف أن يخوض معاركه!»

شعرت فجاة بثورة جامحة على الجميع وعلى توريطها في أمور لا تعنيها. إنها ترفض كل ذلك، كما أنها بغنى عنها، فمن سيكون إلى جانبها عندما تحتاج إلى كتف امين تنفجر باكية فوقه؟

«هذه ليست بمعركة يا روث...»

«ليست؟» انفجرت روث، وهي تحاول حبس دموعها. «لكني اراها كذلك. فانت لا تستطيع احتمال خسارة ماريا لويزا. إذاً ماذا ستفعل تجاه ستيف؟ هناك مبرر لأكون إلى



جانبه في الوقت الذي يحتاج فيه إلى أحد. سأحضر معي صندوق الاسعافات الأولية، أأحضرها؟»

صدر من فرناندو تنهيدة عميقة بعدما خيم صمت طويل وعندما تكلم مرة أخرى جاء صوته ملطفاً لكنه مرهق. «لا شيء من ناحيتي ضده...»

«إنك ضده في كل شيء!» صرخت روث، وكانت دموعها تتساقط بغزارة فوق وجهها: «و...» اضطرب صوتها وغاب عن ذهنها ما ارادت قوله. «... وإنني افهم ما تعنيه.» تابعت بضعف شديد. وشعرت معه فجاة بعمق. لعله تلقى صدمة شديدة، عندما انبأته ماريا لويزا عن عزمها على الزواج من ستيف. لكن، الطفلة ـ سوف يتلقى ستيف صدمة عنيفة هو الآخر عندما يكتشف ذلك وربما فرناندو على حق، وستيف فعلاً في حاجة إلى مساعدتها.

قاطعها فرناندو بنفاد صبر قبل أن تتفوه بالمزيد: «إن كنت تفهمين فعلاً فلا ينبغي أن تكون هناك أية مشكلة. عليكما أن تكونا هنا في اسرع وقت ممكن.» اقفل الخط، ليمنع روث من أية فرصة اخرى في الاحتجاج.

ظهر ستيف خارجاً من غرفة نومه، مشعث الشعر زائغ العينين نتيجة افراطه في السهر ليلة البارحة.

«ما الذي يجري؟» سأل وهو يتثاءب، «هل هناك ثمة مخابرة هاتفية؟»

«تريد ماريا لويزا ان تراك الآن.» كانت العبارة السخيفة الأولى التي خرجت من فم روث وهي تعيد سماعة الهاتف إلى مكانها بيد مرتجفة.

قال لها: «كانت تراني كل يوم في الأسبوع الماضي.»

وابتسم لها ابتسامة واسعة: «وبقيت على حالها في حبها لي.»

ابتعدت روث كي لا يرى مدى العذاب الذي تملكها وظهر على وجهها. وكانت متأكدة تماماً أنه واضح على مظهرها الخارجي، ومن الداخل كان ثائراً كنهر جارف. وتمنت مجالاً للتفكير لكن لم يكن هناك شيء منه.

«سأرافقك إلى بولنسا.» قالت له من المطبخ وهي تحضر قهوة الصباح. لم تعط تفسيراً لذلك، فقد كان لا يزال يترنح في مشيته كي يستوعب ما قد تقوله. وما قد تقوله على أية حال سيكون كذبة. مستحيل أن تقول له السبب الحقيقي. شعرت بأنها غير مخيرة في ذهابها هذا. سيكون ستيف في حاجة إليها ولكنه لا يدري على الاطلاق.

قال ستيف: «سأستحم قبل طعام الافطار.» وتنهدت روث بارتياح وهي تجلس على كرسي في المطبخ تنتظر الماء لتغلي ثم حضرت القهوة بسرعة وسكبت لنفسها فنجاناً حملته إلى الشرفة لتجلس وتتأمل. ما الذي سيحدث؟ هل سيمنع فرناندو زواج ستيف من ماريا لويزا؟ هل سيحطمه مثلما تهدد وتوعد سابقاً؟ أو أنه سيبارك خطواتهما ويرفض وصاية ماريا لويزا على الطفلة؟ آه، نعم، في كل الأحوال ستكون هناك حرب من نوع رديء.

جرعت روث القهوة الساخنة. يا لستيف المسكين، إنه لا يعلم شيئاً عن تلك الطفلة الرائعة. لقد كان فرناندو على حق. فستيف في حاجة إلى المساعدة من الصديقة الوحيدة حالياً وهي روث. سيتلقى بعض الصدمات، ولا واحدة منها تسر النفس.



حاولت روث اخفاء نشيجها واغمضت عينيها من أشعة الشمس الملتهبة من فوقها. ومن الذي سيكون إلى جانبها في كازابينار حيث احبت حباً يائساً لا نفع فيه، وأضاعته بحسرة وألم؟ إنها وحيدة الآن في هذا العالم وعليها أن تداوي جروحاتها بنفسها وتتسلح بالقوة الكافية.

«أأنت متأكدة من أنك تريدين الذهاب؟» سألها ستيف مرة أخرى وهما يخرجان من بالما، على الطريق التي عادت فيها روث إلى بالما - وهي الطريق الأسرع وصولاً.

«قلت...»

«أعرف ما قلته يا ستيف.» قالت وهي تمط جسدها فوق المعقد إلى جانبه. «ما من شيء أقوم به، وبالما في هذا الوقت حارة لا تطاق.»

لم يكن لديها سبب وجيه تفسر به تحمسها لمرافقته. كان مستغرقاً في تأملاته لرؤية ماريا لويزا مرة ثانية حتى أنه لم يسألها ان كانت ستؤلمها رؤية فرناندو مجدداً. لكن روث فهمت ذلك جيداً، فعندما كانت هي غارقة في الحب كان تفكيرها الوحيد في نفسها وحبها.

كان يثرثر على طول الطريق الريفية، مبتهجاً بالمناظر الرائعة التي سبق لروث وشاهدتها. واخذ يتحدث من غير ترابط في الكلام عن انشاء منزل يجمعه مع ماريا لويزا في هذه الجزيرة الرائعة. وازادا حماساً كلما اقتربا من بولنسا وغرقت روث في كآبة نفسية عميقة جداً. فهي لن تقوى على رؤية فرناندو مجدداً لكنها مكرهة على ذلك مع علمها أنها ستسبب لنفسها ألماً كبيراً.

اشارت روث: «اسلك ذلك المفترق.» وانحرفا

الطريق الخاص الذي يحيط به صف من اشجار السرو تؤدي إلى كازا.

اضطربت روث اكثر واكثر حتى أنها كادت تقفز من السيارة عند البوابة، وتفر هاربة إلى الغابات ولا تظهر ثانية. ولا تدري كيف أنها استطاعت كبح جماح اضطرابها.

«يا لهذا المكان الرائع!» تلاحقت انفاس ستيف بتأثر بالغ، وهما يتابعان قطع المسافة الأخيرة من الطريق الخاص وبعد ذلك سمع صوت قرقعة البوابة الحديدية تقفل من ورائهما.

قالت روث: «قصر ريفي.» رماها ستيف بنظرة جانبية، وقلق فجأة عليها. «لم تكن هذه فكرة صائبة، اعني مجيئك يا روث. تبدين وكأنك استنزفت تماماً قوتك وحيويتك.» تابع وهو يربت على يدها. «لقد كنت مرهقة. وتقومين بأعمالي في فترة غيابي عليّ أن ارد إليك هذا الجميل في يوم من الأيام...»

فكرت روث بألم مروع وقالت في نفسها، إن عشت:

«لقد تركت فرناندو وأنت على علاقة طيبة معه على الأقل.» تابع وهو يوقف السيارة امام السلالم الحجرية من القصر المهيب الذي هربت منه من نحو قرن على حد تفكير روث. «سأدعوكم جميعاً هذه الليلة، إلى عشاء احتفالي. لعل هناك مطاعم جيدة في هذا المكان، مطاعم مشهورة ذات نوافذ ناتئة تمكنك من رؤية المناظر البديعة لمسافة اميال عدة وبالتالي نتناول العشاء على ضوء القمر.»

لم تستطع روث أن تفكر بأسوأ من ذلك. وحدقت بعصبية بالمنزل بينما ستيف، ترجل من السيارة مسرعاً. وشعرت



بالذنب لأنها لم تطلعه على حجم الكارثة التي تنتظره. سيقال له ان الحبيبة التي وهبها حبه وحنانه لديها طفلة من رجل آخر، وقد يهدده هذا الآخر ويحطم حياته. وعالمه الحالم سينهار كلياً.

كانت روث تحدق برعب نحو احدى النوافذ وما رأته أزال عن محياها ما تبقى من لونها الطبيعي.

كانت ماريا لويزا تقف أمام النافذة، تراقب وصولهما. لم تر روث في حياتها تغيراً في ملامح انسان مثلما رأته في ماريا لويزا. كانت شاحبة اللون، ووجهها متورم وكأنها امضت حياتها كلها تذرف الدموع. وشعرها الجميل الداكن المنسدل بإثارة وروعة في تلك الليلة التي امضتها مع فرناندو في اليخت، بدا الآن لا حياة فيه وهو يتدلى على جانبي وجهها الشاحب. بدت كمن تعرض لعذاب مرير، مقدم على الانتحار، وهذا ما جعل قلبها ينبض باضطراب شديد. ما الذي فعله فرناندو لها ليصل بها إلى هذه الحالة السيئة؟ هل رفض زواجها من ستيف؟ أو هدد بالاحتفاظ بالطفلة؟

ترجلت روث من السيارة وهي ترتجف، وتناولت حقيبة يدها عن المقعد الخلفي. ونظرت مرة أخرى إلى النافذة فرأت ماريا لويزا تبسط راحتي يديها بيأس فوق حافة النافذة، وتطلب من روث المساعدة بصمت كئيب وبعينين ملؤهما الألم والعذاب حتى كادت اعصاب روث تنفجر بحدة.

ابعدت روث نظرها بخوف ووجل لكنها عادت وشجعت نفسها إلى النظر مجدداً ولكن الوجه الهزيل الشاحب كان قد تلاشى. حولت نظرها نحو ستيف الذي كان واقفاً في الفناء

وهو ينتظر بحماس دعوة الدخول إلى هذا المنزل المرعب.

لم تستطع التحرك من اسفل درجات السلم: كان رأسها كمن اصابه دوار شديد. احست بالدبابير تطن في ذلك الجو الحار من النهار، وتنشقت رائحة اشجار الصنوبر والياسمين، وقلبها كان يخفق بسرعة بين ضلوعها.

فتح الباب الخشبي، الضخم فجأة، وخرج فرناندو سيرا من ظلمة ذلك المنزل إلى حيث الشمس المشرقة والساطعة.

لم تستطع روث رؤيته بوضوح بسبب وقوف ستيف امامه. لكن الذي استطاعت رؤيته فقط، ذراعه الممتدة إلى جانبه. اعتقدت في خلال هذه الدقائق المرعبة أنه سيصعق ستيف لكنه رفع يده ببطء مرحباً.

اجتاحت روث عندئذ عاصفة غضب، فماكان عليها سوى أن تقبض على يديها الاثنتين لتوقف غضبها هذا، الذي كان سيؤدي بها إلى ضرب صدر فرناندو ضربات متتالية وغرزتها اظفار اصابعها في راحتي يديها لكنها لم تشعر بأي ألم من شدة ثورتها، لأن الألم كان في قلبها.

سمعت كلاماً على الرغم من الدوران الذي لف رأسها، فما كان ذلك سوى ترحيب رسمي، ثم رأت ستيف يسير نحو المنزل، بينما بقي فرناندو واقفاً عند مدخل الباب.

وضعت روث يدها فوق فمها بحركة عفوية، كي تخفي تنهدات ألمت بها من هول الصدمة. ركزت نظراتها على وجهه، ثم غشيت عيناها كأنها تعزف عن شيء لا تود رؤيته.

لقد صدمت أولاً بملامح ماريا لويزا المأساوية من خلف النافذة لكن الأمر الآن أسوأ بكثير. انها ترى رجلاً في وضع كهذا يتحرك بهدوء وبرودة اعصاب. كان وجه فرناندو



شاحباً بسبب حاجته للنوم. بدا فقط نظيفاً حليق الذقن. وكانت عيناه غائرتين. كان يبدو وكأن مآسي العالم كلها تكدست أمام باب منزله، واعتقدت روث ذلك من شدة اضطراب اعصابها. بدا وكأنه يدفع ثمن خسارة حبه وطفلته لستيف وهذا شيء كثير عليه. تقدم ببطء نحو الفناء وحدق في وجه روث بعينين احاطهما ألم سحيق، بينما عينا روث كانتا تطفحان بخيبة أمل كبيرة في حبها الضائع.

رفع يده وأومأ إليها بالدخول إلى المنزل. لكنها احست في تلك اللحظة انها لن تتمكن من ذلك. القت عليه نظرة اخيرة وصرخت بألم ثم ابتعدت هاربة. لكنها سمعت نداءً ملؤه العاطفة الجياشة التي يكنها لها، بينما كانت تتوجه إلى الممر عبر الحديقة إلى حوض السباحة ومن ثم إلى غابة الصنوبر وبستان الزيتون.

«رو - وث!»

تلاشى النداء المتواصل بين نبضات قلبها وهي تجري إلى اعلى الهضبة.

# الفصل العاشر

وقفت روث على قمة الهضبة الصخرية، وكانت أطراف ثوبها تتحرك حول ساقيها المرتجفتين. وهبت نسمة حارة فتطاير شعرها وجفف الدموع فوق وجنتيها.

وقفت جامدة تحدق بالبحر لكن بسبب عينيها المغرورقتين بالدموع لم تر شيئاً سوى تعابير وجه فرناندو القاسية.

هتفت باسم ستيف وكأنها تخفف من توتر أعصابها، وحمل النسيم الحار فوق جناحيه هتافها إلى الرجل الذي كان يخطو خطوات سريعة نحوها. ودارت تترنح لدى سماعها وقع الخطوات فوق الأغصان اليابسة على الأرض.

«تنادين على ستيف، طبعاً. ومن غيره لتنادي عليه؟»

نظرت روث إلى فرناندو والهلع يطل من عينيها، كان يبدو شاحباً شديد التوتر وهو يقف أمامها تماماً. أرادت أن تندفع نحوه، لترتمي بين أحضانه وترتاح فوق صدره كما يرتاح هو فوق صدرها. ودت لو يقول انه يحبها حباً صادقاً ولكن شيئاً من ذلك لم يحدث. تمنت لو انها ساعة الغروب ترافقها عاطفة حب عارمة ومجد ساطع وحب أبدي لا يموت. لكن للأسف لن يحصل شيء من هذا كله... بعد الآن.

«ظننت.... ظننت انك ستيف.» همست أخيراً من بين أنفاسها المتلاحقة وهي تهدىء من أفكارها المتصارعة وتوقفها عن اضطرابها وهيجانها الكبير. قالت بهدوء: «انه



سبب وجودي هنا، أرجو أن لا تنسى ذلك، كيف حاله؟» سألته مستطلعة بشوق عن حاله.

لم يتحرك فرناندو، بل بقي واقفاً أمامها يتأملها بعينين زائغتين لا حياة فيهما.

قال لها: «إنه يعاني من صدمة. وهذا واضح في ظل هذه الظروف. لقد تركتهما بمفردهما حتى يتوصلا إلى تفاهم على كثير من الأمور.»

سوت روث أطراف ثوبها بيدين مرتعشتين. أرادت أن تصفعه في وجهه على بشاعة شراسته اللامتناهية، لأنها الطريقة الوحيدة كي تحافظ على نفسها من الانفجار غضباً عليه. لكن كل الذي فعلته انها رفعت وجهها عالياً ونظرت إليه ببرودة أعصاب.

«ألم... ألم تشبعه ضرباً؟» سخطت بازدراء، وعيناها تضيقان: «انني لن أحتمل أبداً رؤيته يتألم.»

ضاقت عيناه هو الآخر: «ولِمَ أشبعه ضرباً؟ فقلبي يميل إليه...»

انفجرت روث بغضب: «كاذب! فلا قلب لك! كانت نيتك دائماً أن تدمره وتدمرني...»

«روث؟»

«لا تستعطي الشفقة مني. إن جئت إلى هذا المكان لتطلبي السماح مني، فهذا ما لن أمنحك اياه. لأنني لن أسامحك أبداً كما انني لن أنساك ما حييت!»

أسرعت بالابتعاد عنه لكنه التقط ذراعيها ودار بها نحوه، وهو يهز كتفيها ليهدىء من اضطرابها. كانت لمسته كعقاب أخير بالنسبة إليها. والعذاب الأسوأ من هذا كله كان

عندما راحت يداه تمران على وجنتيها. فتراخت أعصابها، واجتاحتها عاصفة من العواطف المؤلمة إلى أن ألمّ بها دوار شديد شلّ كل قدرة لديها.

صاح بحرارة: «إلى أين أنت ذاهبة؟» وعيناه تعودان إلى طبيعتهما وهما تومضان بخطر شديد.

قالت: «طبعاً، إلى ستيف. هذا هو سبب وجودي هنا، هذا سبب استدعائك لي إلى هذا المكان. انه في حاجة إليّ...»

«انه في حاجة إلى ماريا لويزا الآن يا روث، دعيه في حاله... دعيه بنفس الطريقة السهلة التي تركتني بها.»

انفرجت شفتا روث وكأنها تلقت صدمة عنيفة: «أدعه... أدعه في حاله... كما تركتك!» همست غير مصدقة: «لقد طردتني من حياتك بغدرك وخيانتك!» وحاولت جاهدة أن تحرر نفسها من قبضته المحكمة لكن محاولاتها بدت فاشلة.

كانت عيناه تنذران بالخطر، والغضب العاصف يغير من لون سحنته. «الغدر والخيانة؟ كيف تقولين هذا وأنا لم أقدم لك سوى الحب بعاطفة لاهبة، لكنك قذفت كل ذلك في وجهي ولم تمنحيه أدنى اهتمام. لقد وهبتك قلبي وروحي...»

ناحت روث: «لم تهبني شيئاً يا فرناندو! قلبك وروحك كانا أبداً لماريا لويزا.»

هزها بعنف: «تعلمين جيداً ان هذا ليس صحيحاً! تعلمين ان لا شيء بيننا.»

«كان كل شيء بينكما... الذي اعتقدت بأنه ملكنا... في سفيل... وهنا. أحببتك وكنت دائماً أظن أنك تحبني...»

«أحبك يا روث.» همس بعاطفة كبيرة أغرتها في أن



تصدق كلامه. لكن، كانت استنتاجاتها تصرخ بالحقيقة عالياً، وهي ان هناك شيئاً يربطه مع ماريا لويزا وسيبقى دائماً. فهناك قيد يشد وثاقهما وما من شيء يمكن أن يحله لا منها ولا من ستيف.

أحست في خضم صراعها المتأجج في نفسها بين الصدمة والرعب الشديد، وشعرت بموجة من الأمل تداوي قلبها الجريح كشعاع منير أضاء عتمة ظلام السماء. ارتخت أعصابها المتوترة وهي ترتمي بين أحضانه. أحست بقواها تتلاشى، ولم تستطع ارادتها أن توقف ما كان يختلج في نفسها.

كانت قائمة ولا تزال، تلك العاطفة الملتهبة وذلك المجد الكبير والاندفاع الحار في مشاعرها والتي أدركت انها ستحتفظ بها له دائماً. لكن لا مكان لكل هذا في حياته وصرخ قلبها بنداء موجع.

«آه، لا... أرجوك لا تفعل هذا بي يا فرناندو.» واجتاحتها نوبة بكاء مريرة وهي تبتعد عنه. كانت عيناه متسعتان كظبي خائف هارب من براثن الأسد وهي تحدق به: «انك تعلم ان هذا لن يتم أبداً.»

«أبسبب حبك لستيف؟» انفعل بغضب من غدرها المرير. ثم قبض على كتفها بقوة بينما كانت تحاول جاهدة التحرر منه.

«نعم، بسبب ستيف... ليس بسبب حبي له كما تعتقد، بل بسبب اهتمامي بشأنه و... والاهتمام يفعل فعله كما الحب. الآن، وفي هذه الدقائق العصيبة، يحاول جمع أشلاء حياته بعدما بعثرتها أنت بوحشية قاسية...»

احتجّ فرناندو بعنف: «لم أقم بأي شيء يؤذيه. لا يقع اللوم علي بذلك، أبداً كان ينبغي على ماريا لويزا أن تخبره لقد خدعته. كان من واجبها أن تطلعه...»

اندفعت روث: «وكان من واجبك أن تطلعني يا فرناندو. في تلك الليلة الأولى التي عدنا والتقينا فيها مجدداً في ذلك المطعم قرب الميناء، كان عليك عندها أن تخبرني بأنها في حياتك. لكنك تركتها ترحل مع ستيف وما كان عليك أن تسمح بذلك. كذلك جعلتني أبقى معك بينما هما كانا معاً وما كان عليك ابقائي. ولا يحق لك ذلك، ولا يحق لك أبداً. لقد منحتك كل شيء، قلبي وروحي قدمتهما، لكنك... لكنك استعملتني أداة لحقدك وغدرك!»

تحررت فجأة منه بعدما تراخت قبضته وكانت فرصة سانحة لها لتحرر نفسها منه. تراجعت إلى الخلف، وعيناها الزرقاوان تعبسان بعصيان، وهي تضغط على قبضتي يديها بقوة.

«سأذهب إلى ستيف الآن وأخلصه من كل هذه المصائب. لقد قلت لي انه سيحتاج إلى مساعدتي وكنت صائباً من هذه الناحية. فلا أحد منا يستحق ذلك الألم والكدر اللذين سببتهما لنا. سنخرج كلانا من حياتكما وفي امكانك عندئذ أن تستمر في وجودك الشاعري الذي تقاسمته معها قبل مجيئنا إلى هذه الجزيرة. انك لا تستحق تلك الطفلة الرائعة... انكما لا تستحقانها أبداً، كما انها لا تستحق ذاك الغدر من والديها!»

دارت وأسرعت تجري بعد ما قالت ما أرادت قوله، أسرعت هائمة لا تعرف طريقاً تسلكه. وأحست فجأة بقبضته



تمسك بها من الخلف وأخذ يدور كل شيء من حولها فسقطت بقوة على الأرض.

قاومت بيأس، وهي تلكمه تارة وتنشب أظفارها وتصرخ في وجهه بأعلى صوتها تارة أخرى. وبقيت على حالها في هذا العراك معه إلى أن تلاشت قواها. هوت إلى الوراء بارهاق شديد، وبدأت تبكي وتنوح بقلب يعتصره الألم لا تعي شيئاً.

«اصمتي الآن، يا حبي، يا حياتي.»

صرخت: «أيها اللعين! اني أكرهك، أكرهك!»

قال ملاطفاً: «أنت لا تعرفين الكراهية. انك تحبينني، تحبينني أنا ولا أحد سواي وأحبك أنا ولا أحد سواك. لم أحب سواك ولن أحب من بعدك.»

«وأنت لست سوى كاذب!» قالت معترضة بقوة، وصدرها يعلو ويهبط بلهاث شديد. «انك لا تحب أحداً. حتى انني لا أصدق انك تحب ماريا لويزا أو طفلتك. انت لا تعرف معنى للحب! انك لست سوى مخادع وكاذب!»

«وأنت لست سوى حبي وحبيبتي، ذات الغباء الأعمى.» وتجرأ على الابتسام وروث تتلوى برعب شديد منه. لكنه ضمد ما في نفسها بعناقه الشديد لها. «كيف تصدقين ان هذا الكلام يصدر مني يا روث؟ انت العزيزة روث، بنجاحك الهائل في إدارة شركتك، بجمالك وبذكائك المتقد، كيف سمحت لعواطفك أن تصل بك إلى استنتاج كهذا وهو ان طفلة ماريا لويزا هي طفلتي أنا؟»

شعرت روث بقوة غريبة تزيل تلك الغيوم السوداء من بين أضلعها. وراحت تسترد أنفاسها التي ضاق بها صدرها.

وهي تكافح من أجل العودة إلى الحياة في هذا العالم المتأجج بالنار الحمراء. ثم أخذت تفسح مجالاً للتخلص من معاناة رهيبة سكنتها، من كل ما أرهق قواها ورماها ضعيفة تصارع من أجل البقاء.

«فرناندو!» هتفت أخيراً، وهي تحاول الجلوس منتصبة.

طمأنها فرناندو وهو يمسح شعرها المتندي من تساقط دموعها ويميل به إلى ما فوق خديها المتوردتين. «نعم، انني هنا، وهنا سأبقى دائماً. لك فقط وأنت وحدك، أيتها التعيسة، أيتها الحبيبة التعيسة، هل صدقت ذلك، صدقت فعلاً ان طفلة ماريا لويزا هي طفلتي أنا؟»

وبحثت روث عن كلام تقوله، فقد كان عقلها مضطرباً لدرجة انها لم تستطع أن تجد فكرة مناسبة تستهل بها كلامها.

ما الذي كان يقوله؟ لم تستطع ادراك ما قاله، لا انها فقط لم تستطع.

رجته متوسلة: «أرجوك يا فرناندو. أرجوك أن تطلعني على الحقيقة. أعد عليّ القول مراراً وتكراراً. قل لي ان ما من شيء يربطك بتلك الطفلة.»

«لا شيء يربطني بها يا عزيزتي روث. من غير الممكن أبداً أن تكون ابنتي. كيف تمكنت من تصديق ذلك؟»

«لكنك... لكنك تعيش معها. لقد قلت و...»

«قلت اننا نعيش معاً وهذا صحيح، لكن ليس كحبيبين. أخبرتك بأنها لم تكن بتاتاً من ذلك النوع من العلاقات. لكنني لم أستطع قول المزيد. لم يكن من صلاحيتي أن أبوح به لأحد، حتى لك. عليك تفهم ذلك يا روث. لم تكن لي نية على



الاطلاق في ان أخدعك كما اتهمتني. قلت لك كل ما يسمح لي بالبوح به واعتقدت بأنك تفهمت ذلك.»

«لقد... لقد تفهمت.» قالت روث، وهي تلتقط أنفاسها. «صدقتك فعلاً. ما كنت لأبقى لولا ذلك. ولا كنت سمحت لحبنا أن يتأجج أكثر لولا ذلك. لكن...»

«لكن ماذا؟ ما الذي جعلك فجأة تشكين بي؟»

«آه، كنت...» همست روث بألم موجع مما دعا فرناندو لأن يضغط بيده حولها أكثر: «كنت خائفة تماماً، كنت طوال إقامتي هنا على خوف مرير منك. كانت الهواجس تعصف في رأسي. أنت وماريا لويزا. وكنت تؤكد لي دائماً أنها لا تحتل جزءاً من حياتك و... وصدقتك فعلاً. لكنك... لكنك لم تكن صادقاً معي. وكلما سألتك...»

«ما كان في استطاعتي أن أقول الحقيقة لك يا روث. لم يكن سري لأتمكن أنا من أن أبوح به. طلبت مني ماريا لويزا أن أقسم لها بانني لن أخبر أحداً، وهكذا كان. لأنها كانت في حاجة لأحد تثق به. كانت تعيش حالة ضياع تام وفي وحدة وتعيش في خوف ذريع من والديها ان اكتشفا أن لديها طفلة.»

دفنت روث وجهها في صدر فرناندو وهي تقاوم الدموع من أجل ماريا لويزا المسكينة. «آه، يا فرناندو، لا أدري ما أقوله.» وضمت وجهه براحتي يديها، ولطفت بأصابعها صفحة بشرته. «اليوم الذي ذهبت فيه لمقابلة محاميك...» ترددت، وتساءلت فيما لو تستطيع الكلام عما شعرت به من صدمة رهيبة عندما روزا ودولورس أظهرتا تلك الطفلة الصغيرة لها. وكتمت بقوة ما أرادت الافصاح عنه. لكن يجب

أن تخرج منها كل مخاوفها. «لدى عودة روزا و... ودولورس إلى المنزل، بدتا... بدتا وكأنهما تعرفانني جيداً. وقالتا انهما على علم مسبق بوجودي هنا. واعتقدت ان الأمور ستكون على خير ما يرام. لكنني كنت دائماً في خوف شديد من انك ستختار ماريا لويزا عوضاً عني لحظة عودتها اليك.»

«كيف يمكنك الاعتقاد بذلك؟ كان ينبغي لك أن تدركي تماماً كم أحبك بصدق. كان لنا كل شيء في سفيل وعاد القدر يجمعنا ببعضنا مرة أخرى. وكنت دائماً على اعتقاد بأنك سعيدة في جزيرتي، وبأنك مغرمة بي وتريدين البقاء معي.»

«ومع هذا كله لم تطلب مني ذلك بتاتاً. بقيت أنتظر وأنتظر هذا الطلب منك في أن أبقى، لكنك لم تفعل. وكنت أعتقد دائماً بأنك ثائر علي من الاستمرار في مزاولة أعمالي واعتقد أيضاً انك فقط تنتظر عودة ماريا لويزا اليك... آه، قبل أن تقرر...»

كان فرناندو على وشك الاعتراض. لكن روث أوقفت شفتاه عن الكلام بأطراف أصابعها.

«دعني أكمل يا عزيزي، لأنني مضطرة إلى ذلك. يجب أن أقول لك كل الأشياء القاسية التي ظننتها بك عندما تعثرت قدماي في غرفة الحضانة تلك، إحدى الغرف العديدة التي حجبتها بعيداً عني. كانت روزا تمسك بالطفلة، قرب النافذة. كانت صدمة كبيرة بالنسبة الي لأنني لم أشاهدها معهما عند خروجهما من السيارة. ولم يكن في استطاعتي أن أتكلم بطلاقة في اللغة الاسبانية، وروزا تتكلم القليل من



اللغة الانكليزية. لكن... لكننا بطريقة ما تدبرنا أمرنا. فسألتها عن الطفلة ونظرت إلي نظرة تساؤل وكأنه ينبغي علي معرفة طفلة من هذه.»

توقفت روث لتلتقط أنفاسها، وهي تحدق في عيني فرناندو الداكنتين، وتتمنى بحرارة كي يتفهم موقفها. لكن فرناندو كان ينظر اليها بتفهم عميق فشجعها ذلك على المتابعة.

«قالت روزا ان الطفلة تدعى ماريا لويزا... كاسم والدتها... و... وتداعى كل أمل لي في هذه الحياة. واعتقدت عندها بأنني فهمت كل شيء. وتصور لي أن سماحك لها بالابتعاد مع ستيف كان لأنك... لأنك اعتقدت بأنها ستخرجه نهائياً من حياتها، كما أوضحت أيضاً أنك واثق حتماً من عودتها وأن لديك شيئاً ثميناً لا يملكه ستيف، ومن باب الصدفة استعملت روزا كلمة ثمين لتوصف الطفلة وكان هذا استناداً كاملاً. وفهمت فجأة، أو ربما تهيأ لي بأنني فهمت كل شيء. فقد كانت الطفلة ماريا لويزا الشيء الثمين الذي سيعيد ماريا لويزا الأم إليك.»

«وانها ثمينة كذلك بالنسبة إلى ماريا لويزا. نعم، كنت متأكداً تماماً من عودتها، بسبب الطفلة، وليس بسببي.»

«أعرف... وأفهم ذلك الآن.» همست روث وهي تشعر بالدموع تترقرق ثانية في عينيها: «كنت أعاني من حالة رهيبة من عدم الاستقرار يا فرناندو. فقد خسرتك مرة بسبب جهلي وغبائي والآن بليت بشيء آخر رهيب ـ وهو طفلة صغيرة، تحتفظ بها ولا استطيع منافستها. لذلك هربت بعيداً، عائدة الى بالما، لأنني لم أملك القدرة كي أتحمل

الألم من عودة ماريا لويزا، التي تريدك بالحاح كي تتشاركوا انتم الثلاثة الحياة المقبلة.»

مسح فرناندو بيده شعرها الحريري وقبلها على جبينها. «أيتها العزيزة البائسة. لو انك فقط انتظرت عودتي وواجهتني بالذي يرهقك ويعذبك لكنت هونت عليك الأمور كلها. لقد انقلبت الآن ضد ماريا لويزا وخالفت القسم الذي أديته لها بأن اخفي قصتها عن الجميع وذلك كي أخفف من وطأة مآسيك. كم حاولت وعانيت طويلاً كي أبعدك عن فضولك في معرفة تلك الوقائع لكنني كنت دائماً على وشك البوح بها. وكانتا روزا ودولورس يهتمان بالطفلة في بالما وعرفت أنه يتوقع حضورهما قريباً. لكن القيد كان هائلاً.»

«كانت تصرفاتك معي غريبة في الأيام القلائل الماضية وكنت أنا أعيش حالة فظيعة من الضياع. كان خوفي عظيماً في أن أخسرك في سبيل ماريا لويزا، وأنت تلوّح بعودتها برعب الهب قلبي، والنتيجة ان الأمر كان مرهقاً للغاية عندما اعتقدت بأنك والد الطفلة.»

هزّ رأسه بأسف على الألم الذي مرت به. «عندما عدت ورأيت رسالتك المقتضبة لم أظن للحظة واحدة أن السبب هو اعتقادك بأنني والد الطفلة. لم يخطر في بالي قط أنك ستنظرين إلى الأمر بهذه الصورة. فقد اخبرتني روزا بأنك فتنت بالطفلة، وكم قلت انها رائعة الجمال. ولم يطرأ في بالي أن اختفاءك كان مرتبطاً بهذا الأمر. ظننت فقط...»

«ظننت فقط أنني أضع اعمالي مرة ثانية... كذلك ستيف يأتي قبل حبي لك.»



اعترف بغصة: «لم اعتقد شيئاً لساعات قليلة مضت. فقد كنت متخدراً من هول الصدمة. بعدها أحسست بغضب شديد وشعرت بأنني موضع خيانة. نعم، وضعت اللوم على مهنتك مع الوقت، قلقة من غياب ستيف الطويل ومتحمسة كي تنهي ذلك العقد بأسرع ما يمكن، لكن الأمر الأسوأ رعباً، هو اعتقادي أنك لم تغرمي بي كفاية كي تبقي معي إلى الأبد.»

هتفت روث من اعماق قلبها: «آه، انني احبك بقوة يا فرنادو. كما كنت وسابقى دوماً لكن الأمر لم يكن سهلاً، الا ترى معي ذلك؟ أعني، ان نحب. فقد كان حبنا محاطاً بكثير من الشكوك وبقلق ورعب فاقا كل تصور بشري. وأعرف جيداً أننا تناجينا ذلك مرات عديدة في سفيل لكن حتى في ذلك الحين كنا نظن أنه حب خيالي لا وجود له في هذا العالم الكبير. وقد صرحت بذلك بنفسك.»

«ذلك فقط لتغطية عدم تأكدي من أنك لا ترفضين حبي مرة أخرى.»

سألته روث مستفهمة: «انك ما زلت تعتقد بأنني رفضتك في المرة الأولى، أليس كذلك؟»

هدأ من خاطرها بقبلة ناعمة على جبينها وقال: «كنا كلانا على خطأ، ما كان عليك ان تشكي لحظة واحدة بحبي العميق لك، لكنني أفهم جيداً عدم شعورك بالاستقرار الذاتي. كانت سفيل بالنسبة لنا عالماً آخر. لكن ما كان يجدر بي أن أدعك تفلتين مني بهذه السهولة. كان عليّ ان اكون على متن الرحلة التي تلت رحلتك كي استعيدك. وبقيت لمدة أيام، ولأسابيع متردداً حائراً أود أن أقوم بأي شيء، ثم اعتقدت

بما أنك في أرض وطنك فمن المؤكد أن حبك لي قد تلاشى واضمحل...»

«لا، لم يتلاش قط يا فرناندو، لم يراودني ادنى شك في لحظة واحدة عن مدى شعوري العميق نحوك، كانت شكوكي تتمحور فقط حول مدى شعورك تجاهي. وكنت أظن أحياناً انك ستهرع ورائي ولكن عندما لم تفعل... ظننت فقط...»

«كنت سألحق بك، صدقيني، ولم يكن في استطاعتي منع نفسي مع الوقت.»

تمتمت روث بحزن: «لكنك لم تفعل. لم تأت لأجلي يا فرناندو.»

بدد هواجسها مرة أخرى بقبلة لطيفة ابعدت عنها كل ما يضنيها ويؤلمها.

«كنت متأخراً جداً في ذلك الوقت.» همس لها بحب كبير وهو يبتعد عنها قليلاً ليقرأ ما في عينيها الزرقاوين الذابلتين. «كانت ماريا لويزا في أمس الحاجة الي يا روث، كانت تمر في حالة عصيبة. أرجوك حاولي ان تفهمي وضعي انا بالذات. لقد عرفتها طوال حياتي. لأن والدي كان صديقاً حميماً لوالدها. وعندما زاولت عملها كمضيفة، طلب والدها مني أن أراقبها جيداً. وكانت تقوم برحلات محلية وغالباً ما كنا نلتقي، تماماً كما في سفيل. وكانت في كثير من الأوقات تقيم في أماكن اقامتي. وكان من الطبيعي أن تتوجه الي أولاً عندما ظهرت عوارض الحمل عليها.»

«ألم يكن في امكانها التوجه إلى والديها؟»

هزّ فرناندو برأسه ثم ابتسم بكآبة. وأجاب: «ألا تذكرين



ما قلته لك حول والديها؟ بأن والدها سياسي مهم، ووالدتها فاعلة خير.»

«يبدأ الخير من البيت أولاً.» اقترحت روث بمرارة ساخرة وهي تظن في نفس الوقت من دون تسامح بأن ماريا لويزا وضعت فرناندو في مأزق صعب ولا علاقة به بأي حال من الأحوال.

«توجهي بذلك الى الابنة الوحيدة، انها تنتمي إلى عائلة محترمة في مدريد، تجاوزت رغبات والديها وعقدت العزم على العمل كمضيفة.»

رق قلب روث. «لا بد انها كانت في حالة اضطراب شديد.»

«كانت يائسة جداً. حاولت جاهداً أن أقنعها بالذهاب إلى منزلها، حتى انني اقترحت عليها ان أذهب معها ونبحث الأمر مع والديها، لكنها لم تستطع مواجهة هذا كله. فقط ناشدتني كي أدعها تعيش معي إلى أن يولد الطفل وبعد ذلك تستجمع قواها كي تواجه والديها بالأمر.»

«و... ولم تفعل ذلك بعد؟»

هزّ فرناندو رأسه نافياً. ونهض ليرفع ساقيه الطويلتين ثم مال بمرفقيه فوق ركبتيه. وسرح بنظره إلى البحر. واستوت روث في جلستها ببطء ووضعت رأسها على كتفيه.

«كان عليك ان تعيش هذه الأمور، مدركاً تماماً أن الذي تقوم به خطأ وأنت تبدي اهتماماً بالغاً بها. آه، يا فرناندو، انك فعلاً انسان رائع. تجعلني أشعر بالأسف لتشككي بك، ولتفكيري بأنكما عاشقان متيمان. لقد اعتنيت بها طوال الوقت وما زلت كذلك.» وطرأت في رأسها فكرة وتقلصت

شفتاها بتأكيد. «لكن ماذا بشأن والد الطفلة؟ أراهن انه واحد من أولئك المتزوجين الذين لا يريدون اقحام أنفسهم بأمور كهذه. كرداءة أكثر الرجال...»

التفت فرناندو لينظر اليها وكانت ترفع رأسها من فوق كتفه لتحدق بعمق نحو الأفق، تراودها فكرة أخرى مزعجة وهي غير عالمة بنظرات فرناندو الفضولية.

«آه يا فرناندو.» وحولت رأسها نحوه. «أعرف الآن ما كنت تقصد عندما دعوتني هذا الصباح... بأن ستيف قد يحتاج إلى صديق، وفي حاجة إلى مساعدتي.» وعضت على شفتها بقسوة. «آه، مسكينة ماريا لويزا، ومسكين ستيف. لقد رأيتها عند النافذة عندما وصلنا. بدت وكأن خطوتها التالية هي الانتحار والخلاص وكان ستيف في غاية السعادة، في غاية الشوق...» وامتلأت عيناها بالدموع فجأة. «آه، يا فرناندو. انه يحبها بقوة ولا أدري ما الذي سيحصل له بعدما يعلم بأن لها طفلة من رجل آخر؟»

سيشعر ستيف تماماً كما شعرت عندما ظنت أن فرناندو هو والد الطفلة... انها مأساة بكل ما في الكلمة من معنى. لم يكن أحد بقربها عندما تمّ اكتشافها لذلك الأمر المريع، وقد تحملته بمفردها، وكانت تجهل الحقيقة تماماً. لكن وجودها الآن مع ستيف سيساعده، وسوف تقف إلى جانبه كي لا تدع هذه المأساة تحطمه.

حاولت الوقوف على قدميها، وهي تسحب طرفاً من ثوبها كان قد جلس فرناندو فوقه. «يجب أن أعود إليه يا



فرناندو. فأنت على حق، انه في حاجة إلي. سيحل به الدمار... دعني أذهب يا فرناندو... فرناندو!»

كان يحاول في تلك الأثناء أن يسحبها ويمنعها من الذهاب وهو يقهقه ضاحكاً.

قاومت لتبقى واقفة. «آه، هذا ليس مضحكاً يا فرناندو.»

«لكنه كذلك، يا عزيزتي، يا عزيزتي البلهاء، وقد صعب علي أن أصدق أنك لا تعرفين...»

«لا أعرف ماذا؟» صرخت غاضبة عليه لعدم تعاطفه مع ستيف في هذه المحنة الحرجة من حياته وتابعت: «لعل ماريا لويزا تقول له في هذا الوقت انها لن تتمكن من الزواج منه لأن لديها طفلة من رجل آخر. لقد سبق وقلت لي انه أصيب بصدمة...»

«وهو كذلك، لكنها صدمة من نوع مبهج...»

صرخت بغضب شديد: «مبهج! انه حتماً يعاني كارثة الآن!»

«حسناً، هذا صحيح أيضاً. انه مسرور بمشاهدة طفلته للمرة الأولى.»

أحست بالعالم يدور بها ويخرج عن محوره ويقذف بها بعنف فوق الأرض. وحدقت بشك بالابتسامة الواسعة التي ارتسمت فوق وجه فرناندو.

«ابنته!» وغصت بعدم تصديق. لم ينبث فرناندو بكلمة، فقط بقي على حاله من الابتسام لشحوب وجهها بينما تحركت شفتاها. «ابنة ستيف؟ طفلته؟ طفلة ماريا لويزا هي طفلته أيضاً؟»

طفحت الدموع فجأة، انها دموع الغبطة والسعادة والارتياح التام. «آه يا فرناندو.» تمتمت، وهي تخفض رأسها كمن ثبتت سذاجته. «يا لي من غبية، ألست كذلك؟ كم أنا عمياء، وفي غاية الغباء والسخافة!» وحجبت وجهها براحتي يديها واسترسلت في بكاء مريح. أمسك بكتفيها وهو يهدىء من بكائها وكربها بسؤال مفاجىء أقلقه.

«عزيزتي روث، لم تقولي... لم تقولي لستيف وانتما في طريقكما إلى هنا... ان الطفلة هي... هي طفلتي؟»

تلاشى الكرب فجأة وامتزج البكاء والضحك معاً في آن معاً. وسحبت يديها من فوق وجهها. «آه، من حسن الحظ، أنني لم أقل شيئاً. انني لم أنطق بكلمة، لأنني لم أستطع، بسبب اضطرابي الشديد. كنت على علم بأن ستيف لا يعرف شيئاً عن أمر الطفلة. فعندما عاد ليلة البارحة كان في سعادة عامرة من حبه ويريد بقوة الزواج من ماريا لويزا فلم يكن في استطاعتي أن أدمر كل ذلك. وعندما وصلنا لم أستطع الدخول إلى المنزل لأنني كنت أعرف... وقدرت ما قد يحدث. عندما لمحت يأس ماريا لويزا عند النافذة اعتقدت أن عالمه انهار بأكمله و... وعندما فتحت الباب وظهرت بذلك المظهر المريع اعتقدت أيضاً انك لا تريد منحها رعاية طفلتها. آه يا فرناندو، ما من شيء يشبه ذلك، أليس كذلك؟»

وافق بسرعة: «ما من شيء يشبه ذلك بالتأكيد. كانت منزعجة لأني كنت قد فقدت أعصابي معها. فعندما عادت إلي وجدت أنها لم تخبر ستيف بعد. لقد نصحتها منذ البداية



كي تكون صادقة معه لكنها خافت ان تصدمه ويرفضها نهائياً. كان قد اتصل بها بعد سفيل لكنها لم تعاود الاتصال به لأنها اكتشفت عندئذ انها حامل. حاولت التفاهم معها على أنه من الواجب أن يعرف بأمر الطفل لكنها رفضت رفضاً قاطعاً الاتصال به أو مراسلته. وكان عذرها أنها لا تريد الاحتفاظ به بهذا النوع من الأساليب.»

«لكن الآن، وبعد قضاء ذلك الوقت معاً في القسم الرئيسي من الجزيرة، عليها أن تدرك انه يحبها باخلاص.»

«فهمت ذلك، لكن الأمر كان أسوأ لها. فعندما تحجبين شيئاً وتخفينه كل تلك المدة تصعب معالجته أكثر. وعندما اقترح الزواج كان ذلك غير ممكن. لأنها تمادت كثيراً في أفعالها، وفقدت كل حس فيها وخافت من اطلاعه على الأمر خوفاً مَن أن يقابلها بالرفض وبقينا ساهرين معظم الليل. وأنا الذي ظننت أنها أصبحت ناضجة خلال السنة الفائتة معي، وضاعت كل جهودي معها في مواجهة مسؤولياتها عندما عاد ليظهر ستيف في الساحة.»

راحت أصابع روث تداعب وجه فرناندو. «لقد بدوت بدائياً بشكل رهيب، وتسكنك الكآبة. لا بد وانك تكن لها اهتماماً كبيراً.»

«أكن لك اهتماماً أكبر، ان بدوت سيئاً في بعض الأحيان فذلك لاعتقادي بأنني خسرتك. وكنت أفكر طوال الوقت الذي قضيته أتفاهم مع ماريا لويزا في أنه علي التفاهم معك أيضاً، كي أحاول الفوز بك مجدداً. وأمضيت السنة الفائتة من حياتي أهتم وأراعي شخصاً آخر.»

قالت روث بلطف: «كانت ماريا لويزا في حاجة إليك.»

«لكنك كنت في حاجة إلي أكثر يا روث، كنت في حاجة لتتأكدي من حبي لك. وكانت فرصتي الأخيرة اليوم، عندما ألححت عليك بالمجيء إلى هنا مع ستيف.»

داعبت روث بخفة: «كان من الممكن أن لا أحضر.»

«لكنني جعلت ذلك يتم. وفرضت إرادتي عليك كي تأتي على جناح السرعة وهذا ما كان. وها أنت هنا الآن ولن أدعك تغيبين عن نظري بعد اليوم. سوف أحبك وأحبك إلى أن يتوقف غروب الشمس.»

«هذا دائماً، إلى الأبد وإلى أن ينتهي هذا العالم.» همست روث بحب كبير.

همس بحرارة: «وهكذا سيكون.» وضاعت برقة ضمته إليها وهي تمنحه قلبها الذي تحرر الآن من شكوكه وأصبح ملكاً له دون منازع.

«أحبك.» تأوهت بحرارة ويداه تتغلغلان في شعرها الأسود الداكن.

«وأحبك أيضاً، أيتها الحبيبة الجميلة، ولن تهربي من حبي مرة أخرى لأنني سأتزوجك، وفي أسرع وقت ممكن، ونساء ماجوركا لا يهجرن أبداً أزواجهن. وسأضع حبلاً قصيراً حولك إلى آخر يوم في حياتنا معاً.»

قالت له مازحة: «تماماً مثل بغلك وعنزتك؟»

همس بحرارة بالغة: «وبهذا الشرط أيضاً. ستتزوجين مني، ألن تفعلي ذلك، يا حبي الوحيد؟»

«آه يا فرناندو، نعم، سأتزوج منك.»



ضمته اليها، وكأنها لا تريد أن يفلت منها ولا أن يبتعد عنها، وشدها أكثر نحوه بقوة وحب كبير طالما تاقت اليه وتمنته.

قالت وهي لا تريد الانسلاخ عنه: «لم يأذن الغروب بعد.»

«عندما يحب واحدنا الآخر مثل هذا الحب والعاطفة الجياشة والمجد الكبير يعيشان ويزهران في روحينا.»

فهمت عندئذ أن ما يقوله حقيقة ثابتة وليس اضغاث أحلام، وهما يبدآن حبهما إلى الأبد تحت أشعة الشمس الحارة من الشاطىء المتوسطي، وهي تبشرهما بآخر خيط لها بدأ يتلاشى مؤذناً بالغروب بأنها ليست نهاية يوم رائع من أيام ماجوركا بل بداية حبهما السرمدي معاً.

تمـــت